

# خزّان الماجي

الكتاب الأول

التاريخ - الميثولوجيا - الادب - الطبوبي

8136715



Bibliotheca Alexandrina





# مدون سومر

المكتاب الأول  
ال تاريخ • للميثولوجيا • الامم • الطقوس



خُرَقُ الْمَاجِدِيُّ

هَذِهِ وَالسَّوْمَر

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ

التَّارِيخُ ◆ الْمَيْشُولُوجِيَا ◆ الْلَّاہُوتُ ◆ الطَّقُوسُ

الْكَامِلِيَّة



الأهلية للنشر والتوزيع  
الملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد  
خلف مطعم القدس ؛ ص . ب ٧٧٧٢  
هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ - فاكس ٤٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعام ١٩٩٨  
خزاعل الماجدي / متون سومر  
الطبعة العربية الأولى  
حقوق النشر محفوظة للناشر ©

تصميم الغلاف  ®  
التنضيد : مؤسسة ياقوت للمخدمات المطبعية

طبع في لبنان  
على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه أو نقله  
بأي شكل من الأشكال ، أو تصويره ، دون إذن خططي مسبق من الناشر .

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced,  
stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any  
means, without the prior permission of the publisher.

إلى  
عليّ  
ولدي

دموزي الذي يحمل الخصب والجمال  
عساه يسمع صوت سومر نابضاً في قلبه الفوضى



## مقدمة

تزداد ، مع تقادم الزمن ، قناعة الباحثين والمؤرخين بأن كلّ ما ورثناه من نواميس حضارية وثقافية وفنية وروحية يعود في أصوله إلى البذور السومرية التي هي أقدم بذور حضارة الإنسان وثقافاته في مطلع ما يسمى بـ (العصور التاريخية) .

كانت المتون الأولى للإنسان في حقول الدين والشرايع والملائحة والأداب والفنون والأساطير والرياضيات والطب والفلك والكيمياء ، متونة سومرية ، ولا خلاف على ذلك اليوم بين مؤرخي الحضارات القديمة .

لقد امتلك كل حقل من هذه الحقول ، مع ظهور سومر ، جهازاً معرفياً واصطلاحياً وحفل بنصوص غزيرة كانت الأساس الذي بنيت عليه منطلقات هذه الحقول عند الام الوارثة أو المجاورة لسومر .

وكانت حضارات وعوائد ما قبل التاريخ إرهادات أولى من أجل تكوين ثقافة شديدة التماسك والوضوح وذات نظام حضاري وروحي وثقافي وديني دقيق ومفصل . . . وكانت سومر المهد الذي تشكلت فيه ملامح هذه الثقافة .

لقد حاولنا في هذا الكتاب دراسة أربعة حقول أو متون أساسية من متون الثقافة السومرية هي (التاريخ ، المثلوجيا ، اللاهوت ، الطقوس) ، وسعينا لكشف أعماق هذه المتون فلم نكتف بالسرد التقليدي للنصوص التي تقع في هذه المتون بل عمدنا إلى التحليل والمقارنة سعيأً للوصول إلى نتائج جديدة .

حاولنا في البداية وصف الحضارة السومرية وأهميتها ، ثم وققنا أمام التاريخ السومري في محاولة جدية لتقسيمه إلى حقب وأزمان متتجانسة على أساس الطبيعة السياسية والإجتماعية لكل فترة مرّ بها هذا التاريخ .

سيتعرف القراء من خلال هذا الكتاب على المثلوجيا السومرية من منطلق بحثي جديد ومن طريقة جديدة في التصنيف والسرد والمعالجة ، فقد حاولنا ترتيب شجرة أنساب دققة للآلهة السومرية ودخلنا منها لمعالجة اساطير ورموز وقصص الأدب الديني

السومري . . ولذلك بدا الأمر متسلساً مفصلاً واضحاً وتجنبنا ما تطروحه الكتب التي تبحث في هذا الأمر من فوضى وتدخلات لا نهاية لها .

وكانت لنا وقفةً جديدة مع اللاهوت والعقائد الدينية السومرية فقد عرضنا لأهم هذه المعتقدات الروحية والفكريّة والتي شكلت نقاط انطلاق في نسيج العقيدة الدينية السومرية ، فعرضنا ل Maher آلهة عندهم وفكرة الألوهية وعلاقة الآلهة ببعضها وبالإنسان والطبيعة ، ثم عرضنا بعض أوجه الفقه السومري والقوانين والعادات الدينية التي تنظم الحياة الاجتماعية عندهم ثم تفصّلنا في دراسة المؤسسة الدينية السومرية وأنظمتها الكهنوتية والمعبدية . وبعد ذلك وصفنا بعض أوجه العقيدة الدينية من خلال الحكماء السبعة والقرة الآلهية وعقائد الموت وأفكار الجنة والنار والحساب والعقاب والثواب . وأفكار الأرواحية والتشبيهية وفكرة العود الأبدي . . وتبعنا جذور الغنوصية والهرمسية إلى الأصل السومري لها .

أما الطقوس والشعائر السومرية فقد عالجناها بالتفصيل وقد أعاننا تبويبها إلى طقوس (يومية ، مناسبات ، دورية ، سرية) لظهور طريقة عرض جديدة جعلتنا نطرح أغلب ما عرف عن هذه الطقوس ونجمع ما يشترك فيها قرب بعضه .

إذا كان كتابنا هذا قد عرض هذه الم-tone الحضارية الأربع لسومر ، فإن كتابنا القادم سيعرض لأربعة متون أخرى وهي ((اللغة ، الأدب ، الفنون ، العلوم) وبذلك تكون قد أتينا على وصف وتحليل معظم جوانب الحضارة السومرية . ورغم أن الكتاين يكملان بعضهما لكن هذا لا يعني من استقلالية كل كتاب بحداته .

وأخيراً . . نؤدّي أن نعتذر سلفاً عن ما سهوناه أو عبرنا عليه أو لخصناه بعجلة ، فيحار سومر عميقه وغزيرة ونتمنى أن تكون قد قدمنا منها ما يروي بعض العطش الروحي للقارئ الباحث عن اليابس الأولى لحضارة الإنسان على وجه هذه الأرض .

**خزعل الماجدي**

دكتوراه تاريخ قديم

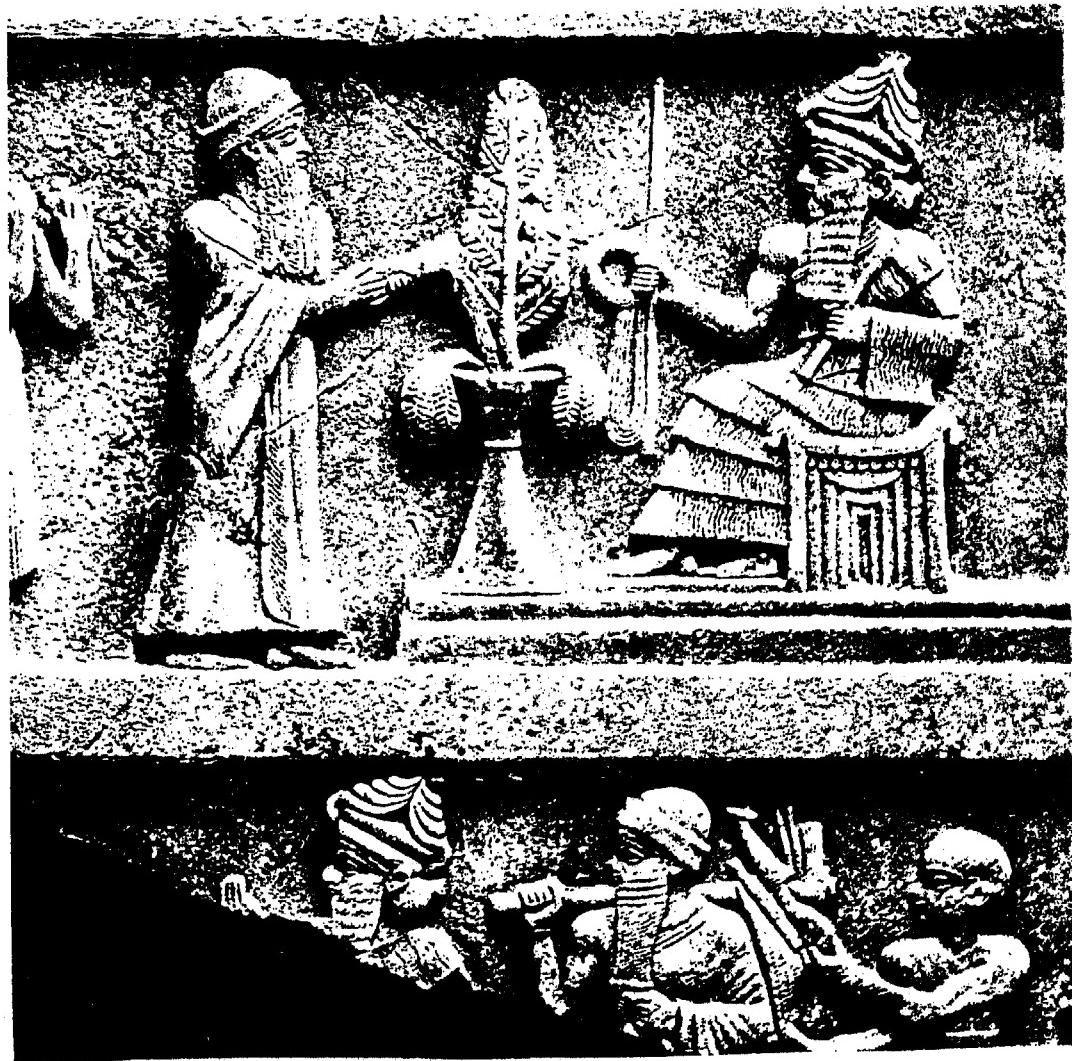
التراث الفكري والعلمي

١٩٩٧/٧/٨

# الفصل الأول

## المعجزة السومرية

(مدخل إلى الحضارة السومرية والتاريخ السومري)





## القسم الأول

# الحضارة السومرية

أرى أن التاريخ البشري ، على مستوى الإنجاز الحضاري المادي والثقافي ، قد أمننا بثلاث معجزات نوعية كبرى ، كانت كلّ معجزة منها الأساس الراسخ لحقبة بشرية طويلة ظهرت فيها حضارات عديدة .

المعجزة الأولى هي المعجزة السومرية ، وأستطيع أن أسميها معجزة التأسيس أو معجزة الأصول ، فقد وضعت الحضارة السومرية الأساس الأولى الراسخة والنوعية والمتينة المادية والثقافية والروحية التي سارت عليها البشرية بعدها . مثل الكتابة والتشريع والدين والعلوم والأداب والصناعات والحرف والفنون والقيم الأخلاقية والطب والعمارة والري والفكر وغيرها وقد أطلق السومريون أنفسهم على نواميس الحضارة هذه مصطلح ال ( مي ) الذي أحصى منها الباحثون أكثر من مائة ناموس حضاري .

ولم تكن نواميس الحضارة وأصولها موجودة قبل السومريون إلا بالشكل البدائي لبعضها ، والذي لم يكن قد تبلور أو وصل إلى حد الإنجاز النوعي المؤثر .

مع السومريين انعطاف التاريخ وظهرت العصور التاريخية التي ضججت فيما بعد بالحضارات والمدنية المختلفة للجنس البشري الذي يعيش على وجه الأرض . ونرى أن جميع ما ظهر في هذه الحضارات التي تلت السومرية حتى الحضارة اليونانية ماهر إلا

تنوعات وإعادات وصياغات قومية جديدة حصلت هنا وهناك كان جوهرها المنجز السومري مع تطويره وانضاج بذوره التي بذرها في منطقة الأصول .

أما المعجزة الثانية فهي المعجزة اليونانية التي هي معجزة الإكتشاف وبناء التفاصيل ، وإعادة النظر نوعياً بكل مفردات التأسيس السومري مباشرة أو عبر ما وصلها من حضارات متطرورة أخرى ، واكتشاف وتوسيع حقول المعرفة البشرية القديمة والجديدة ، فهي معجزة نوعية بالقياس إلى ما قبلها من حضارات ومنجزات .

أما المعجزة الثالثة فهي المعجزة الغربية التي بدأت عملياً مع عصر النهضة الأوربية وما زالت إلى اليوم تصاعد ذرواتها في أوربا وأميركا .. ويكتننا أن تطلق عليها معجزة الإختراع ، فقد طغت عليها الجوانب التقنية ، ووضعت الأساس العلمي لكل حقول الحياة وجعلت إمكانيات درسها وغواها وتطويرها مفتوحة الآفاق .. وهي بذلك تكون قد حررت العقل البشري من قيود كثيرة ووضعت بمقابل ضوابط قياسية للبحث في حقول المعرفة البشرية وتطوير آفاقها .

هذه المعجزات البشرية الثلاث لا تفصل عن بعضها ولا ينفرد قومٌ معينون بالمحاجزها كاملة ، بل نرى أن كل الجنس البشري وأعراقه وقومياته ساهمت بطريقه أو بأخرى بتكونيتها وتهيئة مادتها الأساسية ، لكن لحظة الإنعطاف النوعي كانت بلا شك من نصيب قوم معينين .

لقد كانت المعجزة السومرية لحظة نوعية لكل منجزات الإنسان منذ العصور الحجرية ، وخصوصاً ذلك التسارع الحضاري الذي بدأ باكتشاف الزراعة في الألف التاسع أو الثامن قبل الميلاد .. ثم انفجر نوعياً في سومر عند اكتشاف الكتابة في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ، وأنفتحت معه آفاق عظيمة كانت أساس كل الحضارات بعد سومر . لقد ساهم قبل سومر في إنضاج هذه المعجزة أقوام كثيرة ونجهل اسماءهم الحقيقية ولكنهم كانوا يعملون بدأب في منطقة أطلق عليها أرنولد تويني اسم (الآويكومين) وتساءل في أكثر من مكان في كتابة تاريخ البشرية : «أين اخترت الزراعة وتربية الماشية والتعدين . في الآويكومين ، للمرة الأولى؟» ولكنه توصل إلى جواب واضح بعد مناقشة طويلة إلى أن هذه المنطقة كانت بالدرجة الأساس في الجزيرة الفراتية (ميسوبوتاميا) وسوريا ولبنان وفلسطين

وجزءاً على الأقل من جنوب آسيا الصغرى وغرب ايران وتركمانستان (توبني ١٩٨١ : ٥٦).

كانت هذه الأقوام في شمال العراق وما حوله بؤرة الأولى كomin الزراعي الذي ساهمت فيه شعوب متغيرة وهيأت بمنتجاتها الزراعية الاجواء لظهور حضارات أو ثقافات عديدة وصلت آخرها إلى سومر.

أما المعجزة اليونانية فلم يكن بالإمكان تتحققها لو لا ظهور من حضارات بشرية بعد سومر كالحضارات المصرية والبابلية والأشورية والعيلامية والفارسية والهندية والصينية والغريتية والخورية والحبشية والكنعانية والفينيقية والأرامية والحضارات اليمنية وغيرها .. حتى أنفجرت لحظة يونانية أعطت شيئاً جديداً أو صياغة جديدة للمنتجات التي سبقتها وأضافت لها روحاناً نوعياً.

أما المعجزة الغربية التي بدأت تبلور بدايتها في عصر النهضة الأولى فقد قامت على هضم منجزات الحضارات الشرقية التي استمرت كالهندية والصينية والفارسية وعلى ما ورثه الحضارة الرومانية من اليونانية ، وعلى هذهب وصفاته الدين المسيحي للأقوام الأوربية الأولى البربرية ، وقبل كل هذا على المنجز النوعي والكبير للحضارة العربية الإسلامية التي كانت جسراً عظيماً بين المعجزتين اليونانية والغربية .

إن وجهة النظر الحياتية التي أقدمها هنا لمشاهد المنتجزات البشرية تأخذ بنظر الاعتبار المنتجزات المادية والروحية بشكل خلاق ومبدع ولا تتکي على منجز روحي أو ديني لوحده أو على منجز مادي لوحده ، بل تأخذ الثقافي والمادي والروحي والعلقي والعلمي والديني في جهاز أو نسق (SYSTEM) حضاري يعمل بانسجام وتناغم وایقاع وتساق في كل قطاعاته ، وتبدو نبضاته الحضارية وكأنها تحصيل حاصل كل هذا الانسجام والإتساق في قطاعاته .

كان الشعب السومري شعب الكتابة والمدن والمعايير والشرائع والطبع والديمقراطية (مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، مثل مجالس الآلهة) ، ورغم أن بيته كانت قاسية مدمرة يعيش بها المناخ الحار والجاف والتربة التي تتتصاعد فيها الملوحة بسرعة ، والأرض الخالية من المعادن والأشجار والأحجار ، لكن (يد الله عليها) كما يقول صموئيل نوح كريير .

كان الإنسان هو العامل الحاسم ، كانت عبقريته في صبره ودأبه على تفحص هذا



شكل (١)  
الراية السومرية  
(راية أور)  
راية الحرب والسلام  
في زمن أور الثالثة

الكون بثبات وبصيرة ودون يأس ، حتى فتح له باب التاريخ فدخل كأول شعب مكمل بالغار إلى حلبة التاريخ المضاءة التي كانت تراقبها الآلهة وتطلق على هذا الشعب (ذوي الرؤوس السود) لا لأنه الوحيد الذي كان شعر رؤوس أفراده أسود ، بل لأن السواد هنا كان يعني التميز والخصوصية والعبقرية ، مثل الأرض التي كانت يعيش عليها (أرض السواد) .

كان الشعب السومري ، أكثر من غيره ، اختلافاً عن ما حوله من شعوب كانت ، رغم دأبها تعيش منهج الاستهلاك والاسترخاء بعيون مغمضة أمام الكون .. ولذلك بعد أن فجرت الأيدي الأرض وبنت بهندسة خللاقة نظام الري ، تفجر العقل وتقد وتوتر الروح الإنساني وأضاء ظلام الأرض وأحرّاشها .

إن من ينظر إلى خارطة سومر والمدن السومرية الأولى التي تمتد من جنوب غربي بغداد حيث (سبار) إلى أقصى جنوب الناصرية حيث (أريدو) ويرى بدقة كيف أن حدود الفرات (القديمة والجديدة) من خاصرة غرب بغداد حتى منطقة الفهود ، وحدود دجلة من مروره ببغداد حتى الكوت (كوثا) حيث يمتد منها نهر الغراف باتجاه المدن السومرية (أوما) و(لكش) وباتجاه الفهود أيضاً تاركاً (أي الغراف) إلى الشرق منه ، بينه وبين دحلة ، أهوراً كبرى تتصل بالخليج العربي .

إن هذه الحدود المائية التي تشبه الشكل المعين الضيق تحصر بينها سهلاً رسوبياً خصيماً يحتاج إلى تنظيم إروائي لكي يعطي كل ثماره .

من هذا الشق المعين ، الذي يبدو وكأنه فرج الأرض أو رحمها ، ولدت أو لحضارة بشريّة ظهرت على جوانب هذا المكان وداخله المدن السومرية المتلاحقة التي حيرت الآثاريين في كنوزها المادية وفي ما تركته من كنوز معرفية مكتوبة على ألواح الطين .

كانت روح المغامرة التي سيطرت على هذا الشعب هائلة ، فأنكبَ السومريون على الأرض التي بين أيديهم وحولوها من أرض غفل إلى جنة عدن .. وبقيت هذه الجنة في أذهان مدوني التوراة على أنها الجنة السماوية .

أول شرارات الخلق هي السيطرة على الماء واكتشاف الري ، لم يكن هناك مطرٌ فاخترعوا الري .. ولم يكن هناك خشبٌ فاستعلموا البردي والقصب .. ولم يكن هناك

معادن فصنعوا من الطين المحروق القدور والأواني والجرار والطابوق . . وألواح الكتابة . قالب الآجر ، دولاب الفخار ، عجلة العربة ، المحراث ، السفينة الشراعية ، القوس ، صب النحاس والبرونز ، والبرشمة والطلاء بالنحاس واللحام ، ونحت الحجر والنقش بالحفر والترصيع والرسم وكتابة الشعر والغناء وترتيب الملائكة . . كل هذه كانت مشاغلهم اليومية .



شكل (٢)

نموذج برونزى لعربة سومورية  
تعود إلى ٢٦٠٠ ق.م عثر عليها في تل أحراب

لم يكن شعباً خرافياً، ولم يخلط الواقع بالخوف ليتتج الخرافة، كان واقعياً متزن العقل وئيداً بصيراً ينطق بالحكمة البسيطة (المدينة التي لا يكون لها كلاب يحرسها الثعلب)، (ليس القلب هو الذي يقود الى العداوة ، وإنما هو اللسان)، (تدخل الذبابة في الفم المفتوح)، (إذا بنيت بيتاً كز عييم تعيش كعبد، وإذا بنيت كعبد تعيش كزعيم)، (بيد مع يد ببني البيت، بمقدمة مع مقدمة ، يأتي خرابه) .

لم يوهم هذا الشعب نفسه أو أفراده بالخلود .. جسدُ الانسان غير خالد ولا خلود  
الاً بالعمل والذكر الطيب .. ليس الآلهة كائنات بل قوى خلف ستار المركبي (كربيون :  
ب. بت).

شعب يقول كل لواحه بالطموح والنجاح والشرف ، كانت قيمه الاخلاقية مثل القوانين والأعراف يلتزم بها الجميع بصمت وهدوء وكان أغلب كهنته وملوکه مثلاً أعلى لهذه القيم . إن من يقرأ سيرة الملك الامير (كوديا) حاكم لكش يذهل من تقواه وعدالته وحبة للبناء (كوديا معناها النبي ) فهل كان نبياً بالفعل ؟

كان (كوديا) يحب الحمار لأنّه يعمل وهو صامت دون كلل وكان يتشبه به . . وكان أوركا جينا أول مصلح اجتماعي كبير في هذه الأرض .

كانت الاخلاق جزء من العبادة أو فلنقل جزء من شروط وجود الانسان على الارض، حياً ومتوازناً.

كانت أرضه أهوراً موحشة تطفو عليها مستوطنات متفرقة وبائسة تتلاً بالأحراس .. لكن عرق السومريين هو الذي ارتفع بها للنجوم بنى السومريون ما يقرب من ستة عشر مدينة كبيرة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق، سوروها فيما بعد، وفي وسط كل مدينة بنا معبداً ذا مصطبة عالية.. تطورت إلى برج مدرج ضخم اسمه الزقورة .. وكان هذا أهم اسهام في العمارة الدينية التي تلتها الاهرامات ثم الكنائس ثم المساجد ثم الملوية (زقورة المسلمين الفريدة).

والمدارس . . التي يختلف المؤرخون على قدمها وكثرتها في الحضارات المختلفة لأنها مؤشر تعدد أساسي ظهرت أول ما ظهرت في أوروك السومرية حوالي ٣٠٠٠ ق.م، ونفاجأ أن «عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنة الكتابة كان يبلغ الألف، وأن أولئك

الكتبة على أصناف ودرجات منهم الكتبة الصغار المبتدئون، والكتبة المتقدمون، والكتبة الملكيون، وكتبة المعابد، وكتبة من ذوي التخصص العالي في بعض نواح خاصة بالشؤون الإدارية. وكتبة أصبحوا من كبار موظفي الحكومة. وفي حقيقة الأمر هناك من الأسباب المعقولة ما يحمل المرء على الاعتقاد بأن عدداً من المدارس الكبيرة ذات الأهمية التي كانت تُعد الكتبة، كانت مزدهرة في جميع أرجاء البلاد، (كرير ١٩٥٧: ٤٤).

كان برلمانهم مكوناً من مجلس أعلى من الكبار (مجلس الشيوخ)، ومجلس عموم من الرجال هو (مجلس النواب)، وكان الحاكم (الأنسي) يخضع لقراراتهم، وبظهور الحروب أصبح وجود الملك بدلاً عن (الأنسي) ضرورياً وكان الملك يتُخَبَّب، لكنه فيما بعد أصبح يرث الملكية . . . ومع ذلك ففي كل رأس سنة يرتحف قلب الملك هليعاً من عدم رضا الآلهة والكهنة والشعب عن أعماله . . . وقد لا تتجدد ملوكه بل يخلع ويوضع غيره .



شكل (٣)

حلي سومرية من الذهب عثر عليها في اور

كان المجتمع السومري مكوناً من المزارعين وأصحاب الماشية والملاحين وصيادي الأسماك والتجار والكتاب والأطباء والمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والصاغة والفخاريين ورجال الدين والمغنين وأصحاب الحانات وصانعي الخمور .. فكيف تنسى لمجتمع في الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد أن يتتنوع بهذه الطريقة؟

لقد ظهرت كلمة (حرية) لأول مرة في تاريخ البشرية عند السومريين وتحديداً مع اصلاحات أوركاجينا وكان اسمها (أمارجي) التي تعني العودة إلى الأم أو الرحم .. فما أحلى هذا الفهم الشعري للحرية .. على أنها في الواقع وعلى الأرض أشد صلابة من تسميتها ، فالشرع والقوانين منذ أوركاجينا ومروراً بأورنّمو وبيلا لاما ولبت عشتار بذرة الشرائع البابلية واليونانية والرومانية ، وأول ما يتبادر إلى الذهن لدى درسها وتحقيقها إنها تختلف كلياً عن شريعة الشار، شريعة - العين بالعين والسن بالسن - التي سنها حمورابي واقتبسها عنه العبرانيون . ففي قوانين أورنّمو نزعة إنسانية غايتها الأصلاح لا الانتقام . لذلك حلّت فيها الغرامة النقدية محل العقوبات الجسدية» (حتى ب. ت. ٩٨:).



شكل (٤)

تمثال نصفي ملكة أو أميرة سومرية

وكانت بداية علم الفلك مع (إنانا) التي وصفت بأنها نجمة العشاء والصبح (الزهرة) ومع (نانا) إله القمر ومع (أوتو) إله الشمس . ثم جاءتنا الألواح من سومر لتصف لنا أكثر من (٢٥) نجمة .. وكان الآلهة يسكنون الكواكب والنجوم وتسمى على اسمائهم . وربط (كوديا) الأحلام بالنجوم . أما الزمن فانقسم عندهم إلى أيام وأسابيع وأشهر قمرية وسنوات عادية وكبيسة .. وكان (السار) دورة فلكية كبيرة تغير معها المصائر ، وكان الزمن يقاس بساعة مائة (كلييسدرا) وهي على هيئة إسطوانة أو منشور ، وربما كانت ساعة الظل أو ساعة العصا (المزولة) ، ساعة شعبية يعرفها الرعاعة .

اخترعوا النظام الرياضي الستيني الذي كان يتضمن النظام العشري ، وبعد أن ساد الأخير في الحساب والجبر أصبح النظام الستيني وما زال أساس الهندسة والمثلثات والدوائر .. ثم أساس علم الفلك .

أول دساتير الصيدلة (الاقرباذين) ، أول الأطباء ، أطباء النفس والعيون والفم ، والجراحون والمرضون والأطباء البيطرون ، والنحاتون ، ومصممو الأزياء .. التنورات ذات الأهداب ، ملابس الرجال ، ملابس الملوك والمحاربين ، التيجان ، الشالات التي تغطي كتفاً وتترك الآخر عارياً (ما يذكر بملابس اليونان والرومان) ، أغطية الرؤوس الخرزية ، آلات الموسيقى اليقاعية والتوتية والهواية .. وقد لا يصدق إذا قلنا السلم الموسيقي السومري (ألواح النوتات) .

كانت الأختام المسطحة والاسطوانية مثل برقيات الحضارة إلى الأم المجاورة والبعيدة ، وكانت في سومر مثل البريد السريع التنقل والذي يحمل الفن والكتابة والرموز وغيرها .. بعضها تحول إلى وثائق عامة وخاصة بل وتعاويذ حامية من الأشرار .

كانت مصانعهم تستعمل النحاس والبرونز والأخشاب والسكاكين والمناشير والأسلحة والقدور والسامير والدباديس والحلقات والمرايا والجلود وإطارات العجلات والمقاليع والأحذية والصنادل ، استعملوا مسحوق الذهب لزخرفة بعض المصنوعات واستعملوا الذهب لأغلى تماثيلهم رفعه ، صنعوا السلال وكانت آلاف الأطنان منها تنسج سنوياً في أور فقط ، وكانت احتفالات جزّ الصوف تبدو مثل ورشة عمل للبدء بالغزل والنسيج وصناعة الملابس ، الأنوار العمودية والأفقية والقصارون الذين يزيلون الالوان بمحاليل قلوية وملابس الكتان .

العربات ذات العجلتين والسفن الكبيرة والراكب والمشاحيف والقفف والسفن الشراعية. أما الري ونظام القنوات والخواجز والسدود والخزانات فلم يكن لها نظير، وكان هناك ما يرققها من آلات التسوية وقضبان المقاييس والرسم وإعداد الخرائط.



شكل (٥)

كبش أمام شجرة مزهرة (من الذهب واللازورد) من أور

وضعت تقاويم المزارع في كتيبات طينية اسمها (في الأزمان القديمة أرشد فلاج ابنه)، وكانت أنواع المحاريث والمبادر وأدوات الحصاد والسبقي تتکاثر .  
وضعوا مقاييس الطول (اصبع ، ذراع ، قصبة ، حبل ، فرسخ).  
وضعوا مقاييس المساحة (سار ، ايکو ، بور ، بستان ، حقل).  
وضعوا مقاييس المكيال (گن ، سلا ، گور ، گورلوگال)  
وضعوا مقاييس الوزن (قمحـة ، شيـقل ، من ، تلـنت) .  
أما النقود فخاتم فضي بوزن قياسي معين هو دينارهم وهناك ما هو أعلى منه أو أقل منه وزناً.

وضعوا شعراً في الغزل سيبقى ، بعدآلاف السنين ، من أعظم ما أنتجه الروح الإنساني ، ووضعوا شعراً مذهلاً من المرائي والمدائح والصلوات والتراتيل والأمثال والحكم .. وصنعوا أسطيراً هي بذرة كل أساطير العالم .. أما ملاحthem التي ضاع أغلبها فقد بقي منها ما يدل على عصر البطولة الإنساني بأكمله .

هذا الشعب الذي شغل التاريخ لأكثر من (١٥٠٠) سنة وقدّم نواميس الحضارة لمن حوله ومعه من الشعوب ، طعنته شعوب معه وحوله كانت تتطلع إلى منجزاته بذهول وعجز ، وتكررت الطعنات حتى سقط في بداية الألف الثاني قبل الميلاد وبدأ صوته بالخفوت ، كان اسمه (شعب أحراش القصب - كي . إن ، جي - كينجي) ثم اسموه الساميون (سومر).

هذا الشعب طوى اسمه النسيان منذ ذلك الوقت ولما يقرب من أربعة آلاف سنة .. لكن رهبان المعرفة من الخفاريـن والآثارـيين بعد منتصف القرن التاسع عشر جلوا عن ذهبـه الصـدأ والغـبار وهـالـهم ما رأـوه :

لقد رأوا شعباً من ذوي الرؤوس السود المليئة بالحكمة والمعرفة يسد ثغرة مطلع التاريخ ، وهو يعمـل بـعـاـولـه ، ويرـمي بالـواـحـ كـتابـه إـلـى أـطـافـ الـأـرـضـ .. وـبـذـلـكـ فـسـرـ لـنـا ذلكـ كـيفـ جـرـىـ التـارـيخـ وـكـيفـ تـكـونـ فـيـ أـدـقـ وـأـحـرـ مـراـحلـهـ .



شكل (٦)  
رأس النمر الذهبي الذي يزيّن القيشارة السومرية

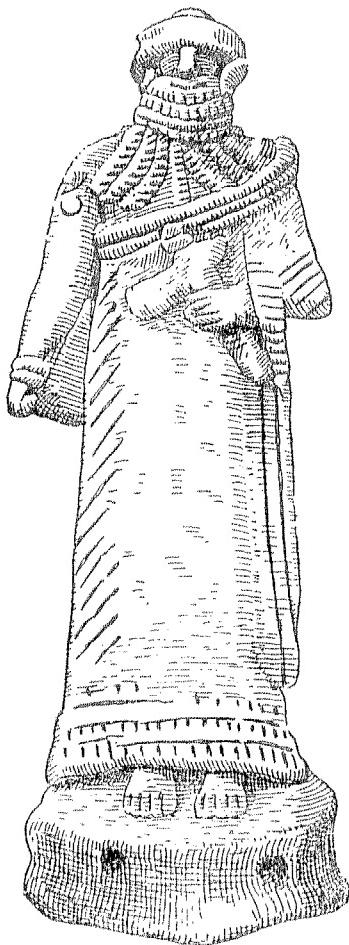
لم يكن اكتشافهم لهذا الشعب مقصوداً بل كان صدفةً ، حيث ظهرت لغة غريبة على الآثاريين ليست بابلية أو آشورية أو آرامية أو فارسية ، ولا علاقة لها باللغات القديمة أو الجديدة .

و يوم توصل (أوبيرت) عام ١٨٦٩ إلى اكتشافه الخطير بأن هذه اللغة هي لغة قوم هم (السومريين) وأنها تشير إلى الحضارة التي أسست مفتاح التاريخ وعلى أساسها قامت حضارات وادي الرافدين .. صرخ بوجهه اليهودي (جوزيف هاليفي) مرجعوا بأن لا شعب غير الشعب السامي قد بني حضارات العراق ، وأن اللغة السومورية هذه كانت مجرد اختراع مصطنع قام به الساميون أنفسهم لأغراض سرية وكهنوتية .

ولكن سبيل الاكتشافات الذي بدأ من گرسو (تلوج) ثم نقر ثم بقية المدن السومورية كان مهولاً .. وكان مدعاه للتفكير بجدية بوجود حضارة سومورية كبرى تأسس بها التاريخ .

كانت سومر قد اختفت من التاريخ منذ حوالي (٢٠٠٠ ق.م) وتوارى اسمها مثل مدنهما تحت تراب وأبنية الغزارة والساميين ومن بعدهم .. حتى أن اسمهم (سومر) لم يذكر مطلقاً في التاريخ ، وساد اسم بابل على جنوب العراق ، وحتى كتبة التوراة تلاعبوا عن قصد أو ذوق ذاكرة حيلهم فسموا أرض سومر بسهل (شنعار) .

وما كادت أربعة آلاف من سنوات النسيان تكتمل حتى عاد هذا الإسم برأقاً قوياً وكشفت خارطة شعبه وخطوط مؤثراته ، ثم عُرف بعده بشيء من الدهشة ، أن كل ما أنت به الحضارات كان فيه خطيط من سومر .



شكل (٧)  
محارب سومري



شكل (٨)  
مناظر أسطورية وجدت مرسومة على آلة موسيقية  
من أور الثالثة توضح طرب ورقص الحيوانات



## القسم الثاني

# التاريخ السومري

لا تستوي معرفتنا بالتراث السومري أو بأي مظهر من مظاهر الحضارة السومرية دون معرفة دقيقة بالتاريخ السومري، هذا التاريخ الذي ما زال قابلاً لإعادة النظر فيه والذي ما زال يثير جدلاً عريضاً بين المؤرخين.

لقد اعتاد المؤرخون الغربيون والعرب على تقسيم التاريخ السومري إلى مراحلتين هما القديمة قبل مجيء الأكديين والحديثة وهي مرحلة سلالة أور الثالثة.

ولكتنا وجدنا أن هذا التقسيم لا يعطي للقارئ صورة دقيقة عن تاريخ سومر، ولذلك اتبعنا منهاجاً جديداً في تقسيم التاريخ السومري إلى خمس مراحل على أساس التطور الحضاري ثم السياسي للشعب السومري وحضارته وهذه المراحل هي :

١ . مرحلة الأصول : وتبدأ من زمن غير معروف على وجه الدقة ولكنها تنتهي إلى ٣٥٠٠ ق . م وستناقش فيها نظريات أصل السومريين.

٢ . مرحلة الظهور ( ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ) ق . م حيث بناء نواميس الحضارة السومرية وبدء الإشعاع الحضاري لسومر.

٣ . مرحلة دول مدن السومرية (فجر السلالات السومرية) (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠) ق.م.

حيث ظهور النظام السياسي ممثلاً بدول المدن السومرية وكثافة انتشار المنجزات الحضارية السومرية إلى الأصقاع القريبة والبعيدة ، وتنتهي هذه المرحلة بمحاولة لوکال زاکیزی تكوين دولة سومرية واحدة .

٤ . مرحلة الدولة السومرية (مرحلة لوکال زاکیزی) (٢٤٠٠ - ٢٣٧١ ق.م). التي استمرت في حدود ربع قرن أو أكثر بقليل (٢٩ سنة) ثم قضى عليها سرجون الakanدي وكون الدولة ثم الامبراطورية الakanدية وأتى بعده الغزاة الكوتيون لوادي الرافدين .

٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (سلالة أور الثالثة) (٢١١٢ - ٢٠٠٤) ق.م التي استمرت أكثر من قرن بقليل ثم سقطت على يد العيلاميين والاموريين .

## ١ . مرحلة الأصول (٣٥٠٠ - ٦) ق.م

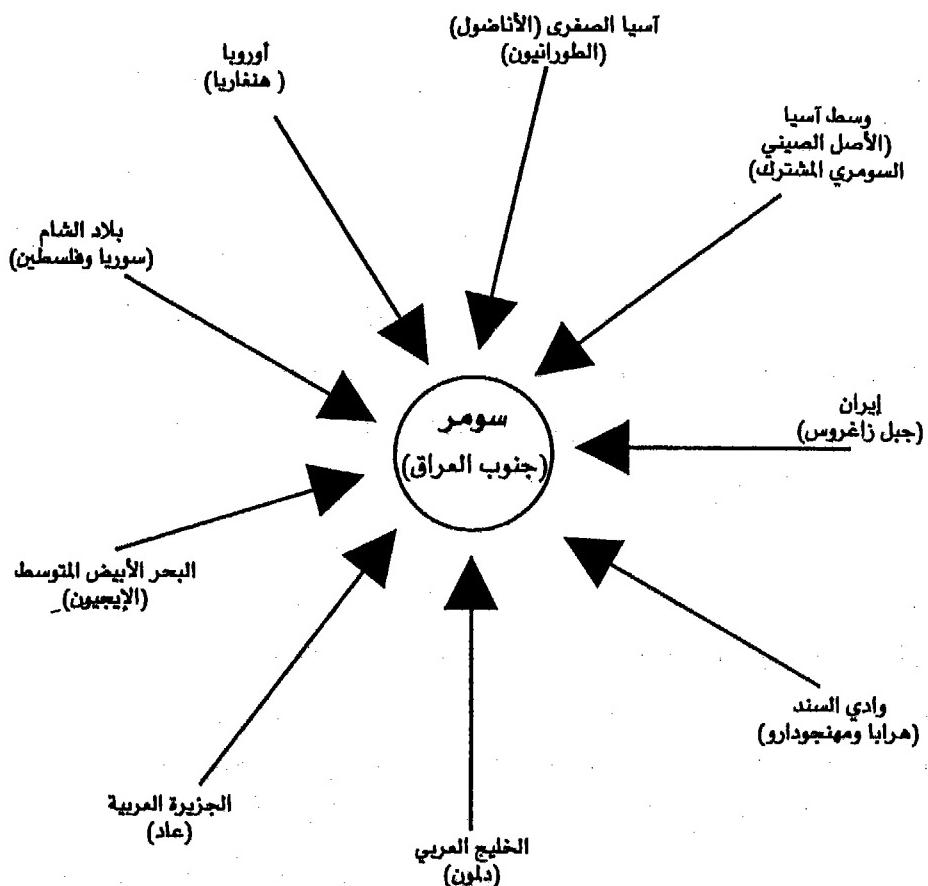
لأحد يعرف من هم الأجداد القدماء للسومريين ، ولا أحد يعرف على وجه الدقة أصل السومريين ، رغم أنه لا أحد يعرف أيضاً أصل الكثير من الأقوام المزامية للسومريين أو التي ظهرت قبلها بقرون أو بالآلاف السنوات ، إلا أنه بسبب الأهمية الحضارية للسومريين وحصول انعطاف التاريخ على يدهم من مراحل ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية . ولأسباب أخرى معروفة وضفت نظريات عديدة نرى أنه من الضروري المرور على أغلبها ، ولو بعجاله ، للتعرف على وجهات نظر العلماء في هذا المجال .

هناك ما يقرب من العشر نظريات أو افتراضات تبحث في أصل السومريين وهي مرتبة حسب الجهات التي تشير لأصل السومريين ابتداءً من الشمال إلى الشرق فالجنوب والغرب (ما عدا النظرية الأخيرة المحلية أو العراقية) (انظر المخطط ١) .

### ١- الأصل الأناضولي (آسيا الصغرى) :

إعتماداً على نوع اللغة السومرية الملصقة والمكونة من مقاطع غير قابلة للتصريف مثل اللغات الآرية أو السامية ، ولها جذور لا تتغير ووحدتها القواعدية الأساسية هي

المركب اللغطي وليس الكلمة المفردة، وقد قام بعض الباحثين بمقارنتها بالكثير من اللغات الملصقة الأخرى مثل التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقاسية وخصوصاً اللغة الطورانية القديمة، حيث قام رولننسن في وقت مبكر باثاره مثل هذا الرأي ثم تبعه أوبرت



#### مختلط (١)

نظريات أصل السومريين من خارج وادي الرافين

وكان أمر اكتشاف اللغة السومرية ما زال في بدايته ، وقد تحدث صمويل نوح كرير عن احتمال كون اللغة السومرية تنتهي إلى غط الطورانية ، لأن طه باقر الذي لمح إلى ذلك أيضاً في مقدمته حسم هذا الموضوع برأي علمي عندما قال « ومع أن أسلوب الإلصاق مستعمل في جملة لغات بشريّة ملصقة قدية وحديثة مثل اللغة العيلامية ولغات عائلة (الاورال - الطاي) كالغولية والتركية وال مجرية ولغات أخرى مثل البولينيزية والباسكية وبعض اللغات القوقاسية مثل الجورجية . ييد أنه يمكن القول أن اللغة السومرية لا تمت بصلة قربي إلى أيٌ من هذه اللغات الملصقة ، ولعل أقرب فرضية لتحليل تفرد اللغة السومرية أنها من عائلة لغوية انقرضت في أزمان بعيدة عن عصور ما قبل التاريخ ولم يبق منها سوى اللغة السومرية التي تكلم بها السومريون في حضارة وادي الرافدين ، وكانت أقدم اللغات المدونة في هذه الحضارة (باقر ١٩٧٣ : ٦٠) .

## ٢. الأصل الوسط آسيوي (الأصل الصيني السومري المشترك) :

يرى بعض الباحثين أن السومريين قدموا من هضاب ومرتفعات أواسط آسيا ، وانهم سلكوا طريقاً باتجاه ايران جنوباً حتى استقرروا في جنوب العراق . ودليلهم على السلوك الايراني هذا تشابه فخار العبيد الملتون في العراق وايران (وهذا بالطبع لا يدل علي ما ذهبوا اليه بل يدل على انتشار فخار العبيد باتجاه ايران) .

وقد ذهب الباحثان (بالي ولت) إلى مذهب أبعد فقد استدلا من خلال بحثهما الدقيق في الكتابتين المسماوية الصينية والسومنية في كتابهما (الصينيون والسومنيون) إلى أن هناك تشابهاً صارخاً بين المراحل الصورية الأولى من الكتابة الصورية المسماوية (التي اخترعها السومريون) والمراحل الأولى من الكتابة الصينية القديمة (الكتور ون) وووضعا معجماً صينياً سومرياً مقارناً للكثير من الكلمات المشتركة في معانيها وأصواتها ، واستنتجوا أن اسلاف الصينيين والسومنيين جاءوا من اصول جبلية في وسط آسيا منحدرين باتجاهين ، أحدهما ذهب إلى الصين والأخر اخترق ايران واستقر في جنوب العراق . وكان كل منهما يحتفظ باصول الكتابة المشتركة البدائية لأسلافهما مع تصويباتها المشتركة (انظر Bali, Litt 1913: introduction ) .

### ٣ . الأصل الایرانی وجیال زاغروس :

لاحظ بعض الباحثین أن السومریین يستعملون في كتابتهم ولغتهم رمزاً واحداً مدلولین هما الجبل والوطن (البلد) .. وهو کور (Kur) . ورأو أن في ذلك ما يدل على أنهم يعنون بأن وطنهم هو الجبل ، ووضعوا احتمالاً لأقرب الجبال المحاذية لجنوب وادي الرافدين وهي جبال زاغروس ، وقد عزز هذا الرأي أن السومریین لم يبنوا معابدهم على أرض مستوية مثل البيوت والقصور بل على أرض مرتفعة ووضعوا مصطبات بنيت عليها هذه المعابد ، ثم بنوا المعابد على شكل قواعد تشبه في شكلها الجبال العالية ، وجعلهم هنا يربطون بين المعبد كمكان مقدس وبين الوطن كمكان قدس قدمو منه وأن هذا المكان هو الجبال الایرانیة شرق سومر .

وازداد تعزیز هذا الرأي ما وجد في الأختام السومرية الاسطوانیة من رسوم الأشجار وحيوانات جبلية مثل (السر ووالارض والوعل والماعز الجبليين من ذوي القرون الطويلة ) .

ثم ازداد هذا الرأي رسوحاً مع اكتشاف التشابه بين فخار العبيد في سومر مع فخار سوسة ، ولكن ظهور فخار أريدو السابق عليهما والذي شكل مصدرهما خفف من هذه الحاجة ، ثم أن الزقورات كانت تفيذاً لتصویر مشلولوجي لا هوتي عن جبل الكون الاول الذي ظهرت الآلهة على قمته حسب اللاهوت السومري ، وانه لا يمكن الاعتماد على مفردة أو مفردتين للدلالة على أصل شعب له عشرات الآلاف من المفردات في لغته وكتابته .

### ٤ . الأصل السندي ( هاراباً ومهنجو دارو ) :

بعد أن اعطت الاكتشافات المثيرة في حوض نهر السندي (مناطق هارابا Harappa ومهنجو دارو - Mohenjo Daro ) صورة جديدة لاصول الحضارات القديمة في الهند ، وجد بعض العلماء أن هناك تشابهاً كبيراً بين الآثار السومرية والهنديّة الثقافية والمادية والأختام التي تعود إلى حوالي (٣٠٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م) وما زاد في ذلك العثور على مدن سومرية مثل (أور، كيش وتل أسمرا) على أختام تحمل صفات الأختام المعروفة في وادي السندي من حيث الشكل والأسلوب وصور المنسوجات المحفورة عليها كالثور ذي السنام فوق الرقبة والفيل والكركون والتمساح (أنظر علي ١٩٨٩ : ٢٧) .

والنظيرية التي تقول بوجود علاقة عرقية حقيقية بين السومريين وبين أقوام هارابا ذات جاذبية خاصة لا ولذلك الذين يحاولون أن يجدوا صلة لغوية بين اللغة السومرية واللغة الدرافية، وهناك دلائل قوية على شكل طرز فنية وأشياء مادية خاصة بحضارة وجدت في الموقع الآخر ولعلاقات تجارية في الآلاف الثالث بين السومريين وأقوام وادي الهند أو بلورخستان (انظر ساكرز ١٩٧٩ : ٥٣).

#### ٥ . الأصل الخليجي (دلون)

من اساطير الكاهن البابلي اليوناني (برعوش) ومن قائمة ملوك ومدن ما قبل الطوفان هناك ما يشير إلى أن الرجل السمكة أوانيس Oannes الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة. وهذا يتفق مع الأفكار السومرية حول إله الحكمة إنكي (إيا) والذي شكل الإله المحلي لمدينة اريدو وهي أقدم مرئية كانت تقع على ضفاف الخليج العربي ثم استوطنت المدن الأربع الأخرى بنزوح من البحر من الجنوب الشرقي فصاعدةً حتى الخليج العربي (انظر ساكرز ١٩٧٩ : ٥٢).

أما النظيرية التي تحمس لها جيوفري بيبي على أساس أن ما عثر عليه في دلون (البحرين) من آثار سومرية ومن آلاف القبور تشير بوضوح إلى أن دلون كانت الموطن الذي نزح منه السومريون عبر الخليج العربي مروأً بجزيرة فيلكا ثم إلى جنوب وادي الرافدين، ويعتمد في ذلك أيضاً على أن السومريين كانوا يذكرون دلون في أسطوريهم على أنها الجنة الخالدة وعلى أن الخالدين من البشر يسكنون فيها (زيوسدرا أو أوتونابشت في ملحمة كلكامش) وأنها تذكر بالعصر الذهبي الذي عاشوا فيه (انظر بيبي ١٩٨٥).

ويتوسع مناصرو هذه النظرية أكثر من ذلك عندما يقررون أن حضارة ما جان (مكان) في عُمان وحضارة التاروت في الجزيرة العربية وحضارات أم النار والباربار في دول الإمارات وقطر تشكل الخلفية الخليجية لحضارة دلون وأن هذه الحضارات مجتمعة كانت أصل السومريين وموطنهم الأول قبل أن يظهروا في وادي الرافدين.

#### ٦ . الأصل الجزيري (عاد)

تعتبر نظرية الأصل الجزيري التي جاء بها الدكتور بهاء الدين الوردي (الوردي ١٩٨٣) من أكثر النظيريات إثارة ودهشة، فهي كتابه (حول رموز القرآن الكريم) يذهب الوردي إلى

أن قوم عاد هم السومريون، وقد سعى بياجتهاد واضح لاثبات ذلك ولكيفية نزوحهم من الجزيرة العربية معتمداً على تحليل اللغة والكتابة السومرية، وقد اعتبر الوردي (الذى تأثر إلى حد كبير بالمستشرق رينو أستاذه) أن (عاد) هم موجة سامية كاملة خرجت من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد وتفرقت في الشمال العربي كله، ففي العراق صار العاديون سومريين، وفي الشام صاروا الحبيشين وفي مصر صاروا الفراعنة وهكذا، ولا تعتمد هذه النظرية على أدلة أثرية كافية بل تحاول من خلال احتمالات تاويلية للغة والكتابة بسومرية وربطها بالعربية الوصول إلى حل مشكلات كثيرة، ولذلك يبقى التحفظ عليها قائماً وأساسياً (الماجدي ١٩٩٢: ٥٢) و (الماجدي ١٩٩٢ ب).

#### ٧. الأصل المتوسطي (الأيجيون) :

ضعفت كثيراً نظرية احتمال كون السومريين من أقوام البحر الأبيض المتوسط والتي اعتمدت بالدرجة الأساس على تحديد صنف الجمامجم التي عثر عليها في المقابر السومرية من أنها تقبل جنس البحر المتوسط الناتئ الفك الغليظ العظام والكبير الأسنان نوعاً ما . (انظر كون ١٩٤٩: ٩٣) . وذهب البعض إلى أن أغلب مؤخرة الجمامجم السومرية مستقيمة، وهو ما يمثله جنس البحر المتوسط بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية المشتركة المبكرة لبعض الجزر الأيجية .

ولكن هذه النظرية لا تتصمد أمام حقائق بايولوجية أو آثرية أخرى ، أهمها تزايد اكتشاف جمامجم سومرية كثيرة موكورة المؤخرة وغيرها .

#### ٨. الأصل الشامي (سوريا وفلسطين) :

يتخذ مناصرو هذه النظرية من فخار الوركاء السومري دليلاً على أن له ما يشبهه في شكله والوانه الحمراء والرمادية والتي عثر عليها في شمال سوريا وفلسطين ، فرسموا طرقاً منحدراً من تلك المناطق اختطه أجداد السومريين ثم استوطنوا منطقة سومر .

وتضعف هذه الحجة أمام الأصل العبيدي والوركائي للفخاريات الشامية وليس العكس .

#### ٩. الأصل الاوربي (الهنكاري):

قام الدكتور بنديك من جامعة بولينس ايرس باصدار كتاب (الاعجوبة السومرية sumerian wonder) عام ١٩٧٤ ، حاول أن يثبت من خلاله أن السومريين جاءوا من هنگاريا «وأغرب ما في هذا الكتاب قائمة تحتوي على عشرات من المفردات السومرية التي أوجد لها المؤلف بطريقة أو بأخرى ، ما يوازيها في الهنغارية معناً ولفظاً، وقد خلص المؤلف في نهاية الأمر إلى رسم خريطة توضيحية لهجرة السومريين من الأراضي الهنغارية- الرومانية إلى بلاد الأناضول وصولاً إلى مناطق الفرات العليا ، ومن ثم التزول بالاتجاه جنوب وادي الرفدين نحو ما يعرف ببلاد سومر ، (على ١٩٨٩ : ٢٧).

ويبدو تهافت هذه النظرية واضحاً حيث عكس الدكتور بندنك الأمر ، فبدلأ من الإشارة إلى انتشار الحضارة والكتابة واللغة السومرية إلى أصقاع بعيدة في أوروبا ودخول مفردتها إلى اللغات الاوربية القديمة ، عكس الأمر دون مراعاة البعد التاريخي للموضوع .

١٠ . الأصل العراقي (الرافدينى المحلى) :

أرجأنا الحديث عن هذه النظرية إلى آخر هذا العرض، وذلك لنبين، أولاً، أن الباحثين لم يتركوا جهة من جهات الأرض إلا وجعلوها أصلًا للسومريين، وثانياً، لنبين أن كل نظرية من النظريات التسع السابقة إعتمدت على عامل واحد أو عاملين كأساس لها مثل اللغة أو الثقافة او البابلوجيا دون الأخذ بالاعتبار القضية السومرية باكملها، قضية شاملة متصلة بحاضر قبليها ومستقبل بعدها.

ونحن نرى أن نظرية الأصل العراقي للسموريين تخلّـ الكثـير من المشـكلـات التي طرحتـها النـظـريـاتـ الأخرىـ، رغمـ أنـ بعضـهاـ ما زـالـ عـالـقاـ.

السؤال الذي نطرحه أولاً هو: أي الاماكن او البلدان كان اكثراً تطوراً من بلاد الرافدين في الأرض كلها قبل ظهور السومريين في جنوب وادي الرافدين حتى نقول بأن السومريين قدموا من خارجه وجلبوا معهم نواميس الحضارة ومنها الكتابة؟

والجواب الختامي هو لم يكن هناك أكثر تطوراً من وادي الرافدين على الأطلاق، لأن العراق ومنذ عصر الميزوليت ثم النيوليت كان يتتطور بطريقة متضادعة متسارعة ويجعل جميع الأماكن التي حوله تلهث وراء تطوره... ولذلك جاء تطور

السومريين متمماً للتطورات التي سبّتها . فقد تطور وادي الراافدين في التعدين والزراعة والري وإنشاء المدن والمعابر وظهور الحرف . . فما الذي يمنع أن تنمو هذه التواميس الحضارية وتطور ويكون ذلك على أيدي اناس أطلق عليهم بعد ذلك إسم : السومريين .

يقول المؤرخ (جورج رو) بأن الأدب السومري يقدم لنا صورة لشعب مُجد مثقف ، وجد متدين ، غير أنه لا يعطينا معلومات عن أصله . وتدور حوادث القصص والأساطير السومرية في وسط غني بالأنهار والبحيرات وبالبردي والنحيل - وهذه خلفية غوذجية لمنطقة جنوب العراق - وتعطي انطباعاً قوياً بأن السومريين قد عاشوا دائمًا في ربوة هذه المنطقة . وليس هناك ما يؤكّد وجود أي موطن سالف للسومريين يختلف عن وادي الراافدين ، (رو ١٩٨٤ : ١٢١) .

بعد الثورة النيلية الهائلة في شمال وادي الراافدين وعلى سفوح جباله وظهور القرى والعبادات المنتظمة وسبل التحضر ، وصلت كانت هذه الثورة إلى ذروتها في حضارة أو ثقافة سامراء في الألف الخامس قبل الميلاد . وقد هذه الحضارة تعتمد في اقتصادها على الزراعة . . والزراعة بدورها تعتمد على الأمطار المتذبذبة السقوط . ولم يكن هناك سبيل أمام السامريين إلا الاعتماد على الأنهر وتنظيم ريها . . وكان لا بد أن يرافق ذلك انحدارهم إلى الجنوب مع مسيرة دجلة فبدأ بالنزوح تدريجياً .

كان الإسم القديم لمنطقة سامراء في الألف الأول قبل الميلاد (سرماته) وذكر أيضًا (سيمراوم) و (سيمراء) . . أما الرأي الذي يقول أنه في العصر العبابي اشتقت من عبارة (سرّ من رأى) فهو خرافه ولا شك . ويدل على أن هذه المنطقة وما حولها كان لها علاقة باسم (سومر) بدليل ذكر (سور سومر) عند أحد المؤرخين الرومان ووجود منطقة (سومار) إلى الشرق من سامراء باتجاه ايران .

إن هذا كله يشير إلى أن سامراء النيلية كانت الموطن الاصلي للسومريين وقد حاول الدكتور فوزي وشيد أدلة ذلك في أكثر من مناسبة .

ولا تستبعد مطلقاً أن انتشار السامريين النيليين كانوا في الأرض المحصورة بين (سامراء) على دجلة و (حديثة) على الفرات . وأن انحدارهما ، كل على نهره ، بدأ في منتصف الألف الخامس قبل الميلاد مع بدء الثورة الكلكتوريّة واستخدام المعادن . وقد تكون جبال حمراء مصدرًا أساسياً في هذه الهجرة .

ويبدو مع الزمن ، في حدود الألف الخامس قبل الميلاد ، ظهر في المناطق التي حول نهر دجلة في اراضي جنوب وادي الرافدين الخصبة اقوام اطلق عليهم اسم (الدجلويون الاوائل) وهم ابناء حضارة سامراء . أما الذين تتبعوا نهر الفرات في اراضي جنوب وادي الرافدين الخصبة فاطلق عليهم اسم (الفراتيون الاوائل) . وكان لكل من هؤلاء لغة تختلف إلى حد ما عن الأخرى وينادا مجهمما في مدن السهل الروسي ظهر ما نسميه بـ (العبيدون) الذين يمكن أن نطلق عليهم السومريون الاوائل حيث شكلوا الأجداد المباشرين للسومريين . وي يكن تبع ما أسلافنا في (المخطط رقم ٢٢)

وبذلك نرى أن القسم الجنوبي من وادي الرافدين كانت تسكنه ثلاثة أنواع من الأقوام المتاجنة (بين الألف السادس والخامس) ق.م . وهي :

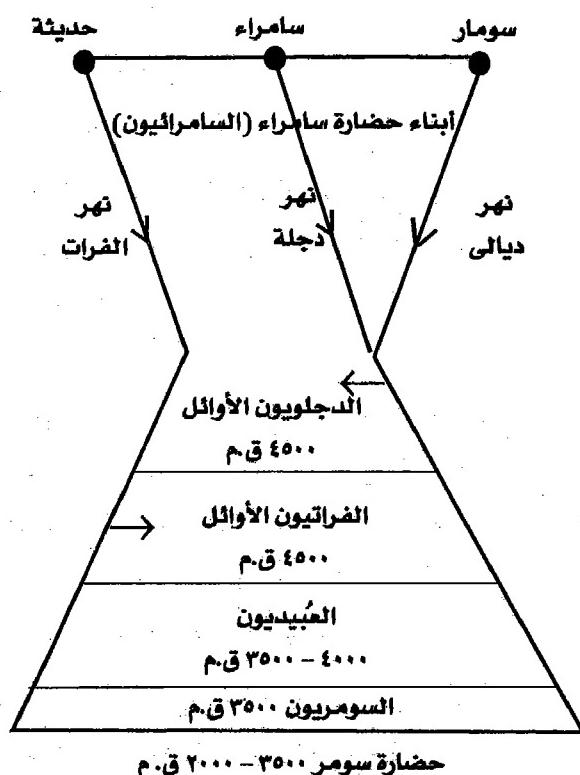
١ - الدجلويون الاوائل (proto - Tigridians) وهو الأقوام الذين سكنا حول النصف الجنوبي من نهر دجلة واستقروا في النصف الأعلى من السهل الروسي ، وقد بحث الباحثون في ما تبقى من اسمائهم لغتهم فوجدوا ان هناك اسماء بعض الآلهة مثل «دakan وزبابا ورب الشمس أمبا AMBA وعشتر وأداد ، وبأن المنطقة قد سكنت من قبل العناصر المتكلمة باللغات السامية باقوم تختلف عن الفراتيين الاوائل ، اطلقوا عليهم اسم سكان دجلة الاوائل » (الأحمد ١٩٧٨ : ٢٣١).

٢ . الفراتيون الاوائل Proto - Euphratic: وهو النازحون الشماليون الذين اسسوا مدنهم على نهر الفرات وشكلوا اغلب سكان النصف السفلي من جنوب العراق . وقد قام لاندز بيركر بدراسة بعض مفرداتهم التي شملت أسماء مدن معروفة وأسماء حرف وصناعات ضرورية وأساسية للمجتمع الزراعي السومري فيما بعد . وقد أطلق هو هذه التسمية على هؤلاء الأقوام ، وشخص ما يقرب من (٣٥) مفردة لهم ، ثم أضاف لها (غلب) (٢٣) مفردة أخرى .

٣ . العبيدون : وهو في رأينا الخليط الحضاري من الدجلويين والفراتيين الاوائل وجميع الفلاحين والحرفيين الذين نزحوا من شمال وادي الرافدين واستوطروا سهله الجنوبي الروسي وابذعوا في مجالات زراعة الري وصناعة الفخار الخاص بهم واستعمال المعادن وبناء المدن . ونرى أن من اوائل المناطق التي ظهر فيها العبيدون كاصحاب حضارة جديدة هي منطقة أريدو ثم تل العبيد ثم الوركاء .. الخ . وكان زمن ظهورهم ينحصر بين

(٤٠٠٠ - ٣٥٠٠) ق. م. وهم في رأينا (السومريون الأوائل) أو أجداد السومريين القديرون. وقد نشر العبيدون ثقافتهم وحضارتهم إلى شمال العراق والأناضول وسوريا والمتوسط وببلاد عيلام والجزيرة العربية والخليج وكانت إنجازات نوعية هامة على جميع المستويات، وهكذا فعل مثلهم أسلافهم السومريون الذين أكملوا نشر الحضارة الراfdية وكل ما في الأمر، أن بدء ظهور الكتابة جاء بعد أقوال العبيدين بقليل. ومع بزوغ السومريين، (بسبب الكتابة)، أدار هؤلاء القوم التاريخ من مراحل ما قبل التاريخ إلى أول المراحل التاريخية وهنا تكمن أهميتهم وفرادتهم.

### حضارة سامراء ٥٠٠٠ ق.م

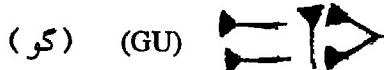


### مخيط (٢)

مخيط مقترن للأصل الراfdياني الشمالي (العربي) ولكيفية تشكيل أجداد السومريين في الجنوب الراfdياني

## ٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م

مع ظهور ثقافة أو حضارة أوروك (الوركاء) (والتي تقع على بعد ٣٠ كم جنوب شرقي السماوة) بدأ ظهور السومريين يتضح في العراق ، ومع هذا العصر بدأت الحضارة في جنوب العراق تنعطف نوعياً خصوصاً وأن حضارة العبيد كانت قد انحلت تماماً ، فقد بدأ الفخار بأنواعه الثلاثة (الأحمر والرمادي والعادي) بالظهور أولأ كذلك على تغيير مزاج وذوق الناس الذين يستعملون هذه الأدوات الفخارية في حياتهم . وبدأت معابد المصطبة بالظهور والانتشار . وفي حدود ٣٢٠٠ ق.م ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد أوروك وسميت مرحلة الكتابة هذه بالمرحلة الصورية (pictographic) حيث أصبح بالإمكان التعبير عن الكلمة بعلامة واحدة ، فمثلاً العلامة :



تمثل صورة رأس الثور وتعني كلمة ثور (انظر رشيد ١٩٧٢ : ٢٠) .

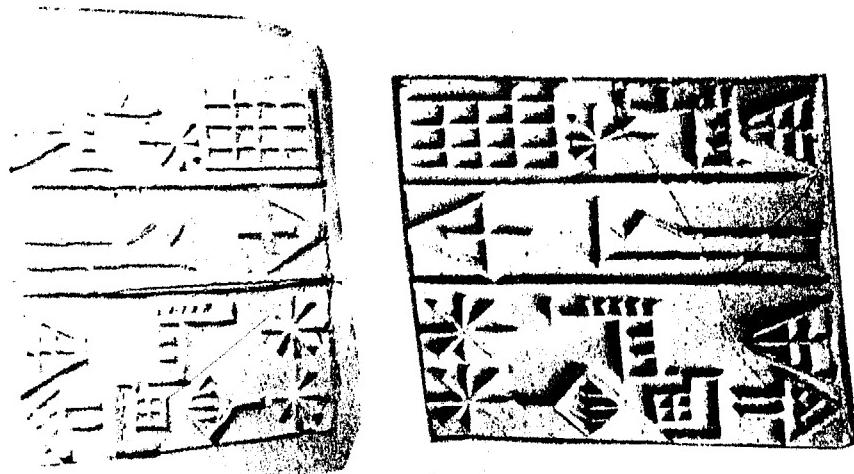
وكان الحياة الاجتماعية والإقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة . وانتشر فن النحت ، ونقشت الألواح من الحجر ، وصنعت الأختام الإسطوانية وكان فن العمارة راقياً جداً فقد زينت واجهات المعابد بنقوش مصنوعة .. منها معبد (آن) في أوروك ، ومعبد العقير . او زينت بالفسيفساء المكون من مسامير ملونة من الفخار أو الحجر .

وبعد ثقافة أوروك السومرية الأولى بدأت ثقافة جمدت نصر السومرية الثانية التي تصاعدت فيها الانجازات السومرية ، وتقدمت فنون الحضارة السومرية وتأسست أغلب نواميسها ، ويدرك أنه قد عثر فيها على مسلة صيد الاسود والاعناء النذري ورأس القناة الرخامي ومثال إمرأة عارية ومجموعة من الأختام المسطحة والإسطوانية والأسلحة والفصيوفسائي وتطورت الصناعات المعدنية كثيراً .

أما الكتابة فقد انتقلت من طورها الصوري إلى الطور الرمزي (Ideographic) حيث أصبح يمكن التعبير عن الأشياء والأفكار المتعلقة بها أو التي يمكن أن توحى بها ، فصوراً المحراث يمكن أن تعبّر عن الفلاح أيضاً ، وصورة الفم ومعه صورة الماء تعبّر عن الفعل (شرب) فإذا كان معه قطعة خبز تعبّر عن الفعل (أكل) .. وهكذا .

وتطورت الكتابة المسماوية بعد ذلك إلى الطور الصوتي (Phonetic) حيث أصبح

الاهتمام بالعلامات المسмарية، دون معانيها التي تعبّر عنها الصورة في الأصل، لتكتب بواسطة الأصوات فمثلاً كلمة (السهم) ترسم بعلامة معينة تلفظ بـ(تي)، ولكن لفظ (تي) يعني في نفس الوقت كلمة (حياة) . . لذلك أصبحت الكلمة حياة وسهم تكتبهان بنفس العلامة دون أن يكون بينهما علاقة.



شكل (٤)  
كتابه سومرية مسمارية

أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة أو الكتابة المقطعة (Agglutinative) التي مهدت لها المرحلة السابقة، حيث أصبح الاعتماد كلياً على الألفاظ الصوتية دون المعاني . فبدأ دمج العلامات ليدل على كلمات مادية ومعنوية جديدة، وأصبح مع هذه المرحلة كتابة الأسماء سهلاً، فمثلاً إذا كان اسم الشخص (كيتي ti- ki) فيتم رسم علامة *ki* التي تدل على المكان أو الأرض، ثم بعدها علامة *ti* التي تدل على السهم أو الحياة دون أن يعني

بالضرورة معنى اسم الشخص (مكان أو أرض الحياة) مثلاً . وهكذا ، وقد انتشر الخط المسماري في مرحلته الصورية في جميع بلاد سومر ، بل ويظن أنه قد انتشر إلى خارج سومر باتجاه الشرق نحو الصين ، ومن الشكل الصوري للكتابة المسماриة السومرية ظهرت الكتابة الصينية القديمة المسماة (كو - رون) (انظر Bali, litt, 1913).

وكذلك نرى أنه من انتشار الحضارة السومرية والسمريين وكتابتهم في المرحلة الصورية غرباً باتجاه البحر المتوسط ومصر نشأت الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة وانتشرت معها نواميس حضارية سومرية كثيرة (انظر waddell 1930).

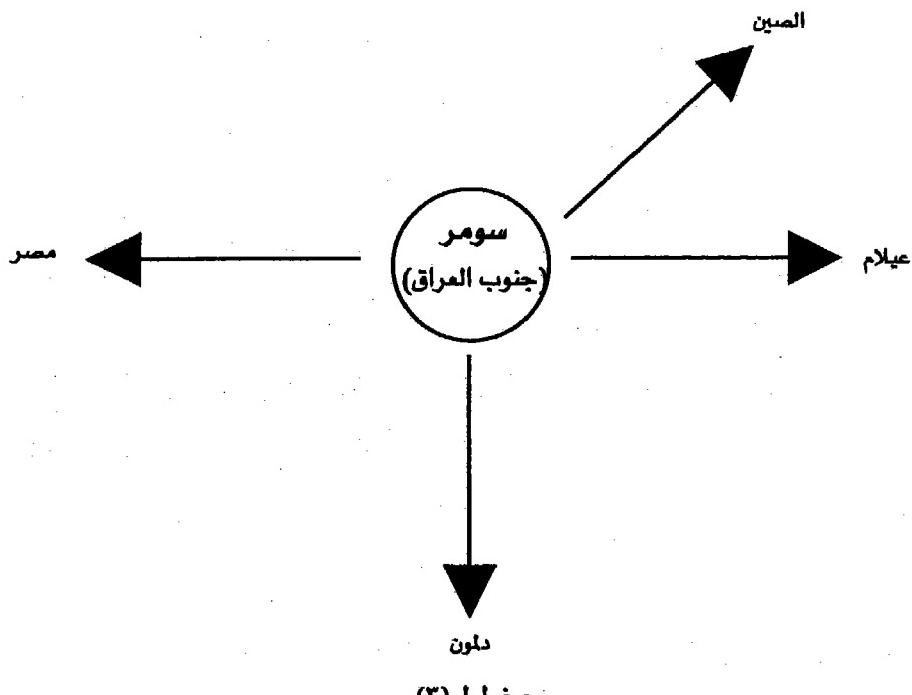


شكل (١٠)

الأعلى: مخلوقات خرافية سومرية الوسط والأسفل: قبضة السكين التي عثر عليها في تل الأرائك في مصر (قبل ٣٠٠٠ ق.م) وهي تشير إلى تأثيرات سومرية واضحة (المخلوقات الخرافية، الزوارق ، الحيوانات المتصارعة، الشخص .. الخ).

وانتشر الخط المسماري السومري ومعه اللغة السومرية إلى منطقة (عيلام) جنوب ايران . . وبدت منطقة عيلام وكأنها امتداداً لأرض سومر ، لا يفصل بينهما سوى مياه الأهوار (انظر Hinz 1972) . حيث ظهرت آواخر العصر الشبيه بالتاريخي حوالي ٣٠٠٠ ق. م الكتابة العيلامية الاولى (Proto - Elamit) وفي مثل هذه المرحلة بدأت الحضارة والكتابة السومرية بالانتشار باتجاه الخليج العربي ووصلت إلى دلون (البحرين) وقد عثر على آثار تشير إلى ذلك (بيبي ١٩٨٥).

أي أن الاشعاع السومري في فترة الظهور قبل بداية الألف الرابع قبل الميلاد إتجه أربع اتجاهات مهمة وأثر فيها ومهد لقيام حضارات فيها (انظر المخطط رقم (٣)) وسيساهم تقديرنا لهذا الامر ، على ضوء الموجودات الآثرية بحل مشكلة الأصول التي ناقشناها في الفقرة السابقة حيث أن الأمر حصل معكوساً، وقد بدأ بهذا الانتشار في هذه الاتجاهات الأربع .



إن الانتشار الواسع والكبير للكتابة المسمارية حصل مع ظهور الأكديين واستعمالهم الكتابة المسمارية لتدوين لغتهم التي حملوها معهم مكتوبة بالمسماري إلى أطراف الامبراطورية الأكادية، وبذلك صار استعمال الخط المسماوي عالمياً منذ ذلك الوقت.

شهدت مرحلة الظهور السومري تأسيس المدن السومرية الكبرى، وظهرت في هذه المدن حکومات وأنظمة سياسية ودينية ومتطرفة. وتبخرنا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان، الذي يخمن الباحثون انه حدث في حدود (٣٠٠٠ ق.م) وربما قبل ذلك بكثير، أن ثمانية ملوك حكموا في فترة ما قبل الطوفان التي قد تقع ضمن فترة الظهور السومري، حيث نزلت الملكية من السماء إلى المدينة السومرية (أريدو) التي كانت تسمى (نون كي) ثم توالي انتقال الملكية إلى المدن السومرية الخمس حكم فيها ثمانية ملوك لمدة ربع مليون سنة (في مقاييس ذلك الوقت من السنين) ثم حدث الطوفان، وهذه المدن وملوكها كما يلي:

١- أريدو: حكم فيها الولم، الحكار.

٢- بادتبيرا: حكم فيها أنمنلو أنا، أنمنكال أنا، دموزي الراعي.

٣- لراك: حكم فيها أنسيبازي.

٤- سبار: حكم فيها انميendir أنا.

٥- شروباك: حكم فيها أوبارتوتو.

وقد ارتبطت بهؤلاء الملوك أحداث وأفكار إسطورية ونسبت لبعضهم المعجزات والخوارق.

### ٣ مرحلة دول المدن السومرية (عصر السلالات السومرية)

٣٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م

إذا اتبعنا ثبت الملوك السومريين بعد الطوفان ، وما أظهرته الحفريات الآثرية لهذه المرحلة نستطيع أن نقدر أن التاريخ المعروف لبدء مرحلة دول المدن والسلالات السومرية تقريرياً ٣٠٠٠ ق. م ، ويحدد بعض العلماء بدء هذه المرحلة في ٢٨٠٠ ق. م أو ٢٩٠٠ ق. م (أنظر باقر ١٩٧٣ : ٢٥٢) أي أن هذه المرحلة استمرت ما بين خمسة أو أربعة قرون فهي تقترب من زمن المرحلة السابقة (مرحلة الظهور) ، ولكنها تمتاز عنها سياسياً وحضارياً وثقافياً في تقدمها الهائل وانتشارها الكبير ، وكان سومر تحولت في هذه المرحلة إلى مصباح مضيء أنار الأرض كلها بعلمه وفنونه وأدابه وأديانه ونومسيسه الحضارية المتعددة التي انتشرت إلى المناطق المجاورة لها في كل الإتجهات ، ليس عن طريق الحروب أو الغزوات بل عن طريق التجارة والهجرات السلمية الحضارية .. حيث امتازت سومر، وهي بلد الحضارة الأولى ، أنها في نفس الوقت بلد السلام والأمن ، حيث لم تكن الحروب الجماعية معروفة في عصرها إلا بعد أن فاجأتها أقوام أخرى غير متحضررة بلغة الحرب والموت ، أما سومر فكانت أم نومسيس الحضارة البشرية التي انطلقت من جنوب العراق إلى الدنيا بأسرها .

امتاز النظام السياسي السومري في هذه المرحلة بما يسمى بدولة المدينة (city state) حيث تحفظ كل مدينة باستقلالها السياسي وبحاكمها ومعابدها وألهتها ، رغم أن هذه المدن جميعها تسودها معتقدات دينية عامة وعلاقات سياسية واجتماعية وحضارية عامة . وقد ظهرت في هذه المرحلة حضارة المدن السومرية العظيمة التي كان لها الفضل في تصعيد المنجزات الحضارية السومرية بأكملها . وسنذكر أهم سلالات المدن السومرية وأهم حكامها :

- ١ . سلالات كيش الأربعة : الأولى عدد ملوكها (٢٣) ملك وآخر ملوكها (أكا) الذي حاربه گلگامش خامس ملوك اوروك ، والثانية عدد ملوكها (٨) ملوك منهم (داداسك) و (ماما كال) . والثالثة حكمتها ملكة واحدة هي (كوبابا) ، أما الرابعة فقد حكمها (٧) ملوك أولهم (بوزرسين) .

٢ . سلالات أوروك الثلاثة : الأولى عدد ملوكها ( ١٢ ) ملكاً ، وقد ظهر منهم ابطال سومر الذين ذكرتهم ملاحمها المعروفة وهم (أغركار) و (لوگال بندرا) و (كلكامش) . أما الثانية فعدد ملوكها ( ٣ ) ، أما الثالثة فقد حكمها ملك واحد قوي وطموح هو (لوگاكا زاكيري) الذي حاول أن ينشيء دولة سومرية موحدة لكل المدن السومرية ولكن سرجون الأكدي قضى عليه ، ونفذ مشروعه بل وأنشأ إمبراطورية أكدية تعدت وادي الرافدين .

٣ . سلالتا أور : كانت المقبرة الملكية في أور تشير إلى سلالة ملكية مبكرة في أور ، ولكن أور حكمت في هذه المرحلة من قبل سلالتين الأولى حكم فيها ( ٥ ) ملوك أولهم مسانيدا وآخرهم بالولو .

٤ . سلالة لخش : ظهرت في لخش سلالتان الأولى في هذه المرحلة وقد انصرفت للعمارة والبناء وأهم ملوكها (أورنانثة) و (أنتميما) والمصلح العظيم (أوركاجينا) الذي كان آخر ملوكها أما السلالة الثانية فستحدث عنها بعد الغزو الكلوبي لوادي الرافدين .

٥ . سلالة أوما : حكم فيها ( ٦ ) ملوك أولهم آيابورز .

٦ . سلالة أكشاك : حكم فيها ( ٥ ) ملوك أولهم أونزي .

٧ . سلالة أوان : حكم فيها ( ٣ ) ملوك .

٨ . سلالة أدب : حكم فيها ملك واحد هو لوگال آني مندو .

٩ . سلالة ماري : حكم فيها ( ٦ ) ملوك منهم لوگال تارزي .

١٠ . سلالة حماري : حكم فيها ملك واحد هو (هادانيش) أو (انيش) .

كانت هذه هي المدن السومرية الأساسية التي حكم فيها ملوك سومريون ، لكن هناك مدنآ أخرى في سومر تحضى بنفس أهمية هذه المدن مثل نيبور (نقر) وهي أكبر مدينة دينية سومرية وتکاد تكون العاصمة الدينية المقدسة لبلاد سومر كلها ، حيث عبد فيها أكبر آلهة سومر (أنليل) ، ومدينة أريدو على ساحل الخليج ، ومدينة سبار (أبو حبة) التي عبد فيها إله الشمس اوتو ، ومدينة أشنونا (تل اسمر) ومدينة خفاجي (تل اجرب) ومدينة ايسن ، ومدينة نينا (سرغل) ومدنآ أخرى . كل هذه المدن لم يظهر فيها ملوك

وسلالات ملوكية ولكنها كانت لا تقل أهمية عن مدن السلالات الحاكمة . ومتاز هذه المرحلة حضارياً بابتكار نظام دولة المدينة السياسي بعد أن ظهرت المدن في وادي الرافدين منذ الألف الخامس قبل الميلاد ، وهو نظام يدل على التمدن والعمان الحضري وأول شكل من أشكال الحكم المتمدن في تاريخ العالم والذي ظلّ أفضل حكم سياسي لعصور طويلة ، حيث ظلت بلاد الشام مثلاً طيلة تاريخها القديم تحت ظل هذا النظام ولم تظهر دولة مركبة في الشام ، ولكن هذا لم يمنع ظهور حضارات متنوعة ومتعددة في المدن الشامية في سوريا ولبنان وفلسطين والأردن .



شكل (١١)  
إفاتم الأول ملك لحکش (٢٥٥٠ ق. م.)

وقد أقام الأغريق بعد أكثر من ٢٥٠٠ سنة على ظهور هذا النظام السومري نظاماً شبهاً به كان الأساسي في حضارة الأغريق .

واننا نرى على العكس من ذلك (كما سنرى في سومر) ان تحطيم هذا النظام والاتجاه الى نظام الدولة المركزية الواحدة ثم الامبراطورية الشاسعة قد بدد الكثير من امكانية ظهور منجزات متنوعة جديدة ، فقد قضت هذه المركزية على التنوع الذي كانت تزخر به دويلات المدن .

لقد انحسر النظام القبلي والعشائري في سومر تماماً وحل محله في المدينة السومرية النظام البرلماني حيث يقول كريير «إن أول برلمان سياسي معروف في تاريخ الإنسان المدون قد التأم في جلسة خطيرة في حدود ٣٠٠٠ ق. م . وقد كان مثل برلماناً مؤلفاً من مجلسين : مجلس الأعيان أي مجلس الشيوخ ، ومن مجلس العموم (النواب) المؤلف من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح ، وكان «برلمان حرب» ، دعي للإنعقاد ليتخذ قراراً في أمر خطير يخص الحرب والسلم» (كريير ١٩٥٧ : ٨١) .

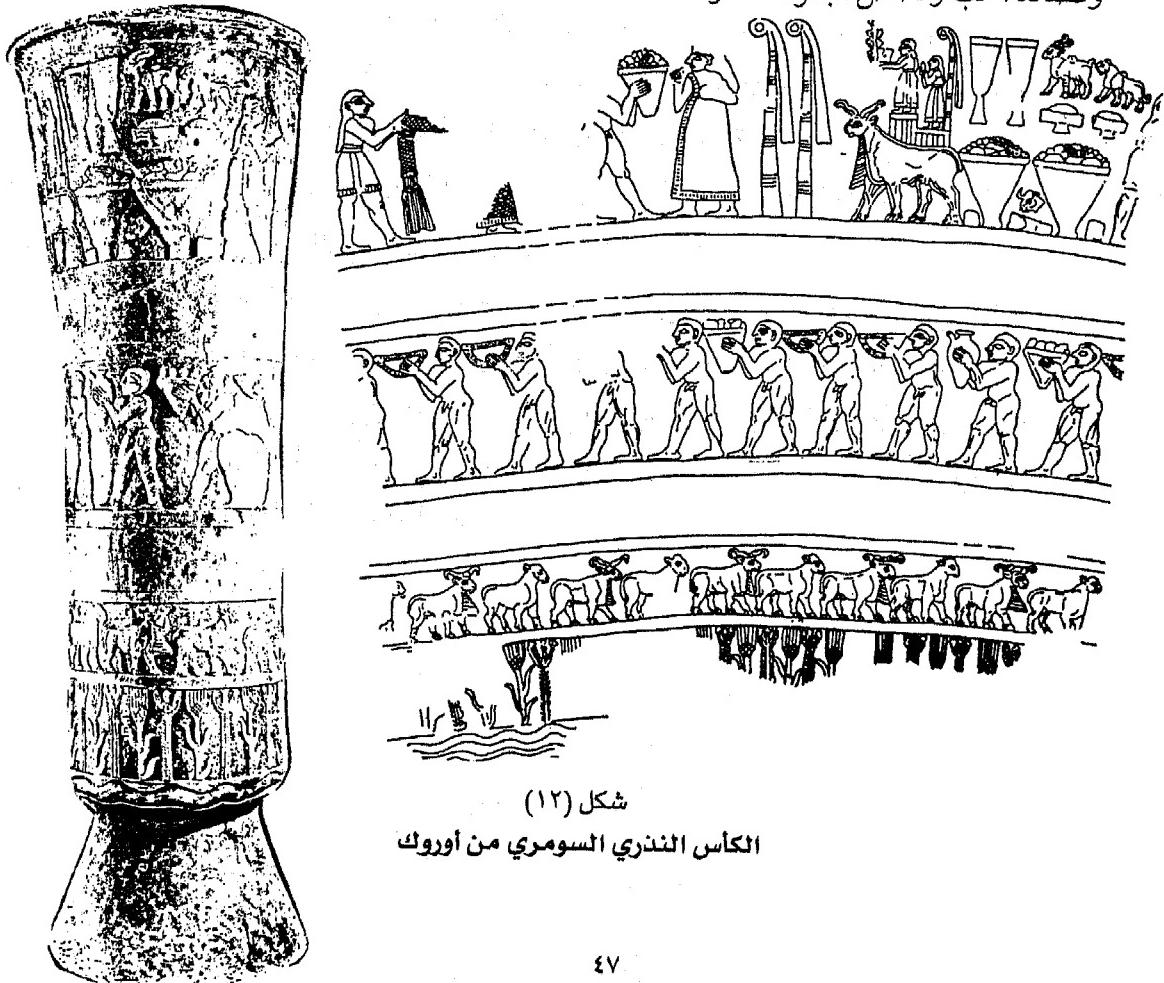
كانت دولة المدينة مكونة من العاصمة وهي المدينة المركزية التي تتبعها مدن صغيرة وقرى وأرياف وأراضي زراعية ، وكان جنوب وادي الرافين يزدحم بهذه المدن ومرافقاتها عمراناً وعمارة وحياة نوعية متخصصة ، وكان لمعظم المدن السومرية أسوار تحيط بها .

أما الحياة الدينية لهذه المدن ولمجمل سومر فستتناولها بالتفصيل في الفصول القادمة ، ولكننا نود القول أن الدين السومري كان أول نظام ديني عميق ابتدأ بـ العصور التاريخية للإنسان ، فقد كانت أديان ما قبل التاريخ تفتقر إلى الشبكة النظامية الدقيقة التكوين والموحدة الإيقاع في العقيدة والطقوس والمتلوجيا ، وكان ظهور الدين السومري ثورة روحية عميقة في عصره لأنه كان نظاماً دينياً شاملًا ، ثم أنه احتوى ضمناً أغلب بذور وجود الأديان التي ظهرت بعده في المراحل التاريخية للإنسان .

وظهرت في سومر تقسيمات الأرض الزراعية التي كانت عملياً كلها ملك الإله ، ولكنها مقسمة إلى ثلاثة أنواع الأولى تابعة للمعبد والثانية تابعة لعمال المعبد والثالثة تؤجر لل فلاحين . أما المجتمع فقد ظهرت فيه انقسامات طبقية واضحة تقع الطبقة الحاكمة على

رأسها ومعهم الارستقراطيون والكهنة وشيوخ المدينة ، أما الطبقة الثانية فقد كانت من عامة الناس من (الأحرار) وهم الطبقة الوسطى كال فلاحين والصناع والأجراء ، والطبقة الثالثة تكون الأتباع الذين يعملون في أرض المعبد والصناعات المختلفة والذين يتبعون للأرستقراطية السومرية . والطبقة الرابعة هم العبيد الأرقاء التابعين للمعبد أو القصر وأغلبهم من العاجزين عن دفع ديونهم أو الأسرى أو المشترى .

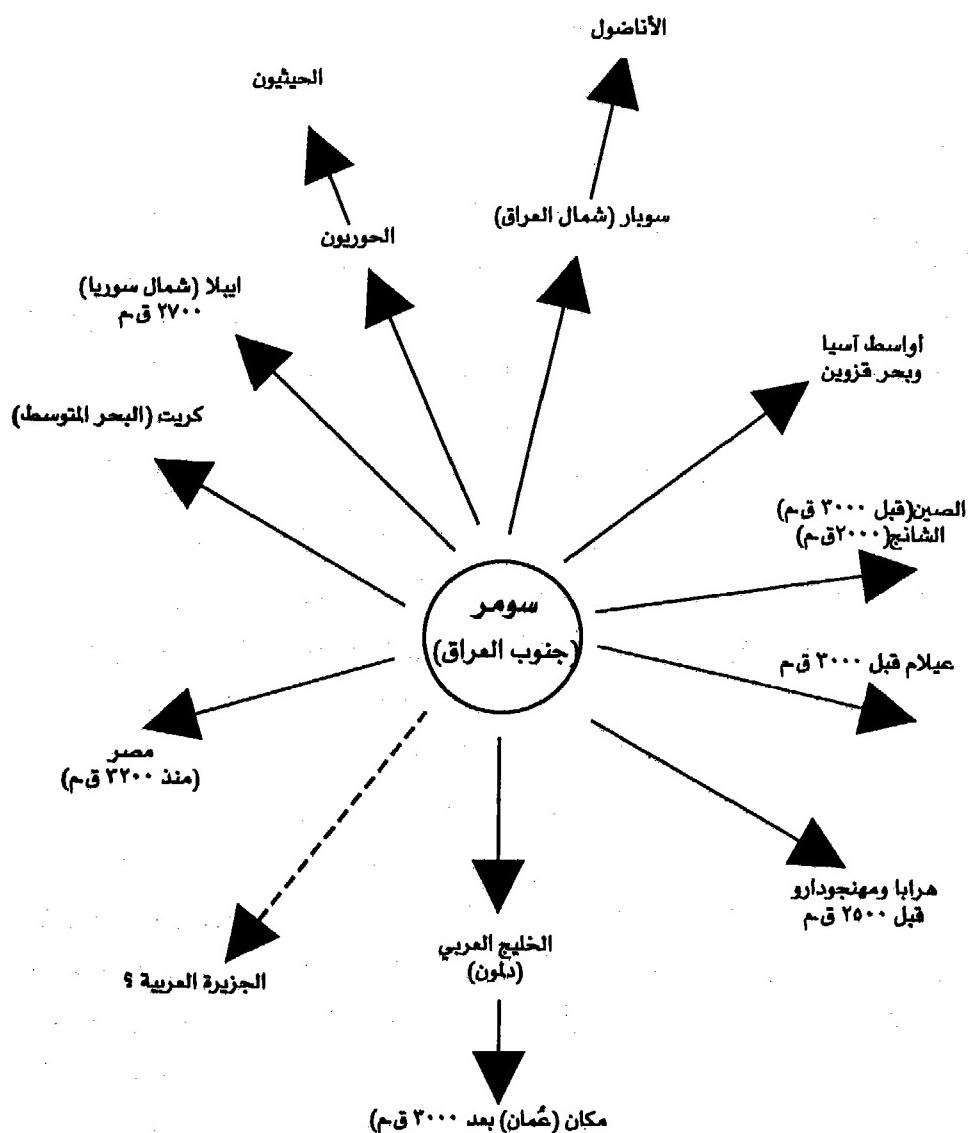
ولا نريد ان نستطرد أكثر في مجال الانجازات الحضارية فنقول أن أول المدارس النظامية وفكرة المعلم والتلميذ والواح المدرسة ظهرت في هذه المرحلة ، وأن أول الشرائع والقوانين ظهرت . وان علوم الطب والكميات والرياضيات والفلك ظهرت ، وان أول تصورات الإنسان عن الكون وفلسفه الخلق والوجود وأول الملائكة والاساطير المدونة وقصائد الحب وقصص البطولة قد دونت .



شكل (١٢)  
الكأس النذري السومري من أوروك

وكان لابد لهذا الكتز الحضاري السومري المدون ان ينتشر الى أصقاع الأرض  
المحيطة به أولاً ثم البعيدة عنه . ويفيدوا ان فكرة انتشار المنجزات الحضارية قبل هذه  
المرحلة ، وفي هذه المرحلة من خلال الكتابة وغيرها هي التي أوحت لمخترعى نظريات  
الأصول السومرية بالبحث عن أصل السومريين خارج أرض الرافدين .. لكن الحقيقة هي  
أن الأمر معكوس تماماً فإذا عكسنا رأس الأسهم في المخطط رقم (١) الذي هو عن  
نظريات أصول السومريين من خارج وادي النهرين فإننا سنحصل على المخطط الحقيقي  
لانتشار الثقافة السومرية إلى هذه «الأصول المزعومة» ؟ وإذا زودنا المخطط الجديد بالسنين  
والوثائق فستكشف الحقيقة كاملة (انظر المخطط ٤) وسنرى أن ذلك الانتشار الحضاري  
السومري كان ضرورياً للسومريين أيضاً ، فالنمو العظيم للحضارة السومرية كان يحتاج  
من أماكن خارج وادي الرافدين إلى أمور كثيرة ، فالذهب من ميلوخيا ووادي الهند  
واللازورد من برخشان Badkhshan والاحجار الجيدة لصناعة الأواني من الجبال الإيرانية  
في الشرق والفضة من «جبل الفضة» ، ربما طوروس والنحاس من ماجان Magan ومن  
ساحل البحر العربي . والاخشاب من سلسلة الجبال الشرقية .. وكانت بلاد سمر مرتبطة  
في ذلك الوقت بخطوط تجارية مع معظم العالم المعرف آنذاك ، (بوتيرو ١٩٨٦ : ٥٨).

أما التأثير الأكبر الذي مارسته الحضارة السومرية فهي وادي الرافدين نفسه  
وخصوصاً على الأقوام السامية التي بدأت تدخل العراق خلال الآلفين الرابع والثالث قبل  
الميلاد والتي كانت علاقتها ودية مع السومريين واعتبرت جزءاً من سكان وادي الرافدين لا  
غريبة عليه .. حتى اذا ما استوعبت هذا التراث السومري وهضميته وكان عدد هذه الأقوام  
يتزايد قياسياً للسومريين ، ففازت الى مرحلة الحكم السياسي للعراق القديم وهو ما فعله  
الاكديون (الساميون) كما سنرى .



#### مخطط (٤)

انتشار الحضارة السومرية ومنجزاتها خارج وادي الرافدين  
قبل وبعد ٣٠٠٠ ق.م. (مرحلة الظهور ودول المدن السومرية)

#### ٤ . مرحلة الدولة السومرية (مرحلة لوکال زاگيري)

(٢٤٠٠ - ٢٣٧١) ق.م.

كان عصر دول المدن السومرية عصر حضارة وبناء وسلام سياسي ، لكنّ الجزء الاخير منه شهد توّراً سياسياً بدأ بين سلالتين متنافستين في لگش وأوما . بدأ أو لاً بينهما حول مياه الري والأراضي الزراعية وتحديد الحدود ، وختّم بينهما بظهور ملك (أوّما) القوي لوکال زاگيري الذي قضى على سلالة لگش في زمن آخر ملوكها اوروکاجينا (الذى يقرأ اسمه الآن اورو أنيمكينا) وهو مصلح اجتماعي كبير ونحن نعتبره أول مشرع في سومر ، ولكن العنت السياسي للوکال راگيري جعله يندفع باتجاه المدن السومرية الأخرى فحكم اوروک ثم سقطت المدن السومرية بيده واحدة بعد الأخرى ، حتى لقب نفسه (ملك سومر) وتأسست بذلك مملكة أو دولة سومرية واحدة هي الأولى من نوعها في التاريخ .

وإذا أردنا التوقف قليلاً عند هذا الحدث الخطير فإننا بروح الموضوعية نقول أن ظهور دولة سومرية واحدة كان مقدمةً لزوال سومر كلها .. لأن سومر ابتكرت نظاماً سياسياً عظيماً هو (دويلات المدن) وكان الحكم فيها يعتمد على الامركزية السياسي وهو نوع من الكونفدرالية الذي كان يلائم حياة ذلك الوقت .. ولم يعُق ذلك النظام ان يكون هناك كيان سومري وحضارة سومرية عظيمة ، لكن استخدام القوة والسيطرة المركزية كانا من السوابق التي ستتكرر بطريقة سيشهد فيها التاريخ زوال سومر نفسها ، فقد دام حكم دولة زاگيري السومرية الموحدة بين (٢٥-٢٩) سنة .. وهناك ما يقال عن زاگيري هذا بأنه توسع في دولته وحولها الى امبراطورية تعدد حدود وادي الرافدين وشملت سوريا ، وهذا ما نراه مدوناً في سنديانة حجرية مكراسة لإنليل في نفر تدور حول فتوحات لوکال زاگيري :

«عندما وهب إنليل ، ملك كل البلدان ذات السيادة ، الملكية على الوطن (سومر) ، ووجه أنظار الأمة اليه ، وجعل كل البلدان تتظره ، وجعل كل فرد ، من حيثما شرق الشمس إلى حيثما تغرب الشمس ، يستسلم له . بعد هذا ، ضم إليه أقدام كل شخص من البحر الأسفل (الخليج العربي) ، وعلى امتداد دجلة والفرات ، وحتى البحر الاعلى (البحر الابيض المتوسط) ، لم

يُيق لـه انليل أى منافس من حيثما تشرق الشمس إلى حيثما تغرب ، فخضعت له كل البلدان ذات السيادة لسيطرته (كالأبقار) في المراعلى ، وكانت الأمة تروي (حقولها) بمحبور في ظل حكمه ، وانحنى له كل حكام سومر التابعين وكل امراء البلدان المستقلة أمام مكتبة التحكيمي في أوروك ، ، (رو : ١٩٨٤ : ١٩٨) .

ورغم وجود ما يشير إلى ظهور المؤثرات السومرية الثقافية في هذه الأصقاص منذ المرحلة السابقة إلا أننا لا نستطيع أن نجزم سياسياً بظهور امبراطورية سومرية في عصر لوگال زاكيزي ، رغم أنها نستطيع أن نؤكدها تماماً ظهور دولة أو مملكة سومرية موحدة في عصره شملت جنوب وشمال وادي الرفدين ودامت أكثر من ربع قرن بقليل .

ويبدو أن هذه الفترة من ظهور الدولة السومرية المتراكمة الاتراف أثارت شهوة رجل غير سومري الأصل كان يعيش في دولة سومر هذه ، وهو من اصل سامي ، كان يعمل (حاملاً كاس) أو نادل ملك كيش (أور - زبابا) السومري . فبدأ يخطط ليكون توتاليتارياً سياسية عراقية كالتي فعلها لوگال زاكيزي وأكثر ، وقد كان مما يسانده تماماً زيادة العنصر السامي على حساب السومري والوجود الكثيف لهم في المدن السومرية ذلك الرجل هو (سرجون الأكدي) الذي أطاح بلوگال زاكيزي واسس الدولة ثم الامبراطورية الأكادية (٢٧٣١ - ٢١٥٤) وعاصمتها أكاد ، أي أنها دامت بحدود قرن ونصف وتوسعت خلالها وشملت الأقطار المجاورة فصارت أول امبراطورية في التاريخ ، ولقد نوهنا ان هاجس التوسيع والسيطرة الذي بدأ به زاكيزي أدى إلى هذه النتيجة التي نرى أنها حطمت التنوع وأمكنيات نمو حضارات محلية مهمة وأنعشت هاجس التوسيع وفتح البلدان والقصوة عليها ، وعلى شعوبها وربما تدميرها . . وهو ما سيتصف به تاريخ الشرق الادنى القديم بأكمله . . وما سترثه اليونان مع الاسكندر وروما . . الخ.

لقد كان انتقال السلطة من السومريين إلى الأكديين سلبياً بسبب العلاقة التاريخية التي تربط الشعبين ويسبب احتضان سومر لقرون طويلة وتهذيب امكانيات التطاحن بينهما « ومن الامور الحضارية التي يجدر التنويع بها موضوع انتقال السلطة السياسية إلى الأكديين الساميين انتفاء الصراع القومي الذي كان يفترضه الباحثون القدماء ما بين الساميين وبين السومريين على أن من شأنه أسباب قومية . اذ الواقع من الامر ان الملوك

الاكديين إذا كانوا قد اتخذوا القسوة إزاء بعض المدن السومرية فإن سبب ذلك لأنها أعلنت الثورة وليس لأن أهلها من السومريين وأنهم ساروا على السياسة نفسها تجاه بعض المدن الاكدية إذا أظهرت العصيابان (باقر ١٨٧٣ : ٣٥٥) أما الثقافة السومرية فلم تتقوض أو تذوب خلال القرنين الاكديين بل اكتسبت عناصر جديدة منشطة من الاكدين مثلما منحت هي الارض الخام التي بنت الحضارة والثقافة الاكدية نفسها عليها . . و حتى على المستوى السياسي بقي بعض حكام المدن السومرية الذين من أصل سومري يحكمون مدنهم ، ولو لا هذا الامر لما استطاع السومريون بعد ان اسقط الكوتيون الامبراطورية الاكدية طرد الكوتيين واستعادة وادي الرافدين بأكمله .

حكم الدولة الاكدية عشرة ملوك اشتهر منهم الخمسة الأوائل، ثم استطاع الكوتيون وهم من اقوام جبال زاغروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع ايران القضاء على الدولة الاكدية وورثوا أغلب مدنها خصوصاً الشمالية منها وحكموا (١٢٥) عاماً لم تقدم خلالها أي ثقافة أو حضارة للعراق بل خربت مدنه ودمرت بعض جوانب حضارته، أول ملوكهم (شارلگاب) وما لبثت قليلاً في جنوب العراق حتى انسحب إلى الشمال واتخذت مدينة (أرابخا) أي كركوك مركزاً لهم بحيث مهد مثل هذا الجو العودة لدول المدن السومرية للتطور والانتعاش، فظهرت سلالة حاكمة في الوركاء حكمها خمسة ملوك. وظهرت سلالة لکش الثانية التي بعثت الحياة في الروح السومري من جديد خصوصاً في عصر ملوكها (کوديا). وقد حكم فيها (١٣) ملكاً سومرياً، ثم ظهر في اوروك مؤسس السلالة الخامسة لها وهو (اتو حيگال) الذي كان قرياً فقام بطرد الكوتيين من وادي الرافدين كله واعاد السيادة السومرية على البلاد، وبيدو أنه قام بمحاولة تسوية من مديتها لکش وأور التابعين له ، لكن حاكم مدينة أور واسمها (أورنّمو) انفصل عنه، ثم تغلب عليه واسس سلالة سومرية جديدة هي سلالة أور الثالثة التي قدر لها أن تعيد المجد السومري وتجعل في سومر إمبراطورية جديدة .



شكل (١٤)  
أورنانشة أمير لکش



شكل (١٣)  
کودجا أمير لکش

## ٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية ( سلالة اور الثالثة )

( ٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م )

دام حكم سلالة اور الثالثة زهاء القرن الواحد لم تكتف فيه بتوحيد المدن السومرية بل واستطاعت مد نفوذ سومر الى خارج وادي الراافدين مقلدة ما فعلته الامبراطورية الاكديه ، فقد شملت فتوحاتها أغلب الشرق الأدنى وبالاضافة إلى شمال الراافدين وصلت فتوحاتها الى عيلام وسوريا ووادي المخاور والبالغ والجزاء الشرقيه من آسيا الصغرى ومناطق الخليج العربي .

وتحكم في سلالة اور الثالثة خمسة ملوك هم ( اور - نمو ، شولكي ، أمارسين ، شوسين ، أبي - سين ) .

وخلال هذا القرن السومري الأخير أجز السومريون أعظم انجازاتهم في جميع الحالات وثبتوا أركان حضارة كبيرة ستكون أساس ما بعدها ، فقد انتعشت الثقافة السومرية القديمة بالمصل الاكدي الذي أضاف لها الكثير وبذلك نشأت ثقافة سومرية جديدة اصبحت أكثر قدرة على منح العالم القديم ( الذي بدأ ينهض ويوسس دولة وحضاراته ) رؤية عالمية نشطة وقوية .

لقد كان الملك السومري أورنماو ( ٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م ) هو أكثر ملوك سلالة اور شهرةً وعظمةً ، فقد كان مهتماً بالبناء والعمaran في كل سومر ، وتعتبر زقورة اور التي بُنيت لإله القمر ( نانا ) من أشهر وأروع انجازاته العمرانية . كذلك يعتبر من أقدم المشرعين في التاريخ فقد وصلت شريعته المدونة باللغة السومرية ، والتي تعكس إحساسه الإنساني بالعدل وستة لقوانين الغرامات المالية بدلاً من القصاص الجنسي ( العين بالعين ) وهو ما سنته لاحقاً شريعة حمورابي .

ويعتقد أن السبب العميق لسقوط الامبراطورية السومرية هو سبب اقتصادي ، فقد أصبح من العسير على بلد بدأت الملوحة تصعد في أرضه الخصبة ويقل انتاجه الزراعي ، ان يقوم بعد الغذاء والحياة الهائمة لأصدقائه البعيدة .. وان يلتفت لادراتها بصورة صحيحة .

أما الأسباب السياسية والعسكرية فقد كانت مباشرةً وعنيفة فـ ، قد كان من الواضح ان قلب سومر في جنوب العراق أصبح بين فكين شرسين الأول أتى من الشرق حيث هجم

العيلاميون على المدن السومرية وخرابوها . والثاني أتى من الغرب حيث هجم الأموريون ( وهم ساميون جدد ) على سومر وأمسكوا الحكم في مدنهم ثم استطاعوا طرد العلاميين من وادي الرافدين وأصبحوا هم ملوك السلالات والممالك الجديدة ثم وحدت العراق احدى السلالات الآمورية وهي سلالة بابل الأولى .



شكل (١٥)

**الملك أورنيو أمّا الإلهة تنگال زوجه الإله القمر في أور، متحف فيلادلفيا**

هكذا زال الكيان السياسي للسومريين إلى الأبد، ولكن حضورهم الثقافي كان الأساس الذي بنيت عليه حضارات العراق القديم كلها، كما أن اللغة السومرية ظلت تستخدم كلغة دين وعلم لفترات لاحقة.

كانت الامبراطورية السومرية في أواخر حكم اباطرتها قد بدأت بالتفكك فقد انفصلت عنها عيلام، ثم انفصلت المدن السورية، أما مدن وادي الرافدين فقد تشكلت مثل رقع موزايكية من المالك الكبيرة والصغيرة ، ففي جنوب وادي الرافدين ظهر صراع حاد بين ملكتي إيسن ولارسا لاحتلال مركز اور وحكم بلاد سومر واكذ. أما في الشمال وادي الرافدين فقد ظهر صراع حاد بين ملكتي أشنونا وأشور للسيطرة على الطرق التجارية الكبيرة وعاد العراق بالتدریج مفككاً إلى دول مدن جديدة سامية هذه المرة حتى ظهرت سلالة بابل الأولى التي اعادت الوحدة له تحت حكم سامي قوي .

إن التاريخ السومري يظهر لنا متدرج التطور ، فمن الأصول الزراعية البعيدة لفلاسي الشمال العراقي إلى الظهور الواضح والزعamas والكهانات في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد إلى ظهور دول المدن السومرية إلى ظهور دولة سومرية واحدة إلى ظهور الامبراطورية السومرية ، وهو تاريخ يستحق التأمل وإعادة الفحص دائمًا بسبب من كونه أول تاريخ مكتوب في العالم لأول حضارة تدرجت سياسياً من حكومة المجلس إلى المدينة إلى الدولة إلى الامبراطورية .

## الفصل الثاني

### المثولوجيا السومرية

(دراسة في الأساطير والآلهة السومرية)





يتكون كلّ دين ظهر على وجه الأرض من مكونات رئيسية كبرى وأمن مكونات ثانوية ملحقة بها ، والمكونات الأساسية لكلّ دين هي (المعتقد ، الأسطورة ، الطقس) . أما المكونات الثانوية فتتضمن (الأخلاق والشرائع) (انظر السواح ١٩٩٤ : ٤٧) .

ونري أن أهمية كل عنصر من هذه العناصر الأساسية أو الثانوية تتغير طبقاً إلى نوع الدين وطبيعته فالآديان البدائية تضع الطقس في أولوياتها ، والأديان الجوهرية (آديان الشرق الأقصى) تضع المعتقد ثم الطقس في أولوياتها ، والأديان الإلهية (آديان الشرق الأدنى وحوض المتوسط) تصنف الأسطورة في أولوياتها مصدرأً للمعتقد والطقس (انظر الماجدي ١٩٩٦ : ٧٨) .

وتلعب الأساطير السومرية دوراً أساسياً في الدين السومري فهي منهل عقائده وطقوسه ولذلك آثرنا تفصيل الحديث عنها أولاً ، ثم أن هذه الأساطير بنظامها الكوزمولوجي واللاهوتي المحكم وشجرة آلهتها الوارفة كانت جوهر كل مثولوجيات الأديان التي جاءت بعدها .

سنحاول أن نجعل من هذا الفصل درساً روحياً وفكرياً لا سرداً اسطورياً تقليدياً ، لذلك سنرسم كوزمولوجيا اسطورية سومرية من خلال هذه المثولوجيا لتكون قاعدة أساسية لفهم الأساطير وحركة الآلهة ، كذلك ستنظم (لأول مرة كمانعتقد) شجرة أنساب مفصلة للآلهة السومرية وتنفصل في شرح البانيون (مجمع الآلهة) السومري وننظر في تصنيفات الآلهة وتبنيهم ، وسيتم خلال ذلك سرد الأساطير السومرية بطريقة تلائم هذا التصنيف وتجمع ضمته .

المثولوجيا ، قبل كل شيء ، هي علم دراسة الأساطير ، والأسطورة هي حكاية مقدسة أو هي بتعريف أوسع ، حكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومرتبطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد ، بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى ، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة ، لا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي ، ، (الماجدي ١٩٩٧ : ٢٨) .

ويرى مرسي娅 الياد « أن الاسطورة تروي تاريخاً مقدساً ، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي ، الزمن الخيالي ، هو زمن (البدايات) ، بعبارة أخرى تحكي لنا الاسطورة كيف جاءتحقيقة ما إلى الوجود ، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا ، لا فرق بين ان تكون هذه الحقيقة كلية كالكون Cosmos ، أوجزئية كأن تكون جزيرة أو نوعاً من نبات أو مسلكاً يسلكه الإنسان أو مؤسسة ، إذن هي دائماً سرداً لحكاية «خلق» : تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء ، كيف بدأ وجوده ولا تتحدث الاسطورة الاً عمما قد حدث فعلاً ، عمما قد ظهر في كل أمثلائه . أما أشخاص الأساطير فـ«كائنات عليا» (الياد ١٩٩١ : ١٠) .

## تصنيف الأساطير السومرية

رغم وفرة عدد لا يأس به من المصادر والكتب الأجنبية والعربية التي تتحدث عن الأساطير السومرية ، إلا أن عدداً قليلاً منها يتخصص بها كلياً ، وأغلبها يقع في التعميم فيخلطها مع الأساطير البابلية والآشورية .

لقد وجدنا انه من الضروري ، بل ومن العملي بمكان ، فصل وعزل هذه الأساطير لوحدها والحديث عنها بالكثير من الدقة والتروي والعمق .

ما زال كتاب صموئيل نوح كريمر (الأساطير السومرية) هو المرجع الأساس في هذا الموضوع ، إلا أن هذا الكتاب ، رغم أهميته ، صدر منذ زمان بعيد وظهرت بعده نصوص مسمارية كثيرة تعنى بالسطورة السومرية ، ثم أن علم الأساطير (المثولوجيا) تطور تطوراً كبيراً ومنحنا آليات عمل وتحليل لم تكن واردة في زمن صدور ذلك الكتاب .

رغم ذلك نعود الى كريمر الذي قال قبل حوالي ثلاثة عشر سنة « أنه بات متوفراً لدينا الآن حوالي عشرين اسطورة وتسع وقصص ملحمية وما يزيد على مائة ترتيلة وصلة .

ونحو عشرين قصيدة غنائية وحوالي عشرين قصيدة أخرى من نوع المرائي - تزيد في مجموعها على عشرين ألف بيت من الشعر السومري» (كريير ١٩٨٦: ٥٥).

ويرغم الكثير من الطرق التي عرضت فيها الأساطير السومرية الآنا وضمنها تصنيفاً يتناسب مع ما هو متوفّر منها ويأخذ بنظر الاعتبار الطريقة العلمية في تصنيف الأساطير وهي كما يلي :

### ١. أساطير الخليقة (التكوين) *Myth of Gensis*

أ- الأساطير النشكوبنية (الكوزموغونيا) *Cosmogony*

ب-أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا) *Thoegony*

ج-أساطير نشوء الإنسان (الانثروبوجونيا) *Anthropogony*.

### ٢. أساطير تنظيم الكون *Myths of Organization*

أ-أساطير المرتبطة بالإله انليل

١. أسطورة خلق الناس

٢. رحلة (نانا) إلى نفر

٣. إيميش وانتين

٤. لاهاي وأشنان

ب-أساطير المرتبطة بالإله إنكي

١. إنكي وتنظيم سومر

٢. إنكي واريدو والرحلة إلى نفر

### ٣. أساطير تدمير الكون *Myths of Destruction*

أ- الطوفان (أسطور الدمار القادم من العالم الأعلى)

ب- التنين (أسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

١. التنين كور والآلهة (إنكي ونورتا وأنانا)

٢. التنين أساج والاله نورتا

#### ٤ . أساطير إنانا Myths of Inanna

١ . إنانا والألهة (آن ، انليل ، انكي)

٢ . إنانا ودموزي

٣ . إنانا وملوك سومر (كلكامش ، شوطيجي ، شوسين ، ايدن داجان ، ايسمى داجان)

٤ . إنانا والانسان (شوكتيودا ، بيلولو)

٥ . إنانا والعالم الآخر

أ. إنانا وجبل إبيخ

ب. إنانا وكور

ج. هبوط إنانا إلى العالم الأسفل

تميز الأساطير السومرية بقدمها وعراقتها وأصالتها قياسياً إلى كل مثولوجيات العالم الأخرى، فقد كانت ولا شك في بدايتها قبل ٣٠٠ ق.م شفاهية وغير مدونة ، ثم بدأ السومريين تدوينها ، ويرى كريمر أن أقدم الأساطير السومرية المدونة وصل اليها مكتوبآ باللغة السومرية على إسطوانة من الطين مقسمة إلى عشرين حفلاً وتعود إلى حدود ٢٤٠٠ ق.م وهي اسطورة تتعلق بالاله انليل والالهة نتخرساج (انظر Kramer 1963: 168)

ولم يكن الشاعر السومري الذي كتب الأساطير (أو القصائد الشعرية) عارفاً بالوزن والقافية (كما في العصر الأكدي ثم البابلي الآشوري) لذلك جاءت قصائد، وأساطيره أشبه ما نسميه اليوم بـ(قصيدة الشر) ولكنها كانت مشروطة بتقنيات تعوض عن الوزن والقافية وهذه التقنيات هي (التكرار والمقابلة والوصف والتشبيه).

ويرى كريمر أن السومريين استخدمو التشبيه على نطاق واسع ويدو أنه كان التقنية الشعرية الرئيسية ، وقد اعدت دراسة لأكثر من عشرين غوذجاً تمثل جميع الأجناس الأدبية ورغم ظهور المقارنات التي كانوا يفضلونها والتي لم تكن بالخيالية ولا بالعميقة، إلا أنها

تعكس درجة من رهافة الحس ذات صلة بالعالم الطبيعي والحيواني كصلتها بعالم الانسان ومصنوعاته (انظر كرير ١٩٦٨ : ٦٥).

وتحفل الاساطير السومرية بمبدأ التشبيه الانساني (Athropormohpism) حيث تشبه الآلهة بالبشر تماماً في كل سلوكها وشكلها وولادتها واحياناً موتها (وهو نادر لأن الآلهة تتصف بالخلود) واحياناً لا نشعر مطلقاً أننا امام إله أو آلهة بل أمام إنسان عادي أو ملك أو حكيم .

ونختلف تماماً عن الاستاذ صموئيل نوح كرير الذي يرى أن معظم الاساطير السومرية اساطير سببية Etiological Myths اي أنها تحاول أن تفسر الاحداث الكونية وتخلق لها قصصاً مناسبة ونرى أنها اساطير منوعة فيها التأمل والسببية وهي صدى لعصرها وللطبيعة التي نشأت فيها ، وفيها ما هو رمزي وفيها كيفية تنظيم الكون وتطوره وليس أسباب وجوده فقط .

ولم تكن الاساطير السومرية شعائر مقروءة في الممارسات الدينية ، وليس هناك ما يشير الى أن هذه الاساطير كتبت لتمثيل أو لتكون جزءاً من الدراما الطقوسية بل كانت أشبه بالنصوص المقدسة يرى فيها السومري إنما رأوه الاجداد وعرفوه عن بدايات الأشياء أو عن تاريخها المقدس كما يقول مرسيا الياد ، ولذلك ايضاً لم تكن تعامل كنصوص أدبية فيها قوة وغنى التعبير. بل كنصوص حقيقة لا خيال ولا شطح فيها .

وأنه لما يشير الانتباه حقاً ما لاحظه كرير من أن الاساطير السومرية كانت على صلة بالمدارس ودور العلم السومرية (اي دُبّا E-dubba) او بيوت الالواح اكثراً من صلتها بالمعابد . وكانت مادة للتعليم والاستنساخ ولم تكن مادة للوعظ والكهانة فقط ، فقد عثر في مدينة نفر (وهي العاصمة الدينية المقدس لسومر) على اساطير والتراويل والمرثيات في التل المعروف بـ (حي الكتاب Seribal quarter) ولم يعثر عليها في معابد نفر الشهيرة .



## القسم الأول

### أساطير الخليقة والنشوء (التكوين) السويسرية

Myths of Gensis (creation)

لا شك أن جوهر الاسطورة وبوئتها الحقيقة تكمن في أساطير الخليقة والنشوء، لأنها تشير إلى الأول دائمًا (الكون والعالم الأول)، الآلهة الأولى، الإنسان الأول . ولذلك توجج هذه الأساطير الشوق إلى معرفة الأصول ، وهو شوقٌ أصيلٌ في الروح الإنساني ونزعه من نزعاته القوية . ونجده في مثل هذه الأساطير ما يمّسّ أعماقنا الفضفية أو المستوى الضمني Emplicate Order الذي تحدث عنه (ديفيد بوم) سواء كان في الكون المحكى عنه في الاسطورة أو الكون العميق الذي في داخلنا كمتلقين للإسطورة .

سيطر البحث عن أصول اللغة والمجتمع والفن والأجناس والدين وغيرها على علماء الإنسانيات في القرن التاسع عشر ، مثلما سيطر على علماء الطبيعة معرفة أصل الأرض والفلك ، ولمعرفة أصل الكون والبايولوجيا ولمعرفة أصل الحياة (انظر الياد : ١٩٩٤) .<sup>٢٧</sup>

إن أساطير نشوء الكون وظهور سلسلة الآلهة من أقدمها و أكبرها إلى أصغرها وأحدثها أو كيفية خلق الإنسان .. لم تكن تسير وفق أقاصيص اعتباطية ورؤى وأخيالٍ كيفية ، برغم أنه كان يخضع لتداولٍ أجيالٍ متعددة ، إنها مشيدٌ بنيةً محكمةً خفيةً تحملُ

ابعاداً فيزيائية وبايولوجية صحيحة . . وهذا يدل على أن الإنسان لم يكن يرمز قصدياً للظواهر وال موجودات برموز الـهـيـةـ ، بل لم يكن الشيء ينفصل عن رمزه مطلقاً «ويرجع هذا إلى إحساسه بوحدة الحياة وقدسيتها . . أما شعوره بوحدة الحياة فيرجع إلى تصوره أن حياته الزمنية تعكس تماماً نظام الكون ، أو هي ونظام الكون شيء واحد يدور في ذلك من الصراع بين القوى الإيجابية والقوى السلبية وقد ترتب على هذا شعوره بقدسية الحياة ابتداءً من أدنى مظاهرها إلى أعلى مظاهره ، (ابراهيم ١٩٧٩ : ٧٧) .

وقد سبق لنا أن صنفنا أساطير التكوين إلى ثلاثة أنواع ، الأولى يخص الكون والطبيعة خلقاً ، والثانية تخص الآلهة وكيف توالدت عن بعضها وستمر بما نراه مناسباً من صفات وأساطير كل الله ، والثالثة تخص الإنسان الذي تعددت طرق خلقه من قبل الآلهة السومرية كما سنرى .

## أ. الأساطير النشكوتية (نشوء الكون : الكوزموغونيا ) Cosmogony

لم يعثر إلى الآن على اسطورة كوزموغونية سومرية خاصة (مثل اسطورة الخلقة البابلية) ، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها ، فربما ستتجسد بها أرض سومر ذات يوم ، وكذلك لا يعني عدم وجود تصورات ميثوية حول هذا الموضوع ، فهناك العديد من مقدمات بعض القصص والأساطير والأغانى والأنشيد والترايل التي تعطينا تصوراً نشكوتياً واضحاً عند السومريين ومنها قصة (كلكامش وانكيدو) ومقدمة اسطورة (الماشية والخطة) وأسطورة (خلق الفأس) وبعض الترايل والإشارات هنا وهناك .

تسمى الأساطير السومرية أول أيام الخلقة (أوريا Uria) ففي ذلك اليوم بدأ الانتقال من مرحلة العماء (Chaos) إلى مرحلة الكون (Cosmos) وقد تم ذلك من خلال الانشى الكونية المائية الأولى ثـو Nammu وهي إلهة هـيـوـلـيـةـ تـحـرـكـتـ فـيـهـاـ إـرـادـةـ الـخـلـقـ وـتـصـارـعـتـ الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن - كي) ويعني (السماء - الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه ثـوـ ، وبذلك تكون أيضاً (المكان الأول) .

إن ثـوـ كانت غمراً من المياه وهي أم الوجود كلـهـ ، البحر الذي لا حد لقدمه والذي

يشتمل على كل الأنظمة والحكمة والالوهية الصافية، أنه الجامع للغمر وللآلهة . ويندر هذا بفاححة التكوين العبري - وكان الله يرّف على وجه الغمر - ولذلك تعتبر تو هي أم جميع الأشياء والنوميس وتسمى (أما - تو - آن - كي) أي الأم التي ولدت السماء والارض ، وتسمى أيضاً (أما - باليل - و - تو - دنكر) أي الأم الاولى التي ولدت الآلهة (انظر الموراني ١٩٧٨ : ١٣٣) .

إن الزمن الأول (أوريما) والمكان الأول (آن - كي) يشكلان في ذهن كل شعب من الشعوب نقطتين عميقتين في الوجودان ، وتبسيط عليهما صفة القدسية الكاملة ، ويتتحولان إلى جذر للزمان المقدس ، وجذر للمكان المقدس.

إن الزمان المقدس «هو زمان ميطيقي ، بدئي ، لا يتواجد مع ماضٍ تاريخي ، زمان أصلي بمعنى أنه انشق «فجأة» لم يكن مسبوقاً بزمان آخر ، لأنه ما من زمان يمكن أن يوجد قبل ظهور الحقيقة التي ترويها الاسطورة» (إلياد ١٩٨٧ : ٧٠) .

إن الزمان الأول الذي انشق عن الكوزموغونيا السومرية أصبح الزمان المثالي لكل الأزمنة الأخرى ، وأحيط بالقداسة بل أصبح هو جزءاً من (المقدس) ، وبذلك كانت تتم استعادته سنوياً مع اعياد رأس السنة السومرية ، فأيام الاعياد هذه أيام مقدسة تقطع مجرى الأيام الدنيوية العادبة لبقية العام .

عبارة أخرى «يكون في العيد إسترجاع لأول ظهور من الزمان المقدس كما حصل في الأصل ، «في ذلك الزمان» . ذلك لأن الزمان المقدس الذي يجري فيه العيد لم يكن له وجود قبل «البواحد» الالهية التي يجري إحياء ، ذكرها في العيد ، (إلياد ١٩٨٧ : ٦٨) .

أما المكان الأول (آن - كي) فكان يضم الأرض والسماء في حالة اندماج وإتصال وتصف الأدبيات الرافدينية هذا الجبل بأن نهائته في السماء وقاعدته المحيطة به هي الأرض ، وأن الآلهة تجتمع على قمته .

ويتحول المكان الأول في الأساطير وفي الوجودان الجماعي إلى (مركز العالم) أو (سرة العالم) ولذلك يولد العالم من هذا المركز ، ويتبين عن ذلك أن هذا المكان المثالي المقدس يصبح النموذج الأصلي أو البدئي لكل ما سيفعله الإنسان على مستوى المكان (السكن أو البناء أو التطوير لمكان) . «إن الاقامة في أرض تكرر فعل نشوء الكون . بعد أن

بينما للسمك من قيمة كوسموغونية، صار بوسمنا الآن أن نفهم بصورة أفضل لماذا يكرر كل بناء يشيده الإنسان خلق العالم إنطلاقاً من نقطة مركبة (السرة) على صورة العالم الذي ينمو ابتداءً من مركز ويتدحرج نحو الجهات الأصلية الأربع» (الإياد ١٩٨٧ : ٤٥).

وتحديثنا الكثير من ثقافات العالم عن جبال استطورية أو واقعية تقع في مركز العالم مثل جبل ميرو في الهند، وهرابر زايتني في إيران، وجبل جرينزيم في فلسطين، وجبل (البلاد) في وادي الرافدين وهو جبل استطوري يفسر لنا لماذا كان السومريون يرسمون بنفس العالمة الكتابية الجبل والبلاد باعتباره الجبل الكوني وليس لأن أصولهم جبلية!

كان (دووكو) يعني بالسومرية (الجبل المقدس) والمقصود بذلك مكان تجمع الآلهة في المنطقة الجبلية الشرقية لبلاد وادي الرافدين (تردد في استطورة لاها واشنان). وكان يقصد بالإسم (دووكو) في نصوص العصر البابلي الحديث المكان الذي كان يقيم فيه الإله مردوخ في معبده الرئيس في بابل ليقرر من هناك مصادر البشر (انظر اذرازد ١٩٨٧ : ٩٥).

وسيصبح المعبد لاحقاً تقليداً لشكل هذا الجبل الكوني، حتى أن اسم المعبد في الكثير من المدن السومرية كان يسمى (دور - آن - كي) أي (صلة ما بين السماء والأرض) أو إرتباط السماء والأرض ، فكلمة (دور) السومرية تبدو وكأنها إعادة دورية للجبل الكوني (آن - كي) في هيئة المعبد وكذلك الزقرة.

#### ١. المرحلة الكوزموغونية الأولى :

وإذا ذهبنا أعمق في التحليل المثولوجي لحادثة الخلقة السومرية فلا بد لنا أن نحلل شخصية الإلهة السومرية الأم الأولى (نم أو نامو) تحليلًا يتاسب مع قدسيّة (التكوين) الذي هو في رأينا جوهر أي مثولوجيا .

أنحدرت الطبيعة الانتوية للإلهة (نم) من عصور بعيدة ربما تعود إلى العصر الحجري الحديث (النيوليت) عندما سادت الإلهة الأم ذلك العصر كله طيلة أكثر من ثلاثة آلاف سنة شمال وادي الرافدين . وانحدرت الطبيعة الفيزيائية (المائية) لها من المحيط المائي الذي وجد السومريون نفسهم فيه خصوصاً الأهوار ومياه الخليج العربي ومياه دجلة والفرات وفروعهما .

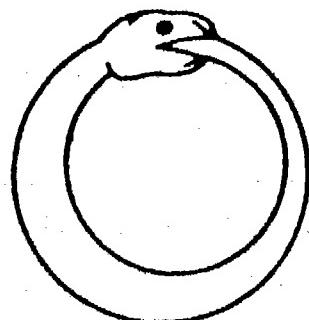
وهي إذ تقابل الإلهة الأم البابلية (تيامت) فإنها تختلف عنها اختلافاً جذرياً لأن

تيمات تمثل المياه المالحة ويعابها أبسو زوجها الذي يمثل المياه العذبة، لكننا لا نرى مثل هذا التمايز في (تمو) فهي إذن تمثل المياه بصورة المطلقة أو بصورةها المزدوجة (المالحة والعذبة) أي مياه البحار والأنهار . ورغم أن الآلهة (تمو) لا تذكر كثيراً في الأساطير ولا تعرف لها اسطورة خاصة بها ، إلا أن دورها كان عظيماً فقد ظهرت منها كل الآلهة والسمورية ، ولما جاء دور خلق الإنسان ظهرت الآلهة (تمو) كمساهمة في خلق الإنسان فهي إذن خلفت الآلهة والانسان معاً.

تمو ، إذن الاصل الحي الذي ظهر منه الوجود كله (العالم ، الآلهة ، الانسان) وكانت (تمو) تدل على الإكمال المطلق وعلى كل مادة الكون ، فهي غنية بنفسها ولا تعنيها المخلوقات ، لقد كانت الشعوب ترمز لامكالم الأنثى المائية الاولى بالاوربيوس « وكانت عذراء لأنها ابتدأت الكون ، فيما بعد ، من خصبها الذاتي دون معونة من مبدأ ذكري مشارك لها في إزلاها ، فتولدت عنها الموجودات كما يتولد النور من مصدر الاحتراق ، وإليها تعود الموجودات في نهاية الأزمان لتعنى فيها وتبقى وحدها لتلتئف على نفسها ، كما كانت ، دائرة مكتملة ، بعد أن يهدأ صخب الوجود وتسكن حركة السالب والموجب وتنصالح المتناقضات ) (السواح ١٩٩٣ : ١٥٨).

إننا نرى أن جدل السكون والحركة هو الذي جعل (تمو) تلد جبل الكون ولم يحصل ذلك بالفعل الجنسي الذي يراه طومسون حول هذا الموضوع عندما يرى أن الثنائية البدائية ليست هي ثنائية عنصرین اثنین مفردین بل هي ثنائية مكونة من نصفی قبیلہ واحدہ هما شخصیة جنسیة ذکریہ وانثیہ ، ذلك لأن رجال النصف الأول من القبیلہ تزوجوا مع

نماء نصفها الثاني (انظر 69: Thomson 1961).



شكل (١٦)

الأوريوس (الاقفعي التي فمهما في ذيلها)  
الام الكونية الأولى

ويكمننا من منطلق جديد ، مناقشة مبدأ الخلق الكوني (الكوزموغوني) في المثولوجيا السومرية عن طريق الكلمة (أو ما تسمى في اليونانية وال المسيحية باللوجوس)، ففي اللغة السومرية هناك كلمة (تم) التي تعني خواص الشيء و فعله وقدرته وقدره . . وقد ترجم الأكديون هذه الكلمة إلى (شمتو) أي السمة والأسم والطبيعة الكامنة فيه ، ويبدو أن هذه اللحظة ما زالت حية في اللغة العربية حيث (نم) تعني جوهر الإنسان وطبعه وكل ما ينبع عنه . وستناقش ذلك تفصيلياً في الفصل الثالث .

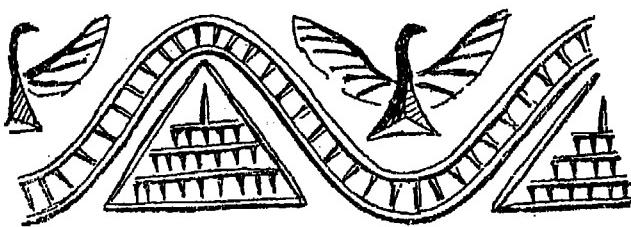
لكن الغريب أن الكلمة (نم) قريبة جداً من (غم) وهذا يعني أن معنى (نم) كامن (غم) أي أن (غم) تعني سمة وأسم والطبيعة الكامنة لهذه الآلة التي بفعل اسمها وكلمتها الكامنة فيها تحرّك الحلق وببدأ ، خصوصاً إننا إذا تعاملنا بالقاموس العربي مع الكلمة (غم) فإننا نجد أن فيها معنى (نام) ومعنى (نم ، غم) وهذا يعني أن هذه الآلة التي كانت نائمة تحركت خواصها أو (غتها) وببدأت (تنمو) وكان من هذا النمو أو الحركة أن ظهر جبل الكون (آن-كي) .

إذا أخذنا بنموذج (المسكون والحركة) أو (الأوريوس وهي الأفعى الكونية المائية التي ذيلها في فمه وتكون دائرة مغلقة ) أو (الكلمة) فأنتا نرى في جميع الأحوال أن (غم) تحركت على محورها ونتج عن حركتها افتتاح الذيل عن الرأس ، والسايب والوجب ، وتكونت كتلة جديدة بقطبين هي (الجبل الكوني) وبذلك تكون المرحلة الكوزموغونية الأولى قد انتهت وكانت حركة الأوريوس ، وحركة (غم) على محورها قد تمت برغبة محضة من الآلة السومرية الام الأولى (غم) دون استجابة لشيء . فهو خلق ذاتي ابتدأ من داخل الكلمة نفسها وليس بأمر منها .

## ٢. المرحلة الكوزموغونية الثانية

بعد أن تكون جبل الكون (بفعل افتتاح أوروبيسي ) عاد أوريوس (آن-كي) وانغلق ثانية واصبحنا أمام أوريوس كوني (غير هيولي أو عمائي) ونرى أنه بفعل اطلاق الأسم (نم) أو الكلمة تحرّك هذا المغلن الجديد وحركته هذه خلقت هذه المرة عنصراً الذكورة والأنوثة ، وهنا في هذه المرحلة يمكننا (وفقاً للنصوص المسمارية) الحديث عن الخلق الجنسي الذي أمرت به (غم) بكلمتها (نم) لأن يسمى الأعلى من جبل الكون السماء

ويكون ذكرأ، ويُسمى الاسفل من جبل الكون والأرض وتكون انشي .



شكل (١٧)

### جبل أسطوري سومري

إن حركة الأوريوس الثاني لم تكن ذاتية (كما في الأول) بل بدأت بالكلمة ونفذت بالجنس، لأن بعض الاشارات السومرية تصف السماء والأرض قبل خلقهما بأنهما لم يكن لهما اسم، وعندما أصبح لهما إسمين كانوا ملتصقين وبدهما بمارسة الجنس، وكان ان ولدا الله (انليل) الذي وضع بينهما، ولكنه كلما كان يكبر كان يبعد الأب عن الام، كان الهواء أو القضاء الذي يمثله (انليل) يبعد (آن) عن (كي) فينفصلان، ومطلع اسطورة (خلق الفأس) توضح لنا ذلك :

«الرب الذي يملك حقاً، هو الذي أظهر للعيان

الرب الذي لا تبدل في احكامه

(انليل) الذي يجلب البنور إلى الأرض لزراعتها

تولى برعايته فصل السماء عن الأرض

من أجل أن تنمو الكائنات التي خلقت»

.(كريير ١٩٧١ : ١٨١).

ونرى في قصيدة أخرى كيف أن السماء أصبحت ملك (آن) وأن الأرض ملك (انليل) :

وبعد أن ابتعدت السماء عن الأرض  
 بعد أن انفصلت الأرض عن السماء  
 بعد أن عين اسم الإنسان  
 بعد أن أصبحت السماء بحوزة (آن)  
 بعد أن أصبحت الأرض بحوزة (انليل).  
 (كيرير ١٩٧١: ٦٣).

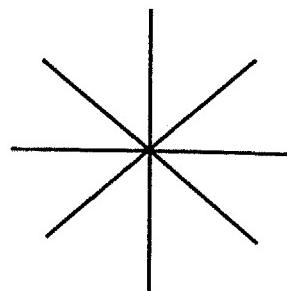
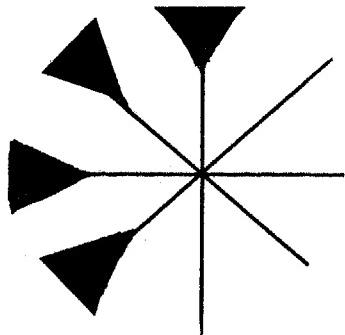
وهكذا أعطتنا هذه المرحلة الكوزموغونية الثانية ثالوثاً الهياً مهماً مكوناً من آلهة  
 (السماء، الهواء، الأرض) وهم (آن، انليل، كي).

### **٣. المرحلة الكوزموغونية الثالثة**

هناك ما يشير إلى أن الإله (إنليل) الله الهواء الذي أصبحت أمّه الأرض الآلهة (كي)  
 بحوزته ، قد اتصل بها جنسياً حيث أنه في حقيقة الأمر أبعد الأب (آن) عنها ، أما هو فقد  
 بقي ملتحماً بالأرض متصلًا بها وعلى هذا الأساس تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق  
 الإنسان وتأسست الحضارة (انظر كيرير ١٩٧١: ٦٦).

أن هذا الأمر غير المؤمن عندنا بنص سومري واضح ، يوحى لنا أن الابن أبعد إياه  
 وتزوج أمّه (وهو ما يذكر بعقدة أو ديب الفرويدية) وقد نجد الصدى الواسع لهذه  
 الأسطورة في التراث الرافديني في أسطورة بابلية صغيرة هي اسطورة (دتو) حيث الأرض  
 تضاجع ابنها (اماكندو) فيقتل إياه ويتزوج آلهة البحر ، ثم يأتي ابنه لخار ليقتل أبوه ويتزوج  
 أمّه وهكذا . (انظر Grayson 1969: 517).

وهذا يشبه أيضًا إلى حد ما مسلسل قتل الآلهة في أسطورة الخلقة البابلية . إن ما  
 يدعونا إلى التأمل الخذر في الحادثة السابقة هو محل الإله (إنكي) . فهل ظهر الإله (إنكي)  
 من تزاوج (إنليل) مع (كي)؟ وهو ما نشك به ونستبعده تماماً ، لأن الإله إنكي هو ابن الإله  
 السماء (آن) والذي حيلت به وورثته الأرض (كي) وهو الذي بني نواميس الحضارة على  
 الأرض ، أما الإله (إنليل) فكان يرعى سلطات أبيه في السماء وأشرف على تنظيم الكون  
 (وليس الأرض) كما سنرى ، ولكي نعزز قولنا هذا بنص سومري لا بد من ذكر نص  
 القصيدة التي تذكر ولادة مظاهر الحياة المرتبطة بالإله إنكي وهي كما يلي :

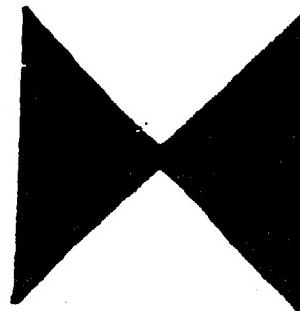
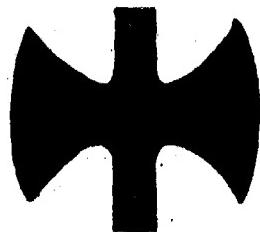


شكل (١٨)

رموز الإله آن

١- الجهات الثمانية (رمز الإلهوية) الألف الخامس ق.م

٢- العلامة الكتابية ذكر (الإله، الإلهوية، الألف الرابع ق.م)

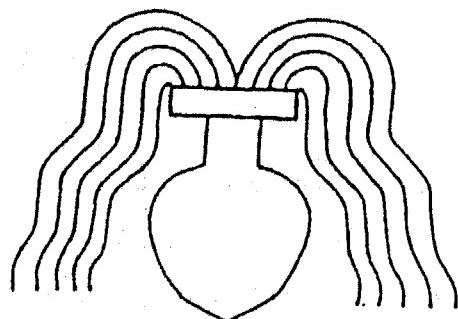


شكل (١٩)

رموز الإله إنليل

١- المثلثان المتقابلان (الألف الخامس ق.م)

٢- الفأس المزدوج (الألف الخامس ) ق.م



شكل (٢٠)

الكاس (الاذاء) الفوار

رموز الإله إنكي (الألف الثالث ق.م)

للأرض الفسيحة المسطحة لبست تألقها ،  
 جُمِلت ببهجة جسدها  
 الأرض العريضة ، بالمعدن الشمين واللازورد  
 زينت جسدها  
 تبرجت بالينع والعقيق الأحمر البراق ،  
 زينت السماء رأسها بأوراث الشجر  
 وظهرت كأنها الأميرة  
 الأرض المقدسة العذراء تبرجت  
 من أجل السماء المقدسة  
 السماء ، الآله الرائع الجمال ، غرس  
 في الأرض العريضة ركبته  
 وسكب في رحمها ، بذرة الأبطال  
 الاشجار والمقاصب  
 الأرض الطيرية ، البقرة الخصبة تشعبت  
 ببني السماء الغنيّ ،  
 وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة  
 وبغزاره حملت الأرض هذا التاج الرائع  
 وجعلت الخمر والعسل يسيلان ، ،  
 (الشوف ١٩٩٦ : ٢١)

هذه الصورة لما بادجه السماء للأرض واضحة جداً ، فقد حصلت بعد أن انفصل  
 كلها عن بعضهما ، أي بعد أن ولد (إنليل) ولذلك يعني أن الولادة الثانية حصلت بعد  
 الانفصال وانتجت الآله (إنكي) وهو سيد الأرض الذي تولى بعثاته الأرض كما سترى .

نحن الآن أمام رابع إلهي هو (السماء، الهواء، الأرض، الماء) وهم آلهة المصادر الكبرى الذين سيطروا على الكون بأكمله .

#### ٤. المرحلة الكوزموغونية الرابعة

لو نظرنا إلى شجرة أنساب الآلهة السومرية ضمن القسم الثاني من هذا الفصل وتأملناها مليأً لوجدنا أن الخليقة الآن من الناحية العملية أصبحت خاضعة الآن لنوعين من الكوزموغونيا كل واحدة يديرها إله وهم :

(أ) كوزموغونيا إنليل : الذي امتلك سلطان آن وأصبح بديلاً عنه تقريباً وتضم خلق عوالم الظلام والعالم الأسفل والكواكب والأنواء الجوية من رعد ومطر وبرق وعواصف ، وتحيط هذه الكوزموغونيا الأرض وتغلفها وتمدّها بعض مظاهر الحياة إلا أن الموت والجحود يسيطران عليها . فهي تتنج الكواكب الثلاثة المهمة (القمر ، الشمس ، الزهرة) وألهتها وتتنج الظلام والعالم الأسفل وألهة الأنواء الجوية . وكل هذه الآلهة آلة سلطات وتدل في انحدارها السلالي على أنها تمثل إلى القوة وربما إلى الموت .

(ب) كوزموغونيا إنكي الذي يمثل الأرض والماء معاً ، وبلا أدنى شك فإنه يمثل الحياة والإخصاب والتناسل ، وإذا لاحظنا شجرته الإلهية فسنلاحظ أنها تضم (النباتات والحيوانات والإنسان) ثم أدوات العمارة والحضارة . إن عالم إنكي يضم كل ما هو حي ويدعو إلى الحياة والبقاء والتناسل وهو عالم أرضي محض يرى أن الأرض هي الحياة ، ولا يوجد خارجها ما يشير إلى الحياة ب الرغم وجود الآلهة الثالثة .

ومن الآن فصاعداً (على المستوى الكوزموغوني) سنرى العلاقة الإيجابية والسلبية بين العالمين (عالم إنليل) و (عالم إنكي) وسنرى أن أغلب زوجات ذكور عالم إنليل هن من عالم إنكي وهذا يمثل الوجه الإيجابي للعلاقة ، أما الوجه السلبي فسيكون في الصراع بين بعض الآلهة في العالمين وقد يكون أشهر الصراعات واكثرها وضوحاً ذلك الصراع بين الإله الإنكوي (دموزي) والإلهة الإنليلية (إنانا) كما سنفصل ذلك فيما بعد .

## **الكوزمولوجيا السومرية (علم الكون السومري)**

بعد ان توصلنا كيفية نشوء الكون والعالم عند السومريين من خلال الآلهة وأجيالها ، يمكننا الآن أن نرى طبيعة هذا الكون وم يتكون وشكله وأقسامه .

يظهر لنا الكون السومري كله طافياً أو سابحاً فوق بحر هيلويٌّ من تلاميذه عثله الآلهة السومرية الام (غم) التي تحيط به من كل الجهات والذي لا نهاية له ، أعني ماء غم (شكل ٢١)

أما الكون فهو عبارة عن كرة عملاقة تتكون من الأقسام التالية :

**١- العالم الأعلى (العلى)** وهو الفضاء الذي فوق السماء حيث تسكن الآلهة السماوية فيه .

**٢- السماء (آن)** وهي سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها «أما ماذا كان يعتقد أن تكون هذه الكتلة السماوية بالضبط فإنه أمر ما زال غير مؤكد ، ومن المحتمل أنها كانت قصديرًا وذلك استناداً من حقيقة أن التعبير السومري من القصدير هو «معدن السماء» ، (كريبر.ت: ١٤٩).

ويعتقد أن في قمة السماء أو على السماء السابعة هناك الـ(أتوتا) وهو اسم يعني بالسومرية (بذرة الحياة الأميرية) ويشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض ثم أصبح يشير إلى أي مجموعة من الآلهة حتى المحلية منها .

**٣. الفضاء (ليل ليل)** : وهو الفراغ الموجود بين السماء والأرض وكانت كلمة ليل التي تدل على الظلمة تعني أيضاً الريح، الهواء، والنفس، الجو، الروح ومتاز بقدرتها على الحركة والامتداد .

وكان السومريون يعتقدون أن الكواكب والنجوم مكونة من نفس مادة (ليل) أو (الجو) مع امتيازها عليها بالإضاءة والاشراق . والكواكب ، في حقيقة الأمر ظهرت من الظلام فهي بناته (وهذا ما يقول به الصابئة أيضاً) وهي من الناحية النسلية بنتات الاله إنليل سيد الفضاء أو الهواء .

ويبدو أن السومريين حددوا ، في زمنهم ، ثلات طرق أو مسارات في هذا الفضاء هي (طريق آن ، طريق إنليل ، طريق إنكي) وتتوزع الكواكب الثلاثة فيها (الزهرة ، القمر ، الشمس) .

٤ . الأرض (كي Ki) : وهي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي حوله وتحته ، أي يمكن تصنيف هذا المحيط المائي إلى ثلاثة :

١ . البحر الأعلى وكان المقصود به البحر الأبيض المتوسط .

٢ . البحر الأسفل وكان المقصود به الخليج العربي .

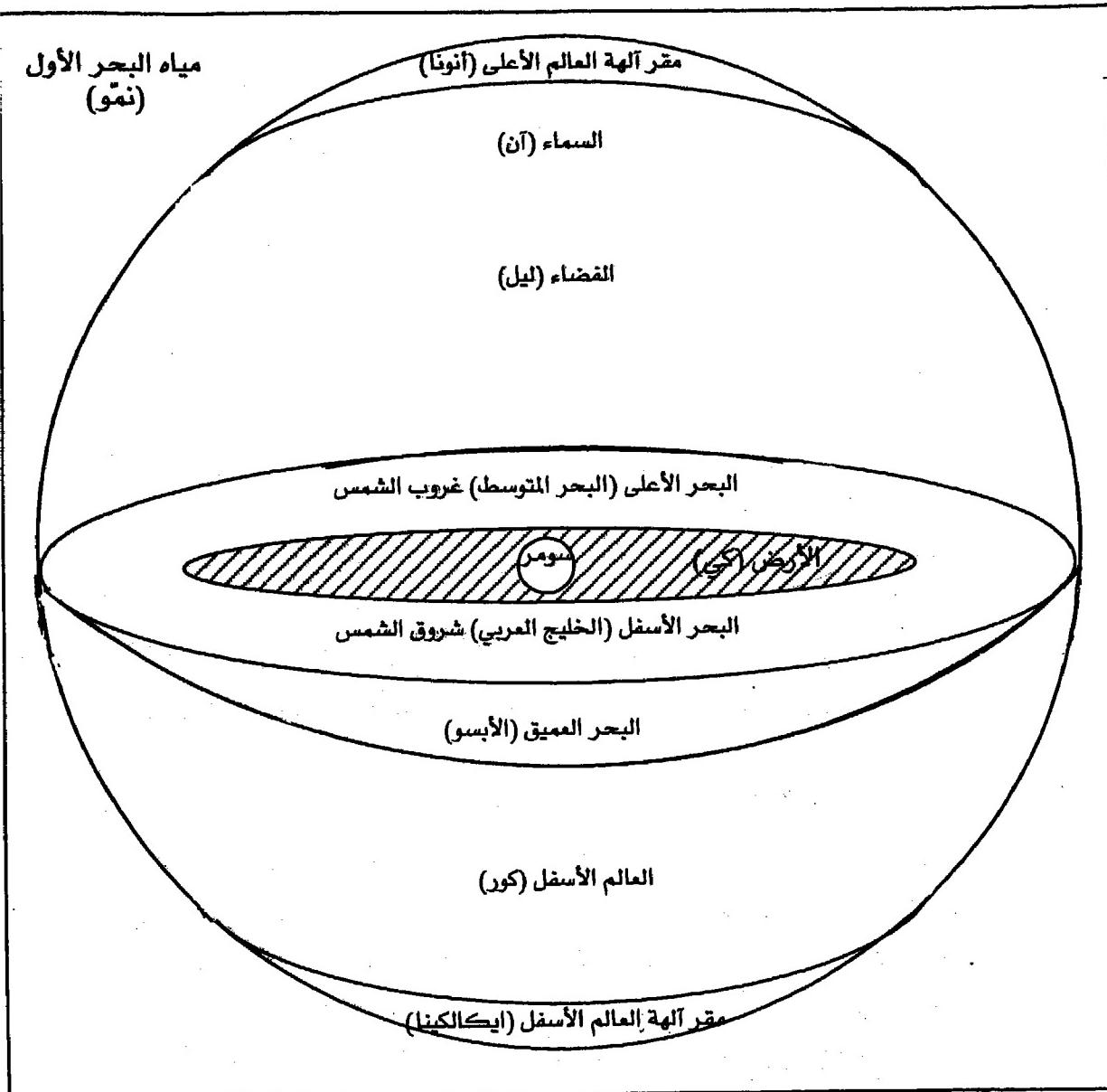
٣ . البحر العميق الذي تحت الأرض وهو (أبسو) أي مياه الأعماق التي فيها مسكن الإله (إنكي) . وهي مقر الإلهة (ثو) وهذا يعني أن الأرض تحيطها المياه من كل الجهات ما عدا الفضاء الأعلى الذي كان يفصلها عن السماء ، وتعيش على الأرض النباتات والحيوانات والإنسان . وكان مركز الأرض في نظر السومريين هو سومر ، أما مركز سومر فكان نيبور (نفر) لأنها أقدس مدينة دينية سومرية كونها مدينة اتيل ، وكان مركز نفر منطقة اسمها (أوزموا) وهي التي تشبه بسراً الأرض حيث هي آخر منطقة كانت السماء متصلة فيها مع الأرض .

أما سومر فمحاطة من جهاتها الأربع بمدن ودول أخرى فمن الشمال (سوبار) وهي في شمال وادي الراfeldin (منطقة آشور لاحقاً) ، ومن الجنوب دلون وهي البحرين ، ومن الشرق عيلام جنوب إيران وهي الاحواز أو عربستان ومن الغرب أمورو أو أمازو وهي الصحراء العراقية السورية الغربية (غرب الفرات) .

٥ . العالم الأسفل (كور أو كيكال) وهو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والأبسو ، وتعيش فيه آلهة العالم السفلي ، ويسمى هذا العالم بأسماء عديدة منها (أرض اللاعودة ، الأرض البعيدة ، أرض الموتى ، أرض الأحزان ، القفراء . . . الخ) وهو عالم مظلم تسيطر عليه عائلة إلهية مكونة من نركال وأريشكيكال وأبنائهما وأحفادهما من الآلهة ، وتسكن أيضاً الشياطين وهي كائنات سلبية مفزعة ، وتسكّنه أرواح الموتى من البشر .

وهناك للعالم الأسفل مدخل رئيسي مكون من سبعة أبواب تنتهي بنهر العالم الأسفل الذي اسمه (خبر) والذي يؤدي فيما بعد إلى أماكن الموتى ويتوسط قاع العالم الأسفل قصر كبير لالهين نركال وارشكيكال ، وأحياناً يجتمع فيه الانوناكي (الذين يسمون هنا قضاء العالم الأسفل) .

إن هذا التصور المثولوجي للكون يضع الأرض في المركز ويتصورها مثل قرص



شكل (٢١)  
الكوزمولوجيا السومرية  
صورة الكون عند السومريين

مسطح (فيه استدارة) يطفو على المياه ، والسماء فعال مضاء (الشمس نهاراً ، والقمر والكواكب ليلاً) . والعالم السفلي فهو مسكن الشياطين والموتى رغم أن الله تسيطر عليه . أما الأرض التي يسكنها البشر فتعد فاصلةً بين عالمين متناقضين الأول علوي إلهي مضاء والثاني سفلي مظلم شيطاني ، وهي على هذا الأساس تحول دون اختلاطهما . ثم إن العالم الأرضي يحتوي أساساً على كائن إلهي شيطاني مزدوج هو الإنسان ، جسده سفلي خلق من طين عميق صلصالي ودم شيطاني ، وروحه إلهية جاءت من نفحة أو كلمة الإله الخالق (إنكبي) .

وحقيقة الأمر أن هذا التصور المثولوجي للكون كان هو المصدر الأول لكل التصورات الكروزموغونية التي تلتة ، بل ان التصورات العلمية الأولى التي بدأت في بابل واليونان حول الفلك والكون كانت لا تبتعد إلا ببعض التفاصيل عن هذا النموذج السومري للكروزمولوجيا . وسنرى في البحث القادم كيف ان هذا النموذج بشكله هذا كان يحمل في أعماقه ايقاعاً فيزيائياً وبایولوجياً عميقاً اذا ما درستنا جيداً أنساب الآلهة وشجرتها الكبيرة .

## بـ. أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا )

### THEOGONY

كان اليونان محظوظين عندما تهياً لهم كاتب عظيم مثل (هسيود) استطاع أن ينظم بدقة في ذلك العصر شجرة أنساب الآلهة اليونانية ، إعتماداً على ما التقته من التراث اليوناني ومن أفواه الناس حول أصول وأنساب هذه الآلهة .

إن مثل هذه الشجرة تلقي الضوء على تنظيم واضح ودقيق لتدرج وتسلسل الآلهة وظهورها في أجيال متلاحقة مطردة ، وفي هذا ما يخدم اللاهوت والمثولوجيا معاً .

أن الصعبويات التي تقف أمام تنظيم شجرة نسب إلهية سومرية ضخمة تضم جميع الآلهة السومرية كثيرة ، لعل أهمها العدد الهائل للآلهة السومرية والذي قد يصل إلى (٤٠٠٠ - ٥٠٠٠) إله ، والألقاب الكثيرة لهم والتي تختلط بأسمائهم أو تكون بدليلاً عنها أما الصعوبة الثالثة فهي وجود نصوص مسماوية كثيرة في هذا المجال وفي غيره تصل إلى

حد التناقض أحياناً فتجعل بعض الآلهة أبناءً أو آباءً أو إخواناً لبعضهم أو تنسفهم إلى نسب بعيد ومختلف عما هو معروف.

الصعوبة الرابعة تكمن في استحالة حصر الآلهة الثانوية والشخصية والآلهة المدن والقرى الصغيرة في جداول أو أغchan أنساب دقيقة ، وأخيراً الاختلاط بين أسماء الآلهة السومرية والأكادية سواء في اللغة أو في الواقع وهذا ما أشاعت ، للأسف ، أولئك الذين يكتبون ، عادة ، عن الدين السومري بعجاله وسطحية .

ولكتنا هنا سناحول أن نضع شجرة أنساب إلهية سومرية مقنعة حسب ما توفره الأساطير والنصوص السومرية من علاقات وأنساب بين الآلهة .

إن شجرة أنساب الآلهة السومرية هي السبيل الوحيد لنا للدراسة أساسيات نشوء الآلهة (الشيوغوتيا) وهي التي ستدلنا على أساسيات الآلهة واحدة بعد الأخرى حسب نشوئها وارتقائها .

أما الطرق التي صنفت بها الآلهة السومرية فمتعددة ، وسنعمل على عرض بعضها ، وجميعها أكدت على أكبر وأهم الآلهة السومرية وأهم الآلهة الصغيرة والمندثرة .

### تصنيف الآلهة السومرية

يصعب التركون إلى تصنيف واحد للآلهة السومرية واعتباره مقنعاً وشاملاً ولذلك سنقدم عرضاً لأهم التصنيفات التي عرضتها المراجع الأساسية للميثولوجيا السومرية .

١. التصنيف السومري الشائع الذي كان يأخذ به السومريون أنفسهم والذي يعتمد على عظمة وقوة ورفعة وتأثير الآلهة السومرية ووضعها في مجتمع أو مقامات متدرجة ، حيث ينقسم بانيتون (مجمع) الآلهة السومرية إلى ثلات طبقات هي :

أ) آلهة المصائر الكبرى : وهي الآلهة الكونية صاحبة الأقدار والمقدرات على الكون والإنسان ، والتي لها صفات مطلقة ونفوذ شامل وهذه الآلهة هي التي تهب الملوكية وتخلعها وهي مصدر السلطة بالمعنىين الديني والسياسي .

وكان مجلس آلهة المصائر الكبرى هذا مجلساً سماوياً مكانه الأعلى العظيم أو (العلى) وكانت قراراته أو كلماته نافذة لا يوقف سريانها شيء ، وكان هذا المجلس يتكون من نوعين من الآلهة هي :

١ . الآلهة الحالية : وهي أربعة (آن ، كي (ننخرساج) ، إنكي ، إنليل ) وهي تمثل عناصر الكون الأربع الكبرى (السماء ، الأرض ، الماء ، الهواء) .

٢ . آلهة الكواكب الثلاثة الكبرى وهم نثار أو نانا (القمر) ، أوتو (الشمس) ، إنانا (الزهرة) .

ويرأس مجلس آلهة المصائر هذه الاله (آن) الله السماء ويتصرف الاله آن كأنه ملك الآلهة هذه ورئيسها .

ب) مجتمع الآلهة العظام (الخمسون) : ويترأس مجلسهم الإله (إنليل) وهم مسؤولون عن الأرض والماء والأرض السفلي ، وكان مجتمعهم في البداية يسمى (الأنونا) ثم سمي (الأنوناكي) لارتباط وظائفهم بالأرض أكثر من أي شيء آخر ، وفي العصور اللاحقة أصبح اسم الأنوناكي يدل أيضاً على الآلهة السبعة القضاة على العالم السفلي .

ويدل عددهم على العدد الرمزي للإله إنليل ، وهم أكثر الآلهة شهرة بعد آلهة المصائر ، وهم عماد الشجرة السومرية الإلهية .

ج) مجتمع الآلهة الثنائيين وهم ما تبقى من الآلهة ذات الشؤون الصغيرة والبسيطة والذين لا يعرف عددهم بالضبط وهم غالباً ما يتشارون في السماء وقد عرفوا باسم (الاييجيجي) أو (الاييكيجي) (Igigi) وقد اثيرت خلافات واختلافات كثيرة بين مصطلح (الأنوناكي) و(الاييجيجي) ويظن أن هذا الخلط أتى بعد السومريين ، حيث أن الاله أنور اتصل بالآلهة انتو (وهما الهان ساميان) وانتجا اييجيجي ككائنات سماوية أو ملائكة سماوية ، والأنوناكي ككائنات أو آلهة أو ملائكة أرضية .

٢. تصنيف جاكوسن الذي يعتمد على توزيع الآلهة السومرية على الجغرافيا

الطبيعية لأرض سومر (انظر Jacobsen 1970:21-34) ويمكن تلخيصه على الشكل التالي :

**أ) آلهة الأهوار :** وهي الأهوار الجنوبيّة الشرقيّة التي تفصل الأرض المأهولة لسومر عن الخليج العربي والتي تبدأ من الخط المتذبذب جنوب شرق أريدو (أبو شهرين) حتى نينا (سرغول) في القسم الجنوبي لمنطقة لگش ، وتبعد هذه الآلهة كمالاً أنها عائلة مائة واحدة يرعاها الله إنكي بمزروعاتها وأسماكها وطيورها وحيواناتها وهذه الآلهة هي :

١ . إنكي Enki الله مدينة أريدو وهو الله الماء الجاري والأنهار والبحيرات والأهوار ، وقد عرف بحكمته العظيمة ، وبطاقاته الكامنة في الماء وقدراته السحرية والطبية .

٢ . أسلوخي Asalluhe : وهو الأصل السومري للإله البابلي مردوخ الله مدينة وهو ابن إنكي ومساعده في أعمال السحر .. ويسمى أيضاً (مبلل الناس) ويسميه الرعاة (إشكور) وال فلاحون (نورتا) .

٣ . دموزي - أبسو abzu اي الإبن الأصيل لمياه الاعماق .

٤ . نانشة (ناري) Nnshe

٥ . ننمار Ninmar

**ب) آلهة البساتين :** وهي البساتين الجنوبيّة المحاذية لأسفل طريق الفرات القديم من (أريش حتى أور) ، وهناك ثلاث مناطق اقتصادية تأتي سوية مع آلهتها ، الأولى مدن أرض هوار وعائلتها الإلهية المنحدرة من الله إنكي والتي يمكن متابعتها من أريدو وكوار في هذه المنطقة باتجاه نينا في الشرق ، والثانية مدن عائلة آلهة الرعاة المنحدرة من نانا في أور متصلة بمركز الأرض المعيشية ، والثالثة المدن المنحدرة من نازو وتتصف هذه المدن بصلتها بالعالم الآخر وبعوضهم يتصل بالأشجار والحضر ، ومتاز عموم آلهة بساتين التخييل بأن آلهتهما أما من العالم الأسفل أو من عالم النبات وهم :

١ . نازو Ninazu من آلهة العالم الأسفل ، ابن إرشكيميكال ونركال وهو الله

الطب .

٢. ننکشزیدا Ningishzida : من آلهة العالم الأسفل ، ابن ننازو ويسمى حامل العرش وهو الله الطب ورمزه ثعبانان ملتفان على عصا .

٣. دامو Damu من آلهة العالم الأسفل ، ابن ننکشزیدا وهو الله الشفاء ، وكانت اسطورته تختلط باسطورة دموزي . وهؤلاء الآلهة الثلاثة من الأب إلى الحفيد كلهم من العالم الأسفل ، ولكن لهم علاقة بالطب من جهة وبالأشجار من جهة أخرى ، ويقف وراءهم الهان معروفان هما الآلهة (إنانا) في أوروك باعتبارها الله المخازن والله دموزي - أما شوم غالانا (طاقة نمو الحياة الجديدة للتخيل) وكلاهما يقف وراء أساطير بانثيون مريي الفاكهة .

ج) آلهة الرعاة : وهي آلهة مجموعة مدن الفرات الأسفل مثل أور، كايش، كيابرج، لارسا، كولاكب . وتنحدر آلهة هذه المدن من الله القمر (إنانا) ، أما المدن الأخرى شمالاً قليلاً فهي في وسط سومر وهي أوروك، بادتيرا، اواما، زيالم، بتكركارات التي تنحدر "آلهتها من إنانا (الزهرة) وزوجها دموزي (الراعي) وإنانا (القمر) وأوتو (الشمس) وأن (السماء) وهم على صفين .

الأول : آلهة الرعاة الجنوبيّة وهي :

١. نانا Nanna الله القمر زوج ننگال

٢. نهار Ninhar الله الرعد والامطار في الربيع وهو ابن نانا وننگال وزوج ننگارا (سيدة الزيد والقمر) والهة الألبان .

٣. اوتو Utu الله الشمس زوج إايا (آي) وشيرااد

٤. ننسون Ninsun وهي أم دموزي

٥. آن An الله السماء .

الثاني : آلهة رعاة الحمير الشمالية وتشمل عائلة الإلهة ننخرساج (بيليتيلي) Nin هي إلهة أدب وكيش ، وتمثل الهة الأرض الصخرية ، ومعها زوجها hursag (Belitili)

الله شولبي وأبناؤها مولوليل واشترجي وابتتها اكيم (أغيم).

د. آلهة الحقول الزراعية : وهي آلهة المدن الواقعه شمال الأرض المشبهة حتى أكد إلى الشرق من الأقسام الشمالية من لكتش و معظم هذه المدن تهتم بتوفير الحبوب الزراعية على شكل حقول ، و تعود آلهة هذه المدن الى عائلة الهيبة واحدة هي عائلة إنليل في نفر وتشكل الباثيون الفلاحي (الزراعي) :

١٠ إنليل : الله الهواء، أو الله العاصفة وهو الله المدينة السومرية المقدسة نبور (نفر)

٢. نليل: زوجة إنليل، إلهة مدينة توّمال قرب نهر

٣٠. نصابة : الهة الحبوب والكتابة وكاتبة إلهة مدنية ايريك Erehق القرية من ايريش في زمن الفراتيين الأوائل .

٤. نورتا: الـ مدـيـنـة گـرـسو (ـتـلـوـ) فـي لـكـشـ وـيـسـمـي (ـنـنـگـرـسوـ) وـهـوـ إـلـهـ الـعـاصـفـةـ المـطـرـيـةـ.

٥ . باو : إله منطقة اوروکو في لکش وأصبحت مملكة ایسن تـت اسم ننسينا .

٦ . مسلامتاي (نرگال) : الله كوتا ابن انتيل والله العالم الاسفل .

وإذا كان جاكوبسن قد وفق في تصنيف جغرافي لآلهة سومر، فإنه من ناحية أخرى لم يعطنا الصورة المتدرجة المتسلسلة لأنساب الآلهة السومرية ككل والتي عبدت طيلة تاريخ سومر والذي يأخذ بنظر الاعتبار أهميتها واجيالها المتلاحدة وتشكيلاتها العائلية المتجانسة، وهو ما نظن إننا سنوفره في التصنيف القائم على شجرة أنساب الآلهة السومرية الذي وضعناه.

## **شجرة أنساب الآلهة السومرية**

وهو التصنيف الذي سفترحه وفق سلسلة الأنساب آخذين جهد الامكان بما هو شائع وصحيح بين الأجداد والآباء والأبناء ، ومعهم الأخوان والأخوات والزوجات والأزواج ، وسترى بأنه يجمعهم في مجاميع متجانسة إلى حد ما من حيث طبيعتهم ووظائفهم (انظر شجرة أنساب الآلهة السومرية)

ويكمننا من أجل الدرس والتفصيل تقسيم شجرة الآلهة هذه إلى مجاميع متدرجة في قدمها وأهميتها وهي كما يلي :

### **(أ) آلهة الهيولى والذئفة الأولى**

#### **(آلهة الجنون)**

وهي الآلهة البدئية التي تشكل منها الكون ، وهي قديمة وأزلية في الوقت نفسه لأن أجسادها تشكل مادة الكون والعالم وقد ناقشناها بالتفصيل في المبحث السابق (الكورزمونينا السومرية) وهذه الآلهة هي :

١. الإلهة ثُو (نامو) وهي الآلهة السومرية الأم الأولى وتمثل البحر الأول الهيولي الذي خرج منه كل شيء (الآلهة والعالم).

٢. أن - كي (An - Ki) وهو جبل الكون الأول الذي يتضمن السماء والأرض والذي خرج من البحر الأول

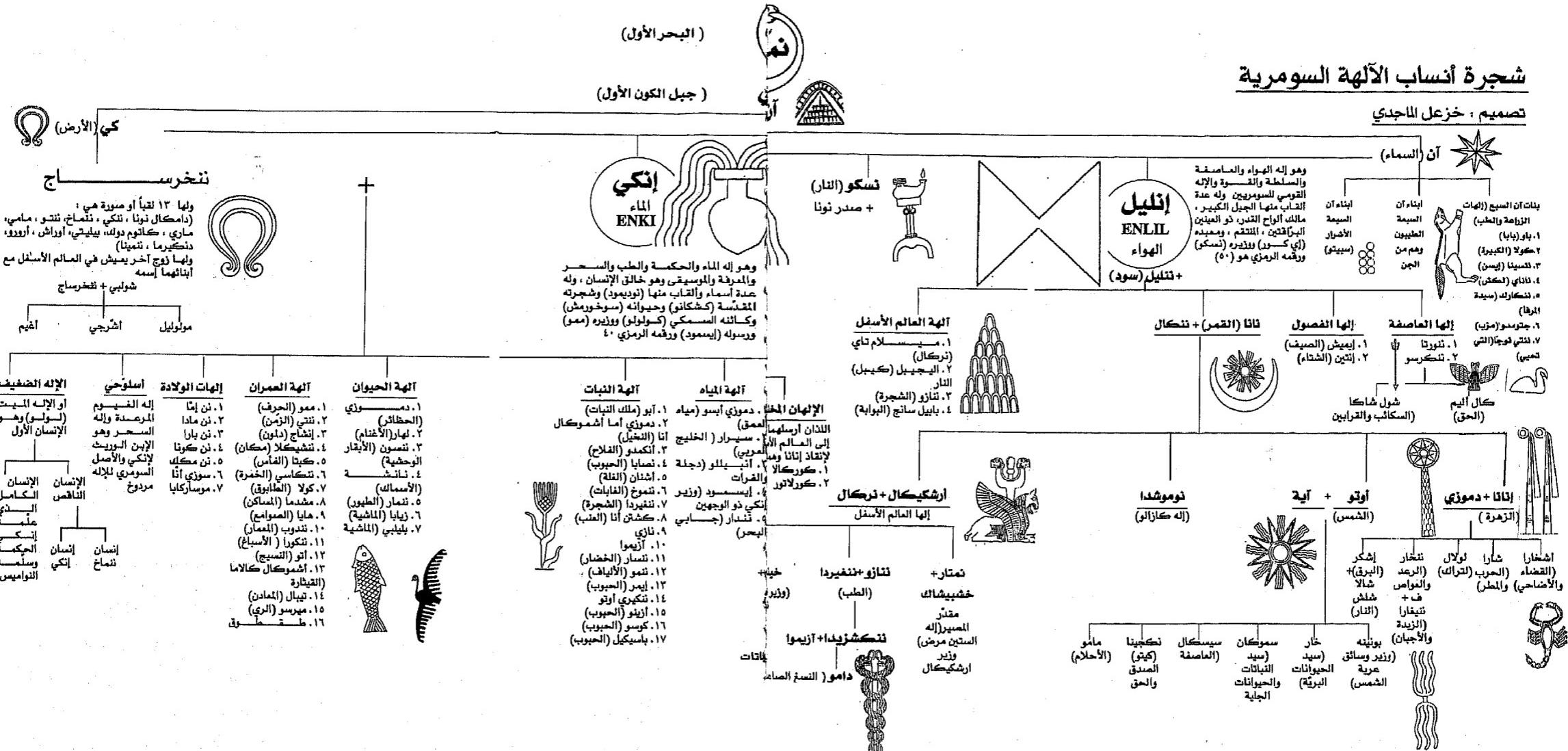
### **(ب) آلهة العنكصر الأربع**

وهي الآلهة التي تكونت الكون والعالم ثم تكونت الحياة وهي آلهة المصائر الكبرى في التصنيف السومري وهي (أن ، كي ، إنليل ، إنكي) وتقابل (السماء ، الأرض ، الهواء ، الماء).

١. آن AN: وهو الله السماء والحاكم الأعلى في الباقيون الآلهي السومري والذي يقف على قمة هرمته، ورغم أن الله القومي الأعظم للسومريين كان هو الله إنليل الذي يليه في المرتبة، ولكن الله آن كان يبدو عالياً فهو الله الكون

شجرة أنساب الآلهة السومرية

تصميم خرجل الماجدي



الأعظم، وهو على ما يبدو يمثل (الله) لأن المقابل الأكدي (السامي) لعلامة آن (دنكر) كانت تلفظ (إيلو) أو (ايل) وهو الله.

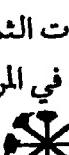
ويبدو أن الإله آن احتل المرتبة الأولى عند العبيدين ثم السومريين لكن تفوق الإله إنليل عليه بسلطاته جعله متزوجاً بعيداً في أقصى السماء، ورغم ذلك فقد كان له معبد كبير في مدينة أوروك واسمه (إي - آنا E-anna) الذي يعني بالسومرية (معبد السماء) أما زوجته فهي الإلهة آن أيضاً أو (كي) التي تعني الأرض، وله عشيقات عديدات من الآلهات وهن (آن زالي) و (آن اوسلا) وكانت الآلهة إنانا من عشيقاته أيضاً وأحياناً توصف كإبنته له.

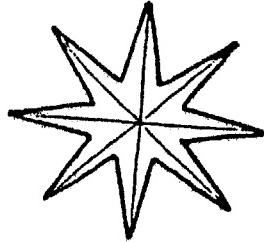
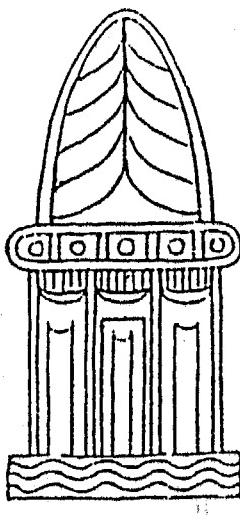
ومن زواج الإله (آن) مع الإلهة (كي) ظهر الهان عظيمان الأول هو إنليل وهو (إله الهواء) والثاني هو (إنكي) إله الماء. وللإله آن ابنٌ ناري هو الإله نسکو (إله النار) الذي صار وزيراً لأخيه الإله (إنليل).

وللإله (آن) سبع بنات مسؤولات عن الزراعة والشفاء هن (باو، ننسينا، كولا، ننكارك، جتو مدو (مزب)، ناناي، ننتي نوجا).

إن السماء والأرض اتّجهت لنا العناصر الأربعية التي تكون منها الكون ثم تكونت منها الحياة (النار، الهواء، التراب، الماء) وفي هذه التركيبة الخلقية السومرية المبكرة يظهر الاسطقس الرباعي الذي عرفه اليونان بعد آلاف السنين وهو (التراب والنار والهواء والماء) والذي أقاموا عليه نظريات الابراج ثم نظريات النفس وأمزجتها (الدموية والسوداوية والصفراوية والبلغمية) وهي النظرية العلمية التي سيطرت على علوم اليونان ثم العرب وأوروبا في القرون الوسطى.

ويظهر (آن) هنا وكأنه الأب الذكي المتفوق الخالق لهذه العناصر الأربعية. وهو هنا يعادل (الكلمة) الخالقة السماوية.

كان الإله آن يكتب بالعلامة المسмарية التي تشير إلى النجمة الثمانية الرؤوس التي تسمى بالسومرية دنكر، ويرى الدكتور فوزي رشيد أن هذه العلامة قد تطورت في الأساس عن الخطوط المتقطعة التي تشير إلى الجهات الثمانية  وهي جهات العالم أو الكون وأن يعبر عنها ، وقد سادت هذه العلامة في المرحلة الصورية (٣٢٠٠ ق.م) ثم تحولت بعد ٣٠٠٠ ق.م إلى شكل يشبه التجمة  بسبب الكتابة المسмарية (رشيد ١٩٨٥: ٥٠).



شكل (٢٢)

رمزاً للإله آن

١. أواخر الألف الثالث قبل الميلاد

٢. نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

رسم : علي محمد آل تاجر

وأصبحت علامة آن تمثيل أيّ الله، فبمجرد أن توضع أمام اي اسم حتى ولو كان إنساناً فإن ذلك يعني بأن هذا الاسم اسم الله، أيّ أن آن سبب الالوهية، ثم أصبح مانع الملوكية التي نزلت من السماء (أي من آن). ولذلك أصبح رمزه في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد عبارة عن تاج الألوهية المقرن الموضوع على دكة معبد (شكل ٢٢).

وهناك ملاحظة في غاية الأهمية وهي أن الإله (آن) باتصاله المستمر مع الإلهة (كي) الجب آلة أرض جديدة ورثت (كي) واطلق عليها بصورة عامة نهرساج ذات الأسماء الاثنى عشر ومن ضمنها (كي) والتي سنأتي عليها وبذلك تكون نهرساج إينة آن واختأ لأنليل وإنكي وكانت الإلهة (كي) تسمى قدياً بالالهة (اوراش).

ومعنى آن بالسومرية (السماء، حيث اللمعان، الشروق) ويبدو أن الإلهة اكتسبت من صفاته هذه فكرة أنها كائنات مضيئة او مشرقة او لامعة حيث كانت تحب السماء.

ومن نسل الإله (آن) مباشرة تحدّر مجموعة مهمة من الإلهات اللاحقة يعني اغلبهن بالطبع وتتدخل أحياناً وظائف الشفاء عندهن مع بعضها وهن (انظر اذار ١٩٨٧: ٤٣، ٨٤)

١ . ننتي نوجا : ويعني اسمها بالسومرية (السيدة التي تحيي الموتى) أو (حواء الموتى) وتذكرها نصوص فارا حوالى (٢٦٠٠ ق.م) وتحتل مرتبة جولا ونسينا بعد العصر البابلي القديم ، ونرى أن هذه الإلهة هي مصدر إسم حواء لأن كلمة ننتي تعني (حواء) وتعني (الصلع) في الوقت نفسه . ومن هنا نسجت الأسطورة العربية فكرة خلق حواء من ضلع آدم .

٢ . ناناي : وهي الـهـة لـكـش

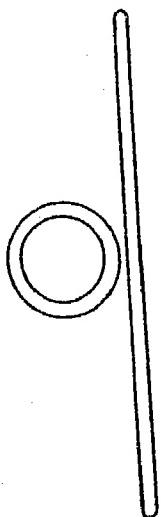
٣ . نسينا : الـهـة ايسن المختصة بالشفاء زوجها بايل سانج وابنها دامو وتسمى طبيبة الرؤوس السرد الكبيرة ، وأمها (اوراش) التي عبدت كـالـهـة في مدينة دلبات

٤ . باو (با أو) وهي الـهـة للـطـبـ والـزـرـاعـةـ وـيرـمزـ لـهـاـ بـالـأـوـزـةـ ، الـهـةـ مـدـيـنـةـ لـكـشـ .

٥ . گولا : وـمعـنـيـ اـسـمـهـاـ بـالـسـوـمـرـيـةـ (ـكـبـيـرـةـ)ـ وـعـبـرـتـ عـنـ الطـبـ فـيـ العـصـورـ الـبـابـلـيـةـ بـشـكـلـ وـاضـحـ وـشـعـارـهـاـ الـكـلـبـ وـهـوـ نـفـسـ شـعـارـ نـفـسـنـاـ وـنـنـكاـرـكـ .

٦ . نـنـكاـرـكـ : معـنـيـ اـسـمـهـاـ السـوـمـرـيـةـ (ـسـيـلـةـ الـمـرـفـاـ)ـ وـكـانـتـ تـسـتـدـعـيـ لـتـسـبـبـ الـأـوـيـةـ لـلـأـشـرـارـ مـنـ النـاسـ .

٧ . جـتوـ مـدوـ : وـهـيـ الـهـةـ سـوـمـرـيـةـ مـحـلـيـةـ مـدـيـنـةـ لـكـشـ ، لـيـسـ هـنـاكـ ماـ يـشـيرـ إـلـىـ عـلـاقـتـهـ بـالـطـبـ وـالـشـفـاءـ ، وـكـانـ يـطـلـقـ عـلـيـهـاـ فـيـ عـهـدـ گـوـدـيـاـ (ـآـمـ لـكـشـ)ـ ، وـظـهـرـ اـسـمـهـاـ فـيـ مـرـثـيـةـ أـوـرـ تـحـتـ اـسـمـ (ـمـزـبـ)ـ .



شكل (٢٢)

رمزاً للسلطة (القرن ٢٢ ق.م)

رسم: علي محمد آل تاجر

وينحدر من نسل الاله آن آلهة عظام (انوناكي) وآلهة ثانويون (ايجيجي) وفي نفس الوقت ينحدر من نسله عدد كبير من الجن والعفاريت الذين يسكنون العالم الاسفل ومن ضمنهم الآلهة الشريعة السبعة التي تدعوا (سيتي) ولا نعرف ما إذا كان هناك أصل سومري لهذه التسمية الأكديّة .

ولهذا السبب أصبح الإله آن مصدرًا للخير والشر بالنسبة للإنسان والكون .

وإذا كان الإله (آن) قد فقد بعض أهميته مع بداية حكم السلالات السومرية فإنه استعادها بقوّة في زمن گوديا أمير لکش (٢١٤٣ - ٢١٣) ق. م ثم انتشرت معابده في الوركاء واور ونفر ولگش وسبار ودير (مدينة آن) ثم في آشور .

وكان مسكن سماوي (في السماء السابعة أو الثالثة) يحرس بابه الإلهان دموزي وننكشيدا . وكان حيوانه الدال عليه هو (الثور السماوي) .

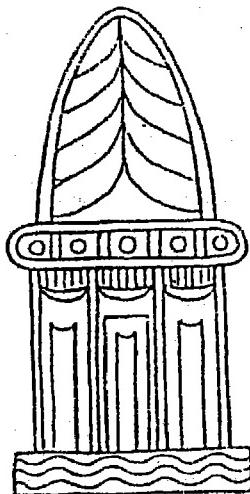
إن الرقم الرمزي او السري للإله آن هو اكمل واعلى الأرقام السومرية (٦٠) الذي كان اساس النظم السنتيني الرياضي والفلكي . ويعد (آن) النموذج الأول لعبادة التوحيد Monothesim بسبب من كونه لم يكن لهاً قومياً أو محلياً بل كان لهاً كونياً عالمياً وكان يسمى (أبو الآلهة والبشر) . وكذلك يعد مانع السلطة والحكم ورموزها (شكل ٢٣) التي استحوذ عليها لاحقاً إنليل .

وهناك أساطير أكديّة لاحقة ذكرت أن الإله آن من سلالة (٢١) إلهآ ومن أجداده الإله إنشار والإله كيشار والإله لخمو والإلهة خامو . وكان له عدة عشيقات وزوجات غير زوجته أنتروهن (نن زالي ، نن اورسلا ، وإنانا) .

٢. إنليل Enlil: كانت جذور الإله إنليل تنتد إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، ربما في سامراء ثم في حلف قدم عشر في سامراء على علامة الفأس المزدوج باشكال مختلفة ، وكان يدل على بداية ظهور الإله الذكر ، ولكن الفأس المزدوج ظهر واضحاً في حضارة حلف ودل على إله ذكر يمثل الهواء والمطر ، وبدأ ذلك يرافق بناء المدن وتنذر في هذا الصدد اسطورة خلق الفأس الذي قدمه إنليل هدية للبشر لبناء مدنهم .

ويشكل إنليل جذر كل الآلهة القوية في الحضارات اللاحقة مثل مردوخ البابلي وآشور الآشوري وبعل الكنعاني وزيوس اليوناني وجوبير الروماني بسبب من هيمنته على

الشّؤون الدينية والدنيوية واستحواده على وظائف الآلهة القريبين منه، وبعد إنليل النموذج الأول لعبادة التفريد Henothsim وهي إعلان لشأن الله قومي على حساب بقية الآلهة .. ولذلك يمتاز الإله إنليل بكثرة ألقابه وأسمائه فهو «سيد جميع البلدان، وأبو جميع الآلهة، والجبل الكبير والاله الذي يقرر المصائر والاله الذي لا رجعة لقراراته، وصاحب العينين البراقتين، والاله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر». وعلاوة على ذلك فإن الملامح الخاصة بخلق الكون أكدت على أن الإله إنليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس اداة العمل ، (رشيد ١٩٨٥ : ١٥٢) .



شكل (٢٤)  
رمز الإله إنليل (نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)  
رسم : علي محمد آل تاجر

ومن ألقابه الأخرى المتقدّم والذى يراقب سير القوانين ويعاقب المذنبين والذى يسكنهم مثل الطيور في شبكته الكبيرة .

ومدينة إنليل هي المدينة السومرية الدينية المقدسة الأولى فتر (نيبور) التي تبعد مسافة ٧ كم عن ناحية عفك في محافظة القادسية واسم معبده (إي - كور) أي (بيت الجبل) .

والرقم السري او الرمزي له هو (٥٠) ولذلك هو رئيس مجمع الانوناكي (اي آلهة الأرض الخمسين) وسيأخذ صفاته الخمسين لاحقاً الإله مردوخ (مقابله الأكدي) في ملحمة الخلائق الأكادية وقد كان هذا الإجراء الأكدي استكمالاً لتزعة التفريذ التي بدأت مع إنليل .

لقب الساميون الاله إنليل بالاله (بل) أو (بعل) الذي دمج مع شخصية مردوخ وأصبح فيما بعد إله الآلهة الشامية بشكل خاص متضافاً في طريقه صفات الاله الشعبي دموزي أو تموز وصفاته الإخصابية .

إن (بل) يعني (سيد) ومؤنته (بلت) ويقابلهما في سوريا (بعل) و (بعلة) وهما من أسماء الآلهة التي ترکب مع أسماء أخرى ، غالباً ما يرتبط اسمهما بأسماء المدن مثل (بل حران) و (بلت نفر) وهي زوجة الاله (نورتا) وبلت ايلی سيدة الآلهة ويستخدم هذا الاسم في وصف الإلهة الام . ومنذ العصر الكشي المتأخر أصبح يطلق اسم (بل) غالباً على (مردوخ) وكان مردوخ نفسه معروفاً عن اليونانيين باسم (بلوس) ، ويعادل بل (لين اولوجال) في اللغة السوميرية ويعني سيد أو ملك ومؤنته (لين أو نن) (انظر اذارد ١٩٨٧: ٧٥) .

وينحدر الاله إنليل من (٤٢) جداً أي ضعف اجداد آن أشهرهم هو (لين مشرا-En mesarra وهو إله العالم السفلي مع اولاده السبعة وابنته نارودو Narudu التي دعاها الآشوريون بالإلهة سبتي Sibitt) .

إن الشيوغونيا الإنليلية تتبع أولأربع سلالات من الآلهة كلها لها علاقة بالجح والأنواء والظلام والنوز الأولى يترأسها نورتا الله العاصفة ، والثانية يترأسها ايبيش واثنتين لها الصيف والشتاء . والثالثة يترأسها نركال (الله العالم السفلي) المظلوم ، والرابعة يترأسها الاله نمار (الله القمر) أما الأساطير الخاصة بهذه الشيوغونيا فهـما اثنان الاولى توضح زواج الاله إنليل من الفتاة (سود) التي صار اسمها نليل ، والثانية تخص إنليل ونليل وولاده إله القمر وألهة العالم السفلي :

و قبل ان نذكر الاسطورتين نقول أن الإنليل معبد في لكتش يسمى (معبد الأب) وله وزير خاص هو نسكتو الله النار وهذا يدل على ارتباط النار بالهـاء شـيوغونيا «وتيرأس مع آن

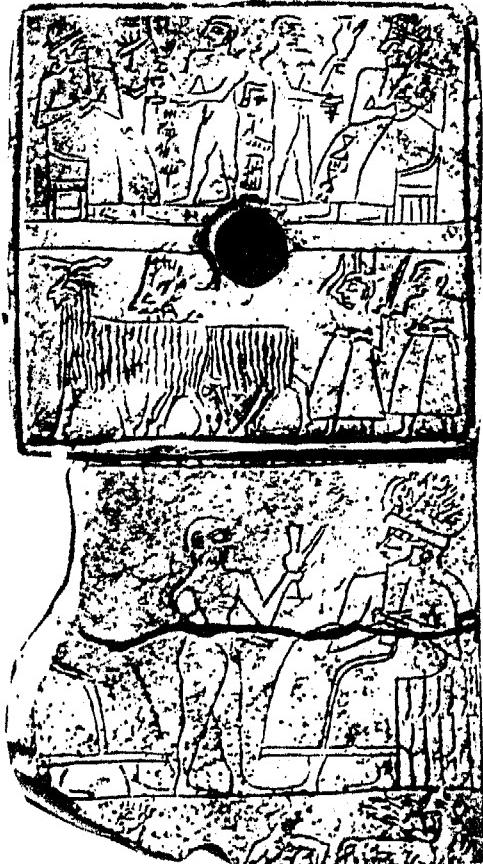
مجاميع الآلهة في بلاطه المسمى - او يشواو كينا - ولكونه ملك كل البلدان فهو يمنع مع أية آنو المناصب العليا كالمملكة والإمارة، كلمته هي الريح التي تنفذ مقررات المجتمع الالهي، فإذا قررت الآلهة تدمير مدينة ما فنفت «كلمة» إنليل كالعاصفة ودمرتها، إن «كلمته» تهز السماء وتزلزل الأرض» (بشور ١٩٨٩ : ٦٢).

وكان إنليل يستحوذ ، بالإضافة إلى رمز السلطة من آن، على رموز أخرى منها الفأس ورمز آخر هو الشييد والبناء واستحوذ على رمز أبيه الخاص بالتابع المقرر ودكة المعبد نهاية الألف الثاني ق. م (شكل ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤).

ولعل من الأمور اللافتة لانتباه والسؤال هو ظهور رمز (الحمامة السماوية) شكل (٢٧) الذي كان يشير إلى الإله إنليل أيضاً أو يرافقه وقد اعتبر السومريون هذه الحمامات السماوية من رسول السماء وكانت تدعى عند السومريين (إياهو Iahu) ونرى أن هذا الإسم هو الجذر السومري الذي ظهر منه اسم الإله (يهوه) العبري فيما بعد حيث أصبح (يهوه) في السومرية دالاً على (الإله الخالق)، ويؤكد هذا اللقب (أياهو) يكون أقدم اسم يرد للدلالة على الحمامات السماوية والإله الخالق فيما بعد .. وبذلك تكون قد عثينا على الأصل السومري لإله اليهود والعربين، وفعلاً فإن في كلمة (يهوه) ما يشير إلى الهواء وهو ما يشير أيضاً إلى الإله إنليل .

يتضح من ذلك أن الإله إنليل اختص بالغلاف الجوي الذي حول الأرض، وبال أجسام والظواهر التي تظهر فيه كالكتاب والهباء والعواصف والرعد ولأن العالم الأسفل يقع في فضاء تحت قرص الأرض لذلك أصبح من اختصاصه ، حيث أُنجب له ولدأ اسمه (نركال) أصبح فيما بعد ملكاً . عليه ولذلك صار الزمن والتقويم والفلك والتنجيم ضمناً من اختصاص إنليل أو أحد ابنائه لأنه يخص الفضاء الذي هو ملك له . وقد وجد رمز لاله إنليل في مدينة نفر باعتباره إلهأ للطقس وكان الرمز يمثل ثوراً يقفز إلى الأمام تحت قوس هو عبارة عن حربتين ضخمتين وكان الثور كان يمثل القوة التي تدور بها الأفلاك ، لأن الحربتين كانتا تحملان رسوماً لاثنتي عشرة كرة ترمز إلى شهور السنة الائنة عشر (انظر Van Buren 1930: 593)

وكان الإله إنليل مرتبطاً بالقوة والبطش وصور دائمًا على أنه يميل إلى القسوة، وكان صارماً مع الإنسان فإذا خالف الإنسان القوانين فإنه يعاقبه بقسوة، ولذلك فهو



شكل (٢٥)

تمثال الإله إنليل مطلبي باللون الأحمر (النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد

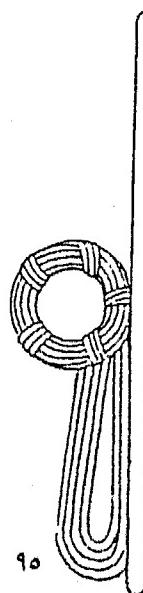


شكل (٢٧)

(إياهو) رمز الحمامنة السماوية

والهواء (القرن ١٨ ق.م.)

رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٢٦)

رمز التشييد والبناء

رسم : علي محمد آل تاجر

يلاحق الخارجين على القانون ويصطادهم بشبكته الكبيرة . وكان هو والإله آتو سبباً في اسقاط الكثير من المدن وتدميرها فقد سميت جموع الكوتيين وهي تدمر الدولة الاكدية بـ (عواصف إنليل) ، ورغم أن الإله سين هو الذي دمر (أور) وأنهى السومريين إلا أن إنليل كان وراء ذلك وهو يعتبر ذلك سنة طبيعية حيث لا بد من تدمير المدن بعد أن تزدهر فهو يقوى لولده سين وهو بسؤاله عن دمار أور (لقد أعطيت الملكية . لأور، لكن ليس مضمونه، كملكية إلى الأبد، فمنذ القدم، عندما تأسست الأرض حتى (اليوم) وقد تكاثر الناس من رأي سلطة مملكة بقيت دائمة؟) (انظر الخواراني: ١٨٩) و (انظر prithchard 1969: 612) (Dhorme 1949: 27)

وتسمى نصوص ملك لخش (كوديا) في نهاية الألف الثالث ق. م بأنه (ملك الطوفان) (لو كال آمارو) . وأن الطين الذي كان يحمله الفيضان معه إلى مدينة لخش كان يسمى (طين إنليل) (انظر Dhorme 1949: 27)

ومع ذلك كان يوصف الإله إنليل في بعض النصوص بعكس صفاته المدمرة هذه فهو الإله الرحيم وصاحب العمران وهو سبب الحياة والنبات والحيوان وبذلك يتلبس إنليل أو يتصف صفات الإله (إنكي) ، الذي ستتحدث عنه ، وهذه قصيدة توضح بعض ما ذهبنا إليه وستنتخب منها ما يوضح التناقضات في شخصية إنليل :

(«إنليل» من يصل أمره إلى أبعد مكان - ومن كلمته مقدسة

الرب الذي لا يبدل كلامه ، والذي يقدر المصائر إلى الأبد

الذي تبصر عينه التفاصيل الأقطار كافة

ومن يدخل إشعاعه الوهاج في قلب الأقطار كافة

«إنليل» من يترفع على المنصة البيضاء ، على المنصة الرفيعة

والذي يهدب أحكام السلطة والسيادة والإمارة

آلهة الأرض تنحي خشية أمامه

وآلهة السماء تخلي أمامه

المدينة (نفر) مظهرها يشير الحروف والرعب

الجائز ، والظالم والشرير ، والنائم  
والمتكبر ، وناكث العهد  
كل هؤلاء لا يجوز شرهم في المدينة  
والشبكة العظيمة ، أنه لا يدع الشرير والظالم يفعلن من شراكمها

.....

لو لا «إنليل» الجيل العظيم  
لما شيدت مدن ، ولما أقيمت مواطن  
ولما شيدت زرائب ، ولا أقيمت حظائر ،  
ولما رفع ملك ، ولا ولد كاهن عظيم  
ولما اختير كاهن (الماخ) ، ولا كاهنة زفيعة القدر بفضل الشاة  
ولما أغدا للعمال موجة ولا مشرف  
والانهار .. ما جلبت مياه فيضاناتها الفيض  
ولما وضع سمك البحر بيضه في أدغال القصب ،  
ولما بنت طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة  
وفي السماء ، لما جاءت الغيوم السائرة  
ولولا ما تمت النباتات والاعشاب ، مفخرة السهل  
ولما ازدهر القمع الوفير في حقل الراعي  
ولما اثرت الاشجار النابتة في غابة الجبل أثمارها ..

(كرمه ب.ت: ١٦٠ - ١٦٢)

## أسطورة إنليل وسود

نيل Ninlil زوجة الإله إنليل ، وكانت تسمى قبل زواجهما (سود) أي الطويلة ، وتوصف بأنها إلهة الحبوب لأن امها هي نبارة شكونو (نصابا) إلهة الحبوب والكتابة وأبواها (های) إله الصوامع . واسطوريتها الحالية تحكي قصة زواجهما الشرعي من إنليل ولها قصة زواج غير شرعي منه سنضيئها في الأساطير الشيوعونية لنسل إنليل .

تحكي هذه الأسطورة أن إنليل اجتاز بلاد سومر كلها ، عندما كان شاباً يافعاً ، للبحث عن زوجة له فلم يجد ما يرضيه ، لكنه عندما يصل إلى مدينة (ايريش) يرى (سود) ، وهي ابنة العائلة الحاكمة في المدينة ، فتنال اعجاب إنليل فيظن أنها من بنات الهوى ويغازلها لكنه يلمس فيها العفة والبراءة . وعندما يعود إنليل إلى مدينته (نفر) يقوم بارسال رسوله نسکو (نوسكا) وهو إله النار إلى والدتها إلهة (نصابا) إلهة الحبوب والكتابة وأبواها (هایا أو خایا) إله الصوامع . بعد أن حمله هدايا كبيرة ووعداً بأن يطلق عليها اسم نيليل إذا صارت زوجة له وأن تعيش معه في قصره (كي اور) وقد استقبلت (نصابا) الرسول وعاملته بلطف وادي هو كل المراسيم اللاحقة واعطى الهدايا وتحدث عن الوعود ، فوافقت الأم على أن يخطب إنليل سود .

عاد نسکو إلى نفر وأخبر سيده بذلك ففرح وهيا هدية الزواج المكونة من قطعان من الحيوانات المختلفة والأجبان والأسمان والألبان والعسل والثمار المختلفة والاحجار الكريمة والخلي والأقراط والذهب والفضة وغيرها ورافقته الذهاب إلى (سود) اخته (ننماخ) وحصل الزواج وجاءت اخته بها من يدها وأدخلتها عليه ، وهناك في إل (ايكور) مقبره في نفر تزوجها ثم أطلق عليها عدة ألقاب هي (نتو: السيدة التي تلد) ، و(أشنان: إلهة الحبوب) ، وأعطاهما نواميس الكتابة والقلم والألوح وعلم الحساب وتبييت التحوم وتخطيط الأقنية والسدود ، وأخيراً أعطاها لقب (نيليل: سيدة الهواء) الأكثر علواً من الجبال .

نشرت هذه الأسطورة كاملاً لأول مرة عام (١٩٦٧) م مؤلفة من (١٧٥) سطرًا وهي تطبع بلغة الحب والجمال والأوصاف الشعرية ، وتصور طقوس زواج الآلهة وهدايا الزواج ومنح الألقاب .

### ٣. إنكي Enki

الإله الثالث في مجموعة الآلهة الخالقة (آلهة العناصر الأربع) هو الإله إنكي وهو الماء ثم أصبح الماء والأرض لارتباط الماء بالأرض واستمراراً لسيطرة الانقلاب الذكوري على الآلهة الأم (الأرض)، فقد كانت الإلهة (كي) أم إنكي ثم تحولت إلى (وربما أنجبت) الإلهة ننكي (سيدة الأرض) أحدى مسميات زوجته وساد هو وأصبح بسبب الماء وليلنته وأصوليته العميقه في الخلق وقدرته على المناورة اذا ما صادف عشرة أو حجراً ، أصبح الإله إنكي إله الحكمة . والخيلة والذكاء والمعرفة .. ثم إله السحر والطب .. وهكذا أصبح هذا الإله سيد الحياة كلها .. ، صحيح أنه يختفي خلف سلطة إنليل أخيه أو سلطة آن أبيه ، ولكن له سلطة الحياة النابضة والخلق والتكون وكأنه ورث باطنياً كل سلطات الآلهة .. وهو هكذا فعلاً.

كانت مدينته (أريدو) أعرق مدن سومر في قدمها والواقعة آنذاك ، على ساحل الخليج العربي ، ويسبب من تتبعنا لتاريخ ظهور الآلهة الأم ، (التي كانت تمثل الأرض ربما (كي) أو (نمو) ، فقد بدأ وكأنه إله المطر شمال العراق (سامراء - حلف) فأخذ هذا الإله شخصية الإله الاب ، وما أن تحولت الحضارة باتجاه الجنوب ظهرت شخصية الإله الابن في إله الماء (إنكي) في أريدو التي هي ثاني ثقافة كالكوليتية بعد حلف (انظر الماجدي ١٩٩٧ م)

وإذا كانت علاقة إنكي بالإله أبسو في الأساطير البابلية واضحة حيث هو ابن أبسو (إله المياه العميقه) ، فإن هذا لا يتضح بهذه الطريقة في الأساطير السومرية لأن (أبسو) لا يظهر كإله بل يظهر كمكان لأن إسم معبد إنكي (إي أبسو) أي معبد الأعماق .. وسمي أيضاً معبد الغور (إي - انكورا) اي معبد شجرة الكشكانو المفضلة عنده . في حين تبدو هناك علاقة مباشرة بين دموزي وأبسو حيث يظهر لنا الإله (دموزي- أبسو) الابن البار لمياه الاعماق رغم أنه الابن المباشر للإله إنكي . أما زوجته فاسمها المعلن دامغالتونا (مكينا أو مكينا) زوجة الأرض والسماء وهي بالسومرية (ماخ) (الكبيرة) ، وهي في حقيقتها شريكته أو المرأة المرافقه الخبيثة الدائمة له (ننخرساج) التي هي ننكي وريثة (كي) وصاحبة الانقلاب الثلاثة عشر .

ويعيش إنكي في إله (أبسو) المياه العميقه تحت قرص الأرض وتزوره أمه التي هي (نمو) وهي الآلهة السومرية الأولى .. ويحيرنا هذا الأمر لأن الأم الفعلية إنكي هي (كي)

لكتنا بمجرد أن نعرف ان الالهة ثم هي ام كل الالهة فهـي بالضرورة أـم إنـكـي ، بل هي الأقرب له لأنـهما الـها المـاء .

وـتـظـهـر صـورـة الـالـهـ إـنـكـي في مـيـاه الـأـعـماـقـ وكـأنـهـ في غـرـفـةـ مـشـيرـةـ لـلـعـجـبـ تـبـدوـ مـثـلـ غـواـصـةـ .

كان الرـقـم السـرـي لـإـنـكـي هو (٤٠) وهو رـقـمـ لـهـ قـدـاستـهـ في الـحـيـاةـ وـالـمـوـتـ وـالـنـبـوـةـ . وـالـفـصـولـ وـغـيـرـ ذـلـكـ .

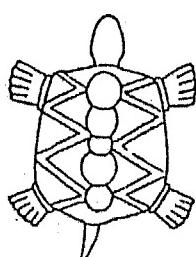
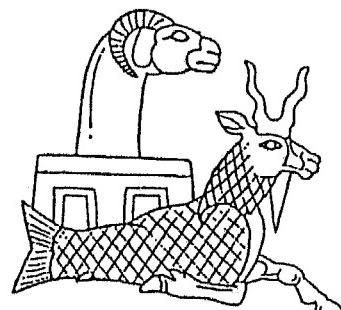
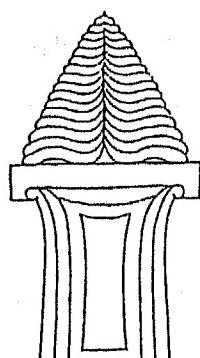
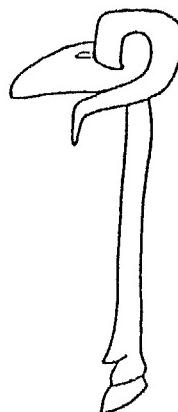
وـكـانـ لـلـالـهـ إـنـكـيـ وزـيـرـاـ اسمـهـ (ـاسـيمـوـ)ـ أوـ (ـاـيـسـمـودـ)ـ وـيـسـمـىـ بـالـاـكـدـيـةـ (ـأـوـسـمـوـ)ـ اوـ (ـاوـسـمـوـ)ـ وـهـوـ إـلـهـ بـرـأـسـ بـشـرـيـ وـلـهـ وـجـهـانـ وـتـظـهـرـ صـورـهـ كـذـلـكـ .ـ أـمـاـ رـمـوزـ الـالـهـ إـنـكـيـ فـيـ الـعـصـرـ السـوـمـريـ فـكـانـ لـهـ رـمـزـ وـاحـدـ هـوـ الـإـنـاءـ الـفـوـارـ الـذـيـ تـتـدـفـقـ مـنـهـ فـيـ كـلـ مـنـ الـجـانـبـينـ الـأـيـمـنـ وـالـأـيـسـرـ خـطـوـطـ مـنـ الـمـيـاهـ ،ـ وـقـدـ اـصـبـحـ لـمـقـابـلـةـ السـامـيـ (ـإـيـاـ)ـ عـدـدـ رـمـوزـ مـنـهـ الـكـائـنـاتـ السـخـيـةـ لـلـسـمـكـ وـالـمـعـزـىـ وـالـخـرـوفـ ،ـ وـدـكـةـ الـمـعـبدـ الـمـقـرـنـةـ ،ـ وـالـسـلـحـفـةـ ،ـ وـسـاقـ الـخـرـوفـ .ـ وـكـانـ السـمـكـ حـيـوانـ قـدـيمـ دـالـ عـلـيـهـ ،ـ وـكـانـتـ أـغـلـبـ أـضـاحـيـهـ مـنـ السـمـكـ وـلـهـذـاـ صـارـ زـيـ كـهـتـهـ (ـخـصـوـصـاـ فـيـ الـعـصـرـيـنـ الـبـابـلـيـ وـالـأـشـورـيـ)ـ عـبـارـةـ عـنـ عـبـادـةـ طـوـيـلـةـ مـنـ الـرـأـسـ حـتـىـ الـقـدـمـيـنـ هـيـ جـسـدـ سـمـكـ بـكـلـ تـفـاصـيلـهـ .ـ وـلـلـالـهـ إـنـكـيـ شـجـرـةـ مـقـدـيسـةـ اـسـمـهـ (ـكـشـكـانـوـ)ـ .ـ

وـالـالـهـ إـنـكـيـ (ـبـعـكـسـ آـنـ وـإـنـلـيلـ)ـ صـدـيقـ الـأـنـسـانـ وـخـالـقـهـ وـمـنـقـذـهـ ،ـ فـقـدـ أـنـقـذـ النـسـلـ الـبـشـرـيـ مـنـ الطـوفـانـ الـذـيـ قـرـرـهـ مـجـلـسـ الـأـلـهـ الـعـظـامـ فـأـسـرـ إـنـكـيـ لـزـيـوـسـدـرـاـ ،ـ الـأـنـسـانـ الـحـكـيمـ ،ـ بـصـنـاعـةـ الـفـلـكـ (ـانـظـرـ اـسـطـورـةـ الطـوفـانـ)ـ .ـ

وـكـانـ أـهـمـ دـوـرـ فـيـ الـحـيـاةـ الـيـوـمـيـةـ إـنـكـيـ هوـ طـرـدـ الشـيـاطـيـنـ فـقـدـ كـانـ كـهـنـةـ الـأـشـيـبوـ بشـكـلـ خـاصـ يـسـتـعـيـنـونـ بـهـ فـيـ تـعاـوـيـذـ طـرـدـ الشـيـاطـيـنـ وـيـعـتـبـرـونـهـ إـلـهـ السـحـرـ الـأـيـضـنـ الـذـيـ يـسـاعـدـهـمـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـمـورـ ،ـ وـقـدـ كـانـ يـسـاعـدـهـ إـيـنـهـ إـلـهـ اـسـارـلـوـحـيـ فـيـ طـرـدـ الشـيـاطـيـنـ ،ـ وـاسـارـلـوـحـيـ اـصـبـحـ فـيـمـاـ بـعـدـ مـرـدـوـخـ الـبـابـلـيـ .ـ أـمـاـ رـمـوزـ إـلـهـ إـنـكـيـ فـهـوـ هـمـوـ (ـإـلـهـ الـحـرـفـ وـالـمـهـارـاتـ)ـ وـالـوـزـيـرـ الـأـسـاسـ هـوـ إـيـسـمـودـ (ـإـلـهـ ذـوـ الـوـجـهـيـنـ)ـ .ـ

أـمـاـ القـابـهـ فـهـيـ نـوـدـيـوـدـ (ـالـخـالـقـ)ـ ،ـ رـبـ حـزـمـةـ الـقـصـبـ ،ـ الـالـهـ ذـوـ الـأـذـنـ الـكـبـيرـةـ الـمـفـتوـحةـ ،ـ عـيـنـ الـمـاءـ الـلـامـعـةـ ،ـ رـبـ الـحـكـمـةـ ،ـ رـبـ الـتـعـاوـيـذـ .ـ

لقد أتيجت إنكى أربعة أنواع من السلالات الآلهية (سنقشها بعد قليل) هي سلالات الآلهة النباتية والحيوانية والانسان (الله الضعيف) وألهة العمran والبناء والمدينة .



شكل (٢٨)

رموز الإله انكي

١. حوالي ١٨٠٠ ق.م ٣.٢ القرن ١٢ ق.م ٤، ٥ نهاية الألف الثاني ق.م

رسم : علي محمد آل تاجر

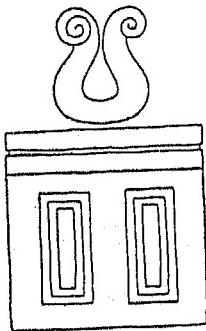
#### ٤ . كي Ki

(كي) هي الأرض وهي الإلهة السومرية الام الثانية بعد (نحو) في سلسلة ثيوغونيا الآلهة السومرية ، لكن الغريب في الأمر أن هذه الإلهة اتخدت أكثر من إسم ومن صفة . ولم نجد في ما تتوفر لدينا من مراجع حلاً لمشكلة نسبها ولكننا نرى يقيناً أن هذه الإلهة أُنجبت من الإله (آن) إلهة أنتى أصبحت فيما بعد هي الإلهة الام الكبيرة الثالثة في سلسلة النسب وهي الإلهة (ننكى) التي هي الإلهة ننخساج أيضاً والتي استطعنا أن نحصرها لها ثلاثة عشر إسماً ، ولذلك يكتن القول أن إلهة (كي) هي نفسها إلهة ننخساج وقد عبرت عن نفسها في ولادة جديدة ، وفي اليونانية تقابلها كلمة جي ge التي تعني الأرض ، أما ألقابها أو أسمائها فهي :

- ١ . دامكال - نونا وتعني زوجة الامير الكبيرة وأسمها البابليون (دامكينا) وهو الاسم الشائع لها كزوجة لأنكى
- ٢ . ننكى (سيدة الأرض) ويشير مقطع (نن) إلى سيدة أو إلهة .
- ٣ . ننخساج (سيدة الجبل) وهو الاسم الذي شاع أكثر من غيره وتعني تحديداً سيدة الأرض الصخرية المرتفعة . وربما قصد الجبال الشرقية التي فيها مقر الآلهة (دوكو) .
- ٤ . ننماخ (السيدة الكبيرة) ورمزها المرأة العارية المصابة اليدين على صدرها .
- ٥ . ننتو (سيدة الولادة) وهي الإلهة المساعدة في الإنجاب ، ورمزها المرأة التي تحمل بيدها اليسرى طفلاً ترضعه ، وتصلبي بيدها اليمنى
- ٦ . مامي (ماما) : الأم (مختصر الإلهة ماميتزو زوجة إيرا)
- ٧ . ماري : العذراء أو الغربية
- ٨ . كاتوم دوك : الهمة الأطفال والمسؤولية عن تربيتهم
- ٩ . بيليتى : الهمة النسل ، أو بيليت - ايلى Beletili أي سيدة الآلهة .
- ١٠ . اوراش : ويعتقد انه يعني الأرض ومصدره اكدي لكن السومريين استعملوه .
- ١١ . اوروو : سيدة الإنجاب ورمزها الصقر الواقف على عمود

١٢ . دنگير ما : الالهة الأم ، وكانت تلقب أيضاً بـ (سيدة الزمن Date godess)

١٣ . ننمينا : ويعني هذا الاسم بالسومرية (سيدة القبعات الالهية) وهو اسم نادر جداً ويستبدل في انشودة الفأس السومرية باسم (دامغال - نونا) وتوصف بأنها ولدت الكاهنة الملكة والملك . وربما كان لها علاقة باسم (دبجر من) التي وردت في قوائم اسماء الآلهة في فارا (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ٣٨).



شكل (٢٩)

رمز الإلهة ننخرساج (القرن ١٢ ق.م)

رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٣٠)

الإلهة الأم ننخرساج (سيدة الزمن )

وأغلب اساطير (نخرساج) ارتبطت بالله إنكي ، كما سنرى ، كزوجة وعشيقه وأنجبت منه أغلب إلهات وألهة البناء والحيوان والمياه والعمران . . الخ ، لكن لها زوج آخر ذكر في العالم الأسفل هو (شولبي) الذي أنجب منها ولدان هما (مولوليل) و(أششرجي) وابنة هي (أكيم) ، ويرى كرير أنها كانت ذات منزلة عظيمة وتتقدم على كل الآلهة (وهذا يذكر بالإلهة الأم أو الإلهة) وأنها كانت تعتبر أماً لجميع المخلوقات الحية وكان الحكماء السومريون يقولون عن أنفسهم (أن نخرساج تطعمهم بالبن على الدوام) (انظر كرير ب. ت : ١٦٣).

وربما اختلط اسمها باسم (اوراش) زوجة آن وأم نسيتا ، وقد عبدت (اوراش) في مدينة دلبات ويوصف شولبي أو شولبا ، بأنه (الشاب البهي الطلعة) وانه الله الحرب والقتال ويصور أحياناً كعفريت ، ثم يوصف شولبي منذ العصر البابلي القديم بأنه أحد آلهة السماء متجسداً في نجم المشتري .



شكل (٣٢)  
نخرساج في هيئة إله العين



شكل (٣١)  
ڪاتوم دوك

## ٣. حملة إنليل

### الشجرة الإنليلية الهوائية النارية

قلنا أن الآلهة إنليل استلم سلطات أبيه آن، وعين أخاه (نسكو) إله النار (ابن آن) وزيرآله، وهكذا اتخد الهواء مع النار في تكوين سلالة واحدة مستكون من أهم ميزاتها عنایتها بما يظهر في الفضاء الجوي من كواكب وأجسام وعواصف ورياح وامطار وستعني بتبدل الفضول وغيرها، ولأن الفضاء الذي تحت (الأرض والابسو) هو جزء من الفضاء الكروي الذي يحيط بالأرض لذلك أصبحت مهمات الفضاء الأسفل (العالم الأسفل) أيضاً من مهمات السلالة الإنليلية حيث يظهر فيها آلهة هذا العالم كملوك له، ويظهر ابناء آن وإنليل كمجاميع من الجن والعفاريت والشياطين منه. اضافة إلى أرواح المرضى، إن صفة الموت تدل كثيراً على طبيعة هذه الشجرة الإنليلية لأن من صفاتها جمود وباس مكوناتها وتربيصها بالأرض واحتاطتها بامكانات الكوارث (العواصف، الامطار، الفيضان، البرائق، السكوف، الخسوف)، ظهور كائنات وحشية من العالم الأسفل لتدمير الأرض وهكذا). ولا نبعد امكانية أن تكون إنانا (الإنليلية السلالة) سبباً في موت دموزي (الأنكي السلالة) وحذب الأرض وستتوسع لاحقاً في تفسيرنا هذا.

لقد استعمل الأكديون مصطلح الإنليلية على شكل (إنليلوتو) وكانوا يقصدون بها الروح الإنليلية المرتبطة بالسيادة والقوة (فقد اعلن حمورابي مثلاً في مقدمة شريعته أن (آن ومردوخ) زوجاه بالإنليلية ليسوس البشر بها، وتجري الامور متشابهة في الدولة الآشورية حيث يلقب إله الدولة القومي بـ(إنليل الآشوري) مثل مردوخ في الدولة البابلية ويلقب الاثنان في دولتيهما (بانليل الآلهة)، (اذازارد ١٩٨٧ : ٦٩).

إذن نحن أمام الوجه الآخر للوجود (الوجه غير الحي) السلبي ربما في الكثير من جوانبه، ولكننا كما نعلم بأن الحياة الدينية بطبيعتها لا تعطي شكلاً سلبياً خالصاً لسلالة إله عظيم كإنليل ولذلك سنجد بعض الجوانب الحية والإيجابية التي تشعر أنها تخفف أو تلطف من قسوة ابناء إنليل وأحفاده.

ولكن هذا الغلاف الهوائي الناري الآلهي الذي يحيط بالأرض يساهم أيضاً في تنظيم قوانين الأرض باعتبارها مركز الكون فحركة الشمس والقمر والكواكب والرياح

والفصول هي قوى كونية منظمة للحياة على الأرض أيضاً ولكنها صارمة وحادة .. وعلى هذا الأساس فهي التي تمسك بالنوميس المعنوية كالحق والعدالة والشجاعة والنبل . ولأن الأمراض نوع من الكوارث فهي من اختصاصها ، مثلما الشفاء منها أيضاً في بعض الأحيان ، ولذلك ينقسم آلهة العالم السفلي إلى آلهة أمراض مثل ثمار ونركال وآلهة شفاء مثل نزارو . الخ.

ولعل أهم أسطورة ثيوغونية إنجيلية هي أسطورة نفي إنليل أو هبوطه للعالم الأسفل حيث تبعته نيليل وإنجاب إله القمر (نانا) وثلاثة آلهة من آلهة العالم الأسفل وهي كما يلي:

### **أسطورة إنليل ونيليل ولادة القمر وآلهة العالم السفلي**

يتألف نص هذه الأسطورة من (١٥٤) سطراً عثر عليها في مدينة (نفر) ويمتاز النص ثيوغونياً بأنه أحد أهم النصوص القدية التي يتم فيها تحويل الإله إنليل من هيبته كإله إلى كائن آخر وذلك عندما يتقمص شخصيات بواب وعيار ونوتى العالم الأسفل ، ثم ان النص يشير غرابة بايولوجية حيث تحمل الآلهة نيليل في بطنه (أربعة أجنة) من أربع مضاجعات متماثلة . . من دون أن تلد الواحد ثم تحمل بالأخر .

أما الأمر الآخر فإن الزواج غير الشرعي بين إنليل ونيليل يحمل مغزاه الشيوغوني العميق الذي سنشرحه بالتفصيل .

تبدأ الأسطورة بوصف مدينة (نفر) وهي مدينة الآلهين إنليل ونيليل (ومفترض انهما تزوجاً كما في الأسطورة السابقة لكن الأسطورة تصف اللقاء بينهما وكأنه يحصل لأول مرة) . وتصف الأسطورة مرافق وأوصاف وبساتين وأنهار نفر ، ثم تصف الأسطورة مرافق وأوصاف وبساتين وأنهار نفر ، ثم تصف فتاتها الشاب القوي (إنليل) وفتاتها العذراء (نيليل) .

وهناك من يقول أن أم نيليل (نبار شكونو وهي نصابة) تنصح ابنتها بأن تستحم في نهر نفر ليراها إنليل وتغويه ، وهناك من يقول بأنها تخدرها من ذلك لأن إنليل إن رأها سيغتصبها (والاحتمال الأخير هو الأرجح) ، وعندما تخلع ملابسها وتستحم يراها إنليل ويطلب منها مراراً بأن يضاجعها ولكنها ترفض في كل مرة ، ثم يقوم إنليل بأمر وزيره

(نسكو) فيجلب له الأخير قاربه الملكي الذي يتغلغل بين القصب، ثم ينال إنليل من نيله ويغتصبها في قاربه .. ويذير في أحشائهما إله القمر (نانا).

وفي المدينة يقابل الآلهة العظام الخمسون ومعهم آلهة المصائر السبعة، بعد أن عرروا بالحادث، فيطرون إنليل من المدينة وينفوه إلى العالم الأسفل، وحين توجه إنليل إلى العالم الأسفل، تبعته نيل وهي حامل بابها القمر. وعلى بوابة العالم الأسفل يجد إنليل حارس البوابة فيتخد هيأته ويأمره بأن يتوارى، ويقف هو مكانه كحارس للبوابة وعندما تحيي نيل يقنعها بباب العالم الأسفل (الذي هو إنليل متنكرًا) بأنها إذا أرادت أن تخلص بذرء إنليل في بطنها (نانا) فإنه يجب أن يضاجعها لكي تبقى بذرته منها في العالم الأسفل وتصعد بذرء إنليل (نانا) إلى العالم الأعلى، وتقتنع نيل بذلك. ويفعل نيل مثل هذا الأمر مرتين آخرين متنكرًا بشخصية رجل نهر العالم الأسفل (مفترس البشر) وبشخصية (سيلوليم) نوبي العالم الأسفل أو عبّار نهره.

ثم تنجب الإلهة نيل أربعة آلهة هم :

١ . نانا Nana : إله القمر (وهو ابن غير شرعي من إنليل) تمت زراعته بذرته في رحم نيل بين أحراش القصب في نهر نهر

٢ . نركال - مسلامتا يا Nergal - Meslamtaea : الآلهة الذي سيصبح إله العالم الأسفل، وهو ابن غير شرعي من إنليل وهو في حالة تناحر بشخصية بباب العالم الأسفل.



شكل (٣٣)  
رموز الإله نركال  
(رسم : علي محمد آل تاجر)

٣ نازو **Ninazu**: إله مهم من آلهة العالم الأسفل معنى اسمه (السيد الطبيب)، وهو هنا ابن غير شرعي من إنليل وهو في حالة تنكر لشخصية رجل نهر العالم الأسفل (مفترس البشر) . . لكن هذا الإله يرد دائمًا كابن للإله نركال من ارشكىكار.

٤. اليجييل (كيل) إله النار السفلی، وفي رواية أخرى أنه الإله انبيلولو **Enbilulu** وهو إله نهري دجلة والفرات، ولكن هذا إله يرد في الآلهيات على أنه ابن الإله انكي.

واعتقد أن الفلسفة اللاهوتية الكامنة وراء هذه الشيوجونيا الانليلية تخلص في النقاط التالية :

١ . أن الاغتصاب جريمة كبيرة حتى لو كان مرتكبها إله وأن عقوبتها الموت (الذهاب إلى العالم الأسفل) وهذا جانب أخلاقي تؤكد عليه الأسطورة حيث أن الآلهة السبعة العظام والآلهة الخمسين الكبار قرروا موت إنليل بسبب اغتصابه للإلهة نليل

٢ . إن ذهاب أي إله إلى العالم الأسفل يعني بقاءه فيه إلى الأبد، ولذلك جاءت الأسطورة بشيئه جديدة لتخلص إنليل من هذا العالم بأن نزلت الآلهة نليل وراءه لتخليصه . (ولنلاحظ أن هذه الأسطورة سابقة لنزول آنانا للعالم الأسفل لتخلص إنليل دموزي كما ترد في بعض التفسيرات).

ولكن هناك مشكلة جديدة فالإلهة نليل حامل<sup>باله</sup> القمر (نانا) ، وأصبح الآن هناك ثلاثة آلهة داخل العالم الأسفل . وهنا تلجم الأسطورة إلى حيلة ذكية وهي انجاب ثلاثة آلهة لكي يحلوا مكان الآلهة الثلاثة (إنليل ، نليل ، نانا) وهذا هو شرط خروج هؤلاء الآلهة من ذلك العالم .

٣) ولنلاحظ أن ظهور الإله (نانا) كان غير شرعي ، ولذلك توجب على هذا الإله أن يظل محكوماً بالدخول والخروج إلى العالم السفلي كل يوم وليلة في النهار يدخل القمر العالم الأسفل وفي الليل يخرج منه .

٤) كان الإله نركال يتخذ أحياناً ، بل وفي الكثير من الأساطير القديمة ، وكأنه (الله الشمس) وهكذا هو موقعه فهو يأتي بعد الإله القمر (نانا) ، وفي الشيوجونيا السومرية يكون الإله الشمس (أوتو) ابن الإله القمر اي الذي أتى بعده وكان نركال يحتل نفس الموقع وهكذا يعني أن الشمس محكم عليها بالدخول إلى العالم السفلي ليلاً والخروج منه نهاراً

في حركة معاكسة للاله القمر. (خصوصاً أن الاله نركال كان لها علوية).

٥) واذا كان لنا من تفسير للاله (ننازو) الذي رمزه الأفعى فهو كذلك يخرج ويدخل من وإلى حفر العالم الأسفل متى يشاء . . ويسبب من كونه الأفعى فهو يدلّ على الطب، والأفعى لها جحورها الخفية في الأسفل وهي تظهر ايضاً إلى العيان.

٦) أما اليجبيل (كيبيل) فهو إله النار واسمه بالاكدية (جيرو أو جيرو) ولكنه لا يشبه نسكتو ابن آن ، إنه إله النار التي تخرج من العالم الأسفل من باطن الأرض في دورات غير محكمة أو مضبوطة .

ثم تطور مفهوم الجبيل أو جبيل ليدل على النار بكل اشكالها فهو مصدر خير أو شر تحدثه النار بالاتجاهين . ويدرك احد نصوص التعاويذ من سلسلة (عفاريت او توکو الشريرة) خبراً اسطوريأً مدوناً باللغتين السومرية والأكادية كما يلي :

يصعد الإله إنكي إلى السماء برفقة جبيل ليستكشفا سر العفاريت الشريرة السبعة (سيتيتو) وبما أن هذه المخلوقات هي مخلوقات الإله (آن) فقد تم خلقهم دون معرفة (إنكي) وعندما يطلعان على عمل واصل العفاريت السبعة ، يرسل إنكي جبيل إلى اسارتلوحي (إله التعاويذ) الذي يقوم بتزويذه بمعلومات عنها ويتلقى جبيل الإرشادات المناسبة ليقوم ببطقوس التعاويذ (انظر اذزارد ١٩٨٧ : ٨٤) .

اما اذا كان هذا الاله (انبولو) فهما دجلة والفرات اللذان ينبغان من جوف الأرض فهما تحت / فوق الأرض وهذا ما يشير ايضاً إلى حركة سفلية علوية .

لقد وضعت هذه الاسطورة (قبل اسطورة انانا والعالم الأسفل) حركة دورية ثيوجونية مذهبة وأشارت برموز ومدلولات خفية وعميقة إلى ظهور واختفاء الآلهة في العالمين الأسفل والأعلى وحركتهما فيه ، وسنحتاج إلى الكثير ليساعدنا في تفسير علاقة الباب بالاله نركال (هل هو رمز الملك في العالم الأسفل؟) ، وعلاقة رجل نهر العالم الأسفل قاتل البشر بالاله ننازو (هل هو الاله السام قبل أن يكون الشافي؟) . وعلاقة نوتني إله العالم الأسفل بالاله اليجبيل أو انييللو (هل هو العازف الصاحب كالنار أو كمياه دجلة والفرات؟) ، هذه الاستئلة وغيرها تتركها لمعلومات أدق قد تجود بها اساطير أخرى لتوضح لنا الحقيقة .

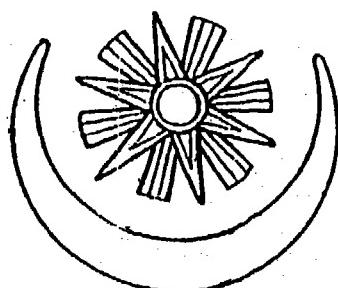
هذه الأسطورة الشيوجونية معبأة تماماً بسحنه رمزية عالية وعليها أن توقف عندها طويلاً في أية قراءة أو تحليل.

### **أبناء إنليل (الله الجيل الأول من الشجرة الانليلية)**

١ . نانا (سون) : إله القمر وهو أهم إله إنليلي ، ولكن هذا الإله مثل ذات يوم أحد اوجه العبادة القمرية للإلهة الام في النيوليت وكان هذا الإله مرتبطاً بها . ولا بد من الاعتراف ان هذا التغير في كونه إليها إنليلياً وليس إليها أمومياً (يعنى الإله الام او يعنى الإله إنكي) يمثل انقلاباً لاهوتياً ذكورياً سومرياً على تقاليد النيوليت ، وهو بذلك يجسد الإنقلاب الذكوري الكلاكويتي الذي كان امتداده في سومر ، رغم بقائياً واضحة وكثيرة للعصر الأمومي .

وسيصبح إله القمر في وادي الرافدين مصدر محاولات توحيدية مثل التي قام بها ابراهيم الخليل في اور وحران (وكلاهما تبعدان القمر) . . والمحاولة الآخر ملك بابل هو نبونائيد .

الله (نانا) سيكمل الشجرة الانليلية كما سنرى في الجيل الثاني . وقد رمزه في العصر السومري حوالي القرن (٢٢ ق. م) هو هلال مقوس مفتوح للأعلى يحتضن شعار الشمس المكون من اثنى عشر ساععاً ستة منه مديبة والستة الأخرى اشعة ثلاثة مسترسلة (شكل ٣٠) وهذا الرمز يدل علي أن الله القمر يختضن ولده الله الشمس .



شكل (٣٤)

الرمز السومري لاله القمر (نانا، ننان) القرن ٢٢ ق.م

رسم : علي محمد آل تاجر

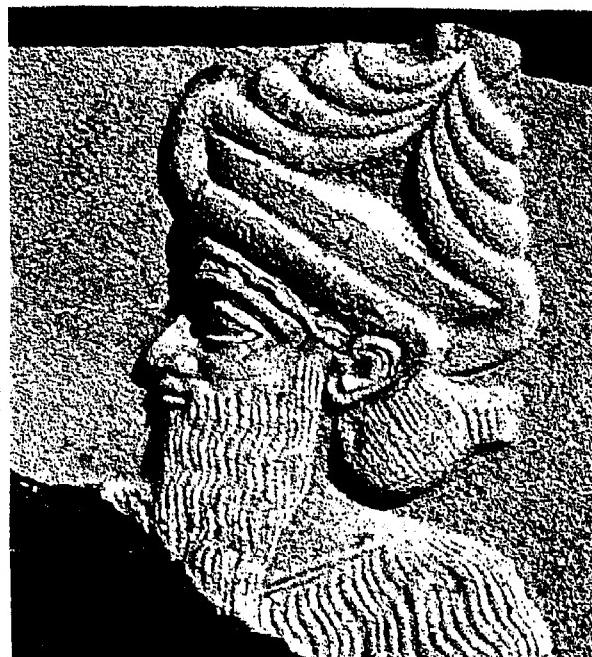
و مثلما ارتبط آن ولداته إنليل وإنكي في ثالوث سومري أول ، ارتبط نانا مع ولديه أوتو (الشمس) وإنانا (الزهرة) في ثالوث سومري ثان كوكبي الطابع . وإذا كان الثالث الأول كوني الطابع فإن الثالث الثاني فلكي الطابع .. وللثلاثة أهمية كبيرة في تطور الفكر الديني لاحقاً . الرقم المقدس لنانا أو (موشكى) هو ٣٠ وهذا يعني أن سلطته نصف سلطة آن لأنه يقف على رأس ثالوث ثانوي . أما الحيوان المقدس له فهو الثور المجنح .

أما أهم معابد (ننار) فكانت في أور واسم معبده (اي - كيشرگال) وفي حران (اي - هلهول)

وزوجته هي الالهة (ننگال) السيدة الكبيرة وتسمى الالهة المتوجة (شكل ٣٦) أما أهم القابه فهي (زورق السموات المصيء ، ذو البروغ الساطع ، رب الشور الوحشي إينسون ، سيد العرش ، إله النور الجديد ، ثور إنليل الصغير ، الأب) .



شكل (٣٦)  
الإلهة ننگال زوجة نانا



شكل (٣٥)  
إله القمر نانا

وكانوا يفسرون خسوفه بـهاجمة العفاريت السبعة له (انظر الاحمد ١٩٨١ : ٢٦).

أما أطوار القمر الهلال ، البدر ، المحاق فقد اتخذها السومريون مقاييساً لتقسيم الشهر إلى أربعة أسابيع فالهلال هو أول ظهوره ونصف البدر هو الأسبوع الثاني وакتماله بدرأ هو الأسبوع الثالث أما المحاق ف أسبوعه الرابع وكان يسمونه (بيلولو) حيث يعتقدون أن الأرواح الشريرة تستولي عليه بعد المحاق ليومين أو ثلاثة وتعطله في العالم الأسفل ثم يعود من جديد ، وكانت هناك أسطورة حول خسوف القمر مدونة بالسومرية ترد في مقدمة (تعويذات الاوتوكو الشيرية) تتحدث عن تناقض بين آلهة القمر والشمس والزهرة بتحرりضن من الآلهة إنليل لمقاومة الآلهة (آن) في حكم العالم . فيتصدى (آن) لهم ويرسل آلهة السبيتو السبعة ليقتل إله القمر (نانا) مما يسبب ذلك خسوف القمر فتتخلى إنانا عن حلفائها وتنتضم إلى صفت (آن) وتنجح بذكرها في كسب آن راغبة في حكم السماء بمفردها ويقوم الآلهة (إنليل) بارسال رسوله (نسكو) إلى إله الحكمة (إنكي) لينقذ القمر من مآزقه فيطلع إنكي الآلهة (أسارلوجي) على الأمر ويقف النص عند هذا الحد ، لكن نهايته تشير لتجاه إنكي في تحرير القمر من الشياطين السبعة . وهذه الأسطورة تشير إلى خسوف القمر وكان السومريون يختلفون في كل مرحلة من مراحل القمر بعيد أسبوعي اسمه (إشن ، إيش) وربما هو نفسه ما نسميه عطلة نهاية الأسبوع الآن . ويسبب من ارتباطه بالزمن والتاريخ أسماء الساميون فيما بعد (ورخ) التي تدل على التاريخ أما اسمه السامي الشهير (سين) فهو من أصل سومري فقد جاء من إنزو زوين Enzu التي تقرأ زوين Zuen ومنها زن Zen وسن Sin (انظر بوتيرو ١٩٧٠ : ٤٠).

٢) **آلهة العالم الأسفل** : وقد تحدثنا عن ولادة ثلاثة منهم ، ونحن نثر الحديث هنا عن أهمهم الذي هو نركال (ملك العين المظلمة) وهو إله مهم في الشيوغونيا السومرية لأنه بعد أن كان إليها علرياً يجلس مع الآلهة في العالم الأعلى ، أصبح فيما بعد ملكاً على العالم الأسفل وتزوج إرشكىگال ملكته (وهو ما ترويه أسطورة بابلية) ولا شك أن وجود الإله القمر وإله الظلام (نركال) في جيل واحد من أبناء إنليل يعني فيما يعنيه الصراع أو العلاقة بين النور والظلمة فالهواء أو الفضاء (الليل) الجب القمر والظلام وكلاهما دائرة فوق الأرض وتحتها .

إن هذا التضاد بين النور والظلم سالمحه في الجيل القادم الثاني لإنليل حيث تظهر

الشمس والزهرة (النور) والإلهة إرشكىكال (الظلام)، بل أن الجيل الثالث للإله إنليل والذي تقف إنانا على رأسه توحى لنا بازدواج النور والظلام في رحلتها بين العالمين العلوي والسفلي .

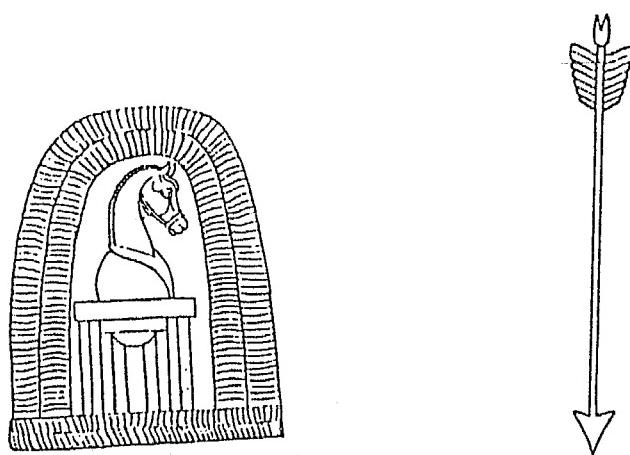
لا شك أن مصدر فكرة (النور والظلام) في الديانات اللاحقة كالصابئية والزرادشتية كان من هذا الصراع بينهما. وسنعود للأمر عودة أخرى .

لا يملك إلى ما يشير إلى رمز للاله نركال في العصر السومري تحديداً ، أما في العصور اللاحقة فقد كان الكلب المجنح رمزاً له .

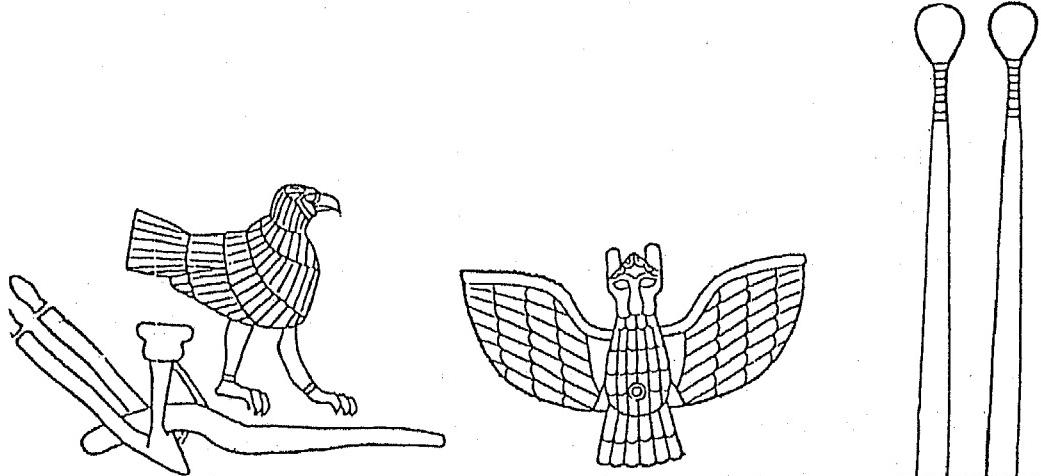
(٣) إلها العاصفة (نورتا، ننكرسو) : تعني الكلمة (نورتا) بالسومرية (إله الإعصار)، وتعلق وظيفته بالوضع المضطرب والحاد للطقس، وهو من الناحية العملية الوريث الحقيقي لوظيفة وطبيعة أبيه (إنليل) لعلاقته بالهواء والعاصفة ولذلك لقبوه بـ (الولد) تصغيراً لأنليل . وقد عبده الساميون كإله للصيد وال الحرب، أما الآشوريون فأعطوه مركزاً عظيماً في حياتهم الدينية .

الرقم السري لكل منها (نورتا، ننكرسو) هو نفس الرقم السري لأبيهما (٥٠) واعطي معبد الخمسين (اي - نينو) في لكتش لكليهما بعد أن كان لأبيهما إنليل . « وقد سمي نورتا بعاصفة إنليل ، وكان رب أخشاب يسيطر على الزرع والفيضانات وصار في العصور الآشورية المتأخرة إله المعارك ومستشار آتو وانليل .. وهو رب صيد مثل نركال ، لذا شاهد رايتها على عربات الملوك ، ورمز اليه برأس حصان موضوع على كرسى وفوقه قوس وكذلك بعمود فوقه رأس أسد أو رأس ثور ، (الأحمد ١٩٨٨: ٣٤). (شكل ٣٧، ٣٨)

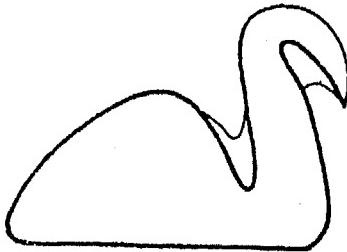
وكانت زوجة الإله نورتا هي الإلهة (بابا) وتسمى (الإلهة ذوي الرؤوس السود) وتسمى أيضاً (با أو ) مشيدة الحقول والبساتين وتلقب بـ (العجلة) ، وكانت ثوغونياً إلهة آن إله السماء ، وتعتبر بشكل أساسى إلهة الشفاء ويرمز لها بالكلب لأن لسان الكلب أو الكلبة كان يشفى الجروح عن طريق لعقها لوجود مواد مضادة للجراثيم في لعابه .. وسنجد أن الإله كولا في الميثولوجيا البابلية هي التي ترث الإلهة (باو) تماماً وتصبح أيضاً زوجة الإله نورتا وكانت (باو) تعرف باسم آخر هو (زن - نيبور) اي (سيدة نهر) ، وكانت (باو) تصور دائماً بناج أوزي شكل (٤١، ٤٠، ٤٢)



شكل (٣٧)  
رمزاً للإله نورتا  
١. نهاية الألف الثاني ق.م. ٢. القرن ١٢ ق.  
رسم: علي محمد آل تاجر



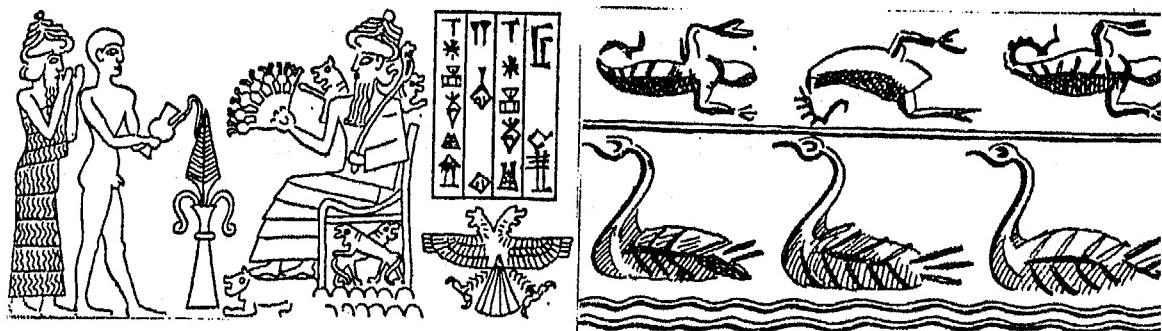
شكل (٣٨)  
رموزاً للإله ننکرسو  
١. بداية عصر مسيلم ٢. النصف الأول من الألف الثالث ق.م. ٣. القرن ١٢ ق.م  
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٤٠)  
رمز الإلهة باو  
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (٣٩)  
الإلهة باو بتاج أوزي من أور



شكل (٤٢)  
الإلهة باو كإلهة للطلب والزراعة  
العقارب والأوزات رموز الإلهتين أشخانا وباو

أما الإله (ننكرسو) فهو (إله مدينة كرسو السومرية) وهي مدينة تابعة إلى دولة مدينة لكشن، وكان هذا الإله يبدو وكأنه يمثل الإله العام نورتا وأباه الإله المطلق إنليل في مدينة كرسو أو لكشن بأكملها، ويبدو أن معبده الأول اسمه (بيت البّجارة) وكان إله حرب ويحب تقديم الهدايا والذور، وهناك نص سومري مشهور مكتوب على اسطوانتين لملك لكشن كوديا إلى الإله ننكرسو يخص بناء معبد له حيث يأتيه في الحلم ويبلغه هذا الأمر، ويبدو ننكرسو أيضاً إلهًا له علاقة بالطقس والمطر والريح.

رمز له السومريون في عصر ميسيلم (حوالي ٣٠٠٠ ق. م) بعمودين ذي رأسين مكورين ولهمارقبتين ممحزو زتين . شكل (٣٨) ورمز له في النصف الأول من الالف الثالث ق. م بطاطر العاشرة امدو گد الذي له رأس أسد وجناح نسر وظهرت تماثيل كثيرة تعبر عن هذا الطائر الذي يدل على القوة والريح معاً ويبدو أنه كان يصبح أحياناً رمزاً لأنجيه الإله نورتا .

وكان للإله ننجرسو ولدان هما (كال الييم) وهو إله الحق وصد الشر وهو إله الملوكية أما الإله الآخر فهو (شول شاكا) إله السكاكين والقرايبين وهو إله الحياة أو الحيوية لارتباطه بالدم ، الإلهان يمثلان وظائف إنليلة عملية ويعبران عن ما يمكن أن يكون عليه أبناء إله مدينة لها تقالييد دينية عريقة مثل لكشن .

#### ٤) إله الفصول (الصيف والشتاء، ايش واتين) :

هذان الإلهان المترافقان، او التلارزان بتناوبهما، يعتبران إينا الإله إنليل ويتحكمان بظهور فصل الصيف والشتاء وتعاقبهما، ولا نعرف عنهما الكثير سوى اسطورة شهيرة للتناقض بينهما أمام إنليل سندكرها في أساطير تنظيم الكون، لأنها لا تقع ضمن حقل الأساطير الشيوجونية ، وتنسب إلى ادب المناظرات (ادمندو گا) أكثر من كونها اسطورة بالمعنى الدقيق لمصطلح اسطورة .

٥) بابل ساجع : ومعنى اسمه بالسومرية (البوابة) وقد تكون له علاقة بالعالم الأسفل ، وهو إله (لاراك) وزوج إلهة الشفاء (نسينا) التي كانت تلقب بـ (سيدة لاراك) .

## **أبناء نانا (الله الجيل الثاني من الشجرة الإنليلية) الشجرة القمرية**

الأمر الملفت للانتباه ان الإله إنليل لم ينجب إلهة اثنى (وهذا تكريس آخر لذكورته ومركزيته الذkorية خصوصاً أنه وريث آن مباشرة). لكن الإله القمر كان في العصور القديمة وخصوصاً عصر النيلوليت (الحجرى الحديث) حيث اكتشاف الزراعة وزيادة دور الاثنى، كان هذا الإله إلهاً اثنوياً في سلوكه وطبيعته وكان يرتبط دائمًا بالإلهة الاثنى الام. وهو أحد أوجهها الطبيعية (انظر الماجدي ١٩٩٧).

بعد الإنقلاب الذكوري في عصر الكالكوليت بدأ ضمّ معظم الحاشية الأنثوية الأُمومية إلى إله ذكري قوي كان الهواء أو السماء . . وهكذا نجد الآن أن إله القمر (نانا) ابن إنليل مباشرة ( فهو ابن الذكر الاب العاصفة) وهو (أب الإله الشمس الساطع القوي الذكر أيضاً ) وهكذا حُبس الإله القمريين نسلين ذكرين عترين .

ولكنه برغم ذلك أنجب إلهتين مهمتين للغاية متعاكستين في الوظيفة وإحدهما تكميل الأخرى وهما (إنانا وارشكيكال) .

ومن المؤسف حقاً أننا لا نملك أسطرير ثيوجونية تخص إله القمر وهو ينجب أبناءه ، ولكننا نعرف تماماً أن كل هذه الآلهة جاءت من زواج إله القمر مع الإلهة ننكار :

(١) إله الشمس (أتو UTU) : ليست هناك اسطورة ثيوجونية تجسد كيفية ولادة إله الشمس من الإلهة ننكار وزوجها إله القمر ، لكن الاعتقاد المثولوجي في أن القمر أب الشمس يأتي من فكرة أن الظلام كان أولاً هو الذي يسود العالم ومن هذا الظلام ظهر النور وانكشفت الأشياء وتميزت في نهار العالم ، ولأن القمر يمثل أول نور داخل الظلام لذلك كان الضياء المطلق للشمس ابنًا له .

واعتبر الإله الشمس في الفترة البابلية أباً للإله مردوخ فاسمه كان (amar - اتو - k) اي (ابن الشمس) .

وقد عرف الإله الشمس باللغة السومرية بعدة أسماء منها اوتو Utu ، وبيار Babbar وگشر sir و زلام Gis وزلم Zalam وبزير Buzer ومان Man وأمنا Amna ، ونرجح أن يكون الإسمان الأخيران أصل الإله آمون المصري مثلما نعتقد أن اسمه الرئيسي اوتو هو مصدر الإله المصري الشمسي أتون (انظر عبد الرحمن ١٩٧٥: ١٢). وكان من صفات الإله

اوتو بأنه (ذو اللحية اللازوردية) و(ذو الوجه المضيء) و(الوسيم) و(ذو اليد الطويلة) و(العالي) و(المكسو باللمحات) و(الثابت الذي لا يتغير).

ويوصف بأنه (مرشد كل الناس) وسيد الفأل والعرفة و(كافش الاسرار) و(منظم ما في السموات والأرض)، (مقدر الخطوط) و(خالق الكون والجهات الاربعة) و(ملك العدالة) و(الناصر) وألقاب أخرى (انظر 1938: 455 AGE).

ويعتقد أن (اوتو) كان يبحر في قارب كما وضحت ذلك علامة كتابته في المرحلة الصورية وبداية العصر الاكدي. أو أنه يشاهد في الكثير من الأختام الاسطوانية كشيخ كبير من بين جيلين ويقطع العالم العلوي سيراً على أقدامه. وأحياناً على عربة نارية وأحياناً كأنه طير وكان إله الشمس يسمى (اوتو - كشكالو) واعتبر الطير ويرجح أنه الصقر (انظر King 1899: 31).

أما زوجة الاله اوتو فهي الالهة (آيا Ayya أو آيه Aya) وهي الالهة سومرية تعني (المهيئة أو التي تقع) ولها عدة اسماء سومرية هي (سوداًكاً) وهذه تشير إلى نيزك أو شهاب، ننموليسي أي سيدة النجمة الحمراء، سوركا، زُب اوتو، اوتو بلبل وهو الأسماء الثلاث الأخيرة لا تعرف معانيها تماماً غير أن لها علاقة واضحة بالضوء (انظر Roberts 1972: 14) وزوجة اسمها (سودجا اي المشرق) وهذا لقب أناانا، وكانت أناانا عندما تقرن بالاله (اوتو) كزوجة له لا أخت تعرف باسم (أتوبيت)، وكانت (آية) توصف بأنها سيدة البلدان و(الله السماء) و(ربة الفجر) و(الله البشرية) . . الخ.

الرقم السري للاله الشمس هو (٢٠).

وكان (اوتو) و(آية) يعبدان في مدينة سبار وعرف معبد اوتو بـ (اي - بيار) ومعبد (آية) باسم (اي - ايتننا) اي معبد الأحراش لأنها كانت بالأساس الالهة للخضرة، وعبد اوتو أيضاً في مدينة (لارسا).

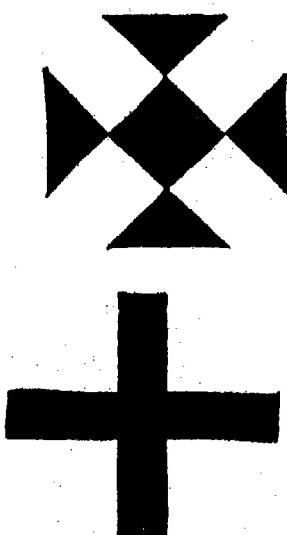
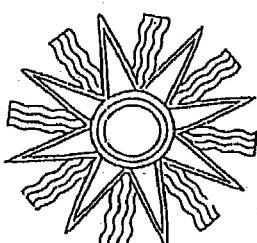
أما الرموز السومرية للاله الشمس فيمكن تتبع جذورها من أقدم العصور النيوليتية فقد ظهر رمز الصليب المائل منذ عصر حضارة النيوليت (الزراعي شمال العراق) في حدود الألف الخامس ق. م ثم في ثقافة سامراء وثقافة حلف (موقع الارباجية) وظهرت على الكتاف الأيسر ملونة بالأحمر لدمية طينية، وصار لها مدلول ديني واضح في عصر جمدة نصر.

اما العلامة الكتائية للشمس وكان شكلها الصوري الأول هو علامة صليب او زائد (+) وانخذلت في الخط المسماري السومري علامة بار على شكل الصليب <sup>٢</sup>اما الرمز الثاني فهو علامة الدائرة التي ظهرت منذ عصر حسونة وقد ظهرت الدائرة والصلب الملاطي على شكل وردة في عصر جمدت نصر (شكل ٤٤، ٤٣) وتحولت الدائرة (القرص) الى شكل وردة الاقحوان وظهر هذا حوالي ٤٠٠ ق.م والرمز الثالث هو القرص فوق سارية الذي يعود الى عصر جمدت نصر والرمز الرابع هو النجمة على عقب رمح.

الخامس هو القرص ذو النجمة الرباعية المشعة الذي ظهر منذ عصر مسلم (٢٨٠٠ ق.م) وعبد في سلالة أور الأولى .

والرمز السادس هو السيف او المشار المسن الذي يدل علي أنه يقص الظلام .

والرمز السابع هو رمز المحراث في عصر فجر السلالات الأخير .



شكل (٤٤)

رموز إله الشمس نهاية الألف الخامس ق.م

الأكدي وما بعده

رسم : علي محمد آل تاجر

شكل (٤٣)

رموز إله الشمس نهاية الألف الخامس ق.م

رسم : علي محمد آل تاجر

أما الحيوانات التي كانت تمثل الشمس وتعبر عنه وترافقه في العصر السومري فهي الأسد ذو الرأس الأدمي ، الأسد لوحده ، النسر والصقر (أوتو كشغالو) والرجل العقرب الذي يظهر أمام قارب الآلهة الشمس على الاختام الاسطوانية منذ بداية عصر فجر السلالات الثالث .

وهكذا نرى أن إله الشمس أوتو السومري هيأ قاعدة كبيرة للإله السامي (شمش) الذي هو امتداد مضخم له ولدوره كما سنرى في الديانتين البابلية والassyورية بشكل خاص ، فإذا كان ابن الشمس (مردوخ) قد احتل الآلهة الأعظم في بابل ، فإن الآلهة آشور الذي هو إله الأفق أي الآلهة الشمس قد احتل الآلهة الأعظم في آشور .

## ٤) إلهة الزُّهرة (إنانا) إلهة الحب والجمال

لم تشغل إلهة أو إله العصور القديمة مثلما فعلت ذلك إنانا إله الحب والجمال والسعادة الجنسية ، الآلهة اللعوب المغناج التي حيرت أبابا الآلهة والناس ، إذ يندر أن يكون هناك إله رئيسي ابتدأه من إله السماء (آن) وانتهاءً بالرعى (دموزي) لم يرتبط بها علاقة حب وزواج ، وهي غير ثابتة في هذه العلاقة دائمًا فلها وجهان وجه عاشق ولها وجه غادر مخايل . وسنفرد بحثاً كاملاً لأساطيرها فقط .

أننا نحدرك من الخلط بين أن تكون إنانا إلهة شعبية للحب والجمال والسعادة ، وبين أن يصفها البعض كإلهة سومرية أم . لأن في ذلك الكثير من المشكلات والأخطاء الفكرية والمتولوجية .

كان اسمها القديم (إينين) أو (إينونيت) ثم بدأ يكتب بطريقة أخرى (نن - آن - نا) وإن - أنا (ان) اي In - an - na وعندما يدمج صوتيًا يصبح إنانا Ianna اي ملكة السماء . (شكل ٤٨)

أما اسم عشتار السامي فهو من أصل سومري أيضاً ذكرته المصادر الفلكية بعنوان (كيش دار) أو (كشدار) (GESH-DAR) ويعني Gesh العضو الذكري اما Dar دار فتعني شق او قطع وربما يدل على العضو الأنثوي ، اي ان اسم كشدار تعني العضو الذكري والأنثوي ، وهذا ما نراه نحن ، أما دوشن ومارغريت روشن فيريان ان هذا يعني أنها مقطوعة من إله ذكري ربما يكون (آن) ويدركان أن الآلهة افروديث (وهي شبيهة إنانا) مقطوعة عن الآلهة السماوي اورانوس (انظر روشن ١٩٨٠ : ١١٢) و (Dessin 1957) .

وهذا افتراض (خلف) كما يقولون في الفلسفة ، فقد سجّبت اسطورة أحدث على اسطورة قديمة ، في حين ان اسم (كشتار) يحمل معنىًّا أعمق فهو يشي بالازدواج الذكري الأنثوي للإلهة التي كانت دائمًا إلهة حب وحرب فهي إلهة تستدعي المتناقضات ، كما ان هناك تفسيرات جنسية عميقة لا مجال لذكرها الآن ناقشناها في مكان آخر (انظر الماجدي . ١٩٩٥).

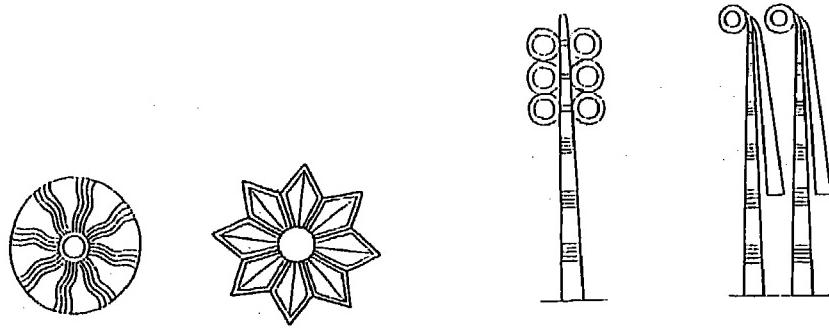
الرمز السري للإلهة إنانا هو (١٥) فهي نصف العدد السري ايها الإله (إنانا) القمر ، ولكننا ندهش عندما نقسم رقم الإله الأعظم آن (٦٠) على رقم إنانا وهي أول الله التي لها رقم رمزي فإن الناتج يكون (٤) . فهل هناك ما يشير في اعمق هذه المعادلة الى العرف الاسلامي بزواج الرجل من اربعة نساء .. ربما نعم ! وربما لا ! اي ان الذكر تكفيه أو تعادله أربع إناث !!

اما رمز الإله إنانا فمتعددة في العصر السومري ، ففي عصر الوركاء جمده نصر اي في الألف الرابع ق. م كان رمزها عبارة عن قصبة مدينة ومحززة بثلاثة حزووز وعلى كل جانب منها ثلاثة حلقات شكل (١/٤٠) . وفي نفس العصر كان رمزها الشهير وهو عبارة عن قصبتين معقوفتين كل منهما بستة حزووز ولهمما في رأسهما ذيلين من الحرير .. وهذا الرمز مأخوذ من قصبة الراعي الذي كان ملازمًا للإلهة إنانا (شكل ٢/٤٤ )

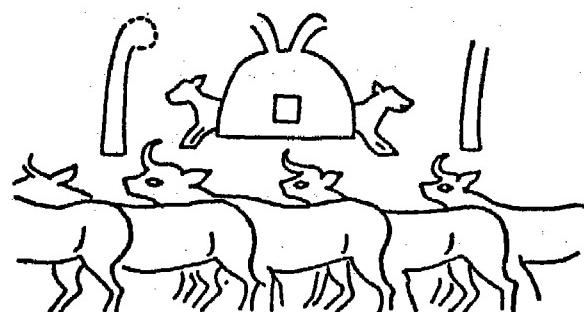
وفي العصور السومرية اللاحقة اخذت شكل زهرة الاقحوان الشمانية الأوراق والتي كانت تمثل شجرة الحياة وهو شكل هندسي (شكل ٣/٤٤) وربما تطور هذا الرمز في العصور الأكادية والبابلية والاشورية إلى النجمة الشمانية أو ذات الستة عشر ضلعاً ضمن دائرة ، وهذا يدل على عشتار وليس على إنانا السومرية .

ويظهر رمز (الشمس المجنحة) أو (الصلبيب المجنح) مبكراً في الآثار السومرية ليدل على (إنانا) وعلى الألوهية بشكل عام ، وهو الرمز الذي صار فيما بعد يدل على الإله آشور (شكل ٤٩)

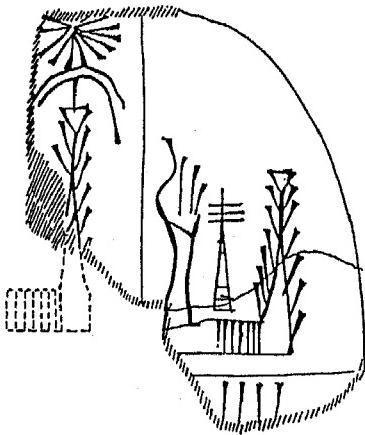
ويبدو أن جانبها الحربي لم يبرز بشكل واضح خلال العصر السومري بل كان الجانب العاطفي هو الأساس . فهي ربة الحب واللذة المجردة وكانت اختها (الوجه الآخر لها) ارشكبيكال هي التي تمثل الوجه الحربي الأفضل المظلم لها .



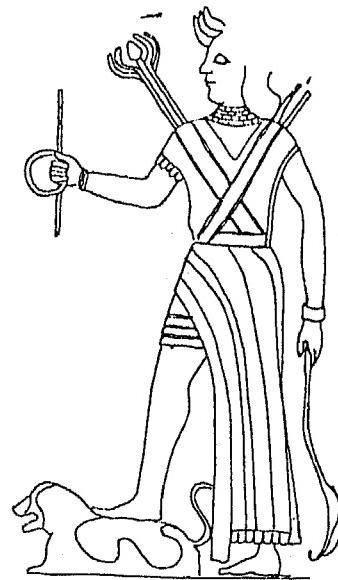
شكل (٤٥)  
رموز الإلهة إنانا ١،٢،٣،٤ الألف الثالث ق.م. القرن ١٢ ق.م.  
رسم : علي محمد آل تاجر



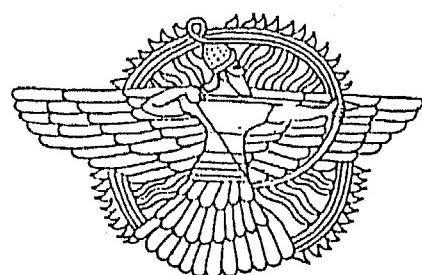
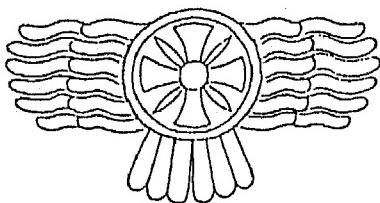
شكل (٤٦)  
قطيع ثيران وعجلان يخرجان من حظيرة يحيط بها رمزا الإلهة إنانا (إنين)  
فجر العصر السومري



شكل (٤٨)  
الرمزان (ان) و (اين)  
فجر العصر السومري



شكل (٤٧)  
إنانا مع أسدتها تظاهر كآلهة حرب  
وسلطنة ماري (القرن ١٨ ق.م)



شكل (٤٩)  
رموز الإله آشور، الشمس المجنحة والصلب المجنح، الذي كان يشير عند  
السومريين لإنانا والآلهة بشكل عام  
رسم: علي محمد آل تاجر

ورغم زيجاتها وعلاقتها كانت توصف بالعذراء ، وفي الوقت نفسه كانت تلعب دور الام والاخت والزوجة ، ولذلك نرى «هذه العلاقة بين الام العذراء التي ولدت ابنها دون زواج ، ثم تزوجته ل تستعيد الى ذاتها قوتها الاخصابية التي غادرت شخصه في الخارج ، هي التي تفسر اشارة النصوص الاسطورية الطقسية فيما بعد ، الى الاله ابن على انه الابن الام الكبرى احياناً وزوجها أو حبيبه أحياناً أخرى ، ورغم أن كل الآلهة الذكور في الثقافة الذكرية قد نسأوا عن الاله الابن ، ثم اتخذوا لانفسهم شخصيات مستقلة وارتفعوا نحو السماء ناكرين أصلهم الأرضي ، (السواح ١٩٩٣ : ٢٦٨) .

اما الحيوان الذي ارتبط بها فهو الأسد كونه يمثل الوجه القوي لها وغالباً ما تظهر واقفة عليه (شكل ٤٧) .

وتعتبر الوركاء مدينة الإلهة إنانا ففيها معبدها (اي - أنا) الذي كان برقى إلى الألف الرابع قبل الميلاد ، ويوصف هناك أيضاً معبد أبيها الإله آن حيث أصبحت زوجته ( وهي ليست إبنته وليس زوجته ويسمى (المعبد الأبيض ) ، ويرجح ان تكون هناك في طبقات أخرى من الوركاء معابد مزدوجة لها ولزوجها (دموزي) .

وقد حفل التراث الأدبي والديني السومري بتأشيرات وصلوات خاصة بالإلهة إنانا ، فضلاً عن أساطيرها الخاصة بها والتي سفرد لها مبحثاً خاصاً . ولتأمل في هذه القصيدة السومرية عن إنانا كاهنة السماء المقدسة :

«أقولُ مرحي ! لتلك المقدسة التي تظهر في السماء !

أقولُ مرحي ! لkahنة السماء المقدسة !

أقولُ مرحي ! لإنانا ، سيدة السماء العظيمة

أيتها المشعل المقدس ، أنت تملأين السماء بنورك !

أنت تجعلين النهار يتألق عند الفجر !

أقولُ مرحي لإنانا ، سيدة السماء العظيمة !

أيتها السيدة المرعبة في مجتمع آلهة الآتونا ! المتوجة بقرنيين عظيمين ،

أنت تملأين السماء والأرض بالنور

أقولُ مرحى ! لأننا ابنة القمر البار !

عظيمة ومهيبة ، ومشعة

أنت تستطعين بتألق في المساء

أنت تجعلين النهار بتألق عند الفجر

انت تختلين موقعاً في السماء مثل الشمس والقمر،

أعاجيبك معروفة فوق وتحت،

لعظمتك كاهنة السماء المقدسة،

لك يا إنانا ، أغني ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١١٧).

ونحن نرى أن (انانا) هي من أكثر الآلهة التي دارت حولها الأساطير سواء في سومر أو بابل أو غيرها من أساطير العالم القديم، وقد اندمجت شخصيتها بالإلهة الأم وأصبحت رمزاً للألوهة المؤنثة، كما أن صفاتها الحربية أو الشريرة لم تكن واضحة في العصور السومرية (وكان اختها ارشكبيگال تأخذ هذا الدور) لكن هذه الصفات اتضحت مع ظهور الأساطير الأكادية ثم البابلية وأخذت كامل شكلها الحربي مع الأساطير الآشورية. وكان رمز الإله آشور ، كما أشرنا ، قد استخدم منذ أيام السومريين (كما ظهر في مسلة النصر لنرام سي) ليشير إلى الآلهة بشكل عام ولحيطابق مع رمز الإلهة (انانا) ويشير لها .

### (٣) إرشكبيگال (إلهة العالم الأسفل)

تحدث الأساطير القديمة عن إرشكبيگال كإلهة من آلهة العالم الأعلى لكن (كور) وهو كائن عتيق من كائنات وحوش العالم الأسفل ، اختطف الإلهة إرشكبيگال من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل ، حيث أصبحت هذه الإلهة ملكة هذا العالم الأسفل ، وهناك أساطير للرلائل (كور) مع الآلهة ويدو أنه قتل على يد أحد الآلهة (نورتا) . وربما ، على الأكثر ، (انانا) التي تسمى (قاتلة كور) . وكلمة (أرش) كلمة أكادية تعني (سيدة أو ملكة) وتقابليها بالسومرية كلمة (نن) أو (كاشان) . ولكن اسم (إرشكبيگال) الإلهة

العالم العظيم هي التي سادت منذ العصور السومرية، والمقصود بالعالم العظيم هو (العالم الأسفل) وهناك عدة ألقاب لهذه الإلهة هي (اللاتو، أركالا، لاز، ماميتم) وأغلب هذه الألقاب أكديّة. ولتنتأمل في كلمة (اللاتو) التي هي مصدر الإلهة العربية التي سادت منذ عصر الانباط وهي (اللات) وهناك ألقاب سومرية لها مثل (ابزيكرا ، ننكردا) (انظر حتون .).

ويبدو أن هناك كثيرون من الأساطير السومرية المفقودة حول حياة (أرشكىغال) وولادتها وأزواجها وأبنائها .. فعلى سبيل المثال أنها عندما تذكر تحت لقب (ننكردا) كانت تعتبر إبنة للإله إنكي وزوجة للإله (ننازو)،

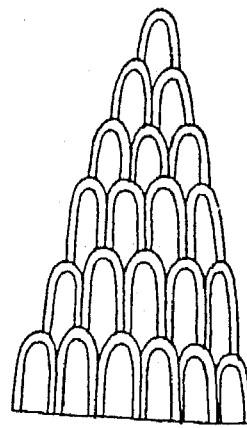
ولكتنا في حقيقة الامر نعرف أنها إبنة (نانا) ، أما (ننازو) الذي هو زوج ارشكىغال عندما ادعت انانا في أسطورة نزولها إلى العالم الأسفل أنها ذاهبة إلى مأتمه .

إن الزوج الثابت وال حقيقي لها هو الإله (نركال) الذي (حسب الأساطير السومرية) ولد من إنانيل ونليل بديلاً عن الإله القمر ليعيش في العالم الأسفل .

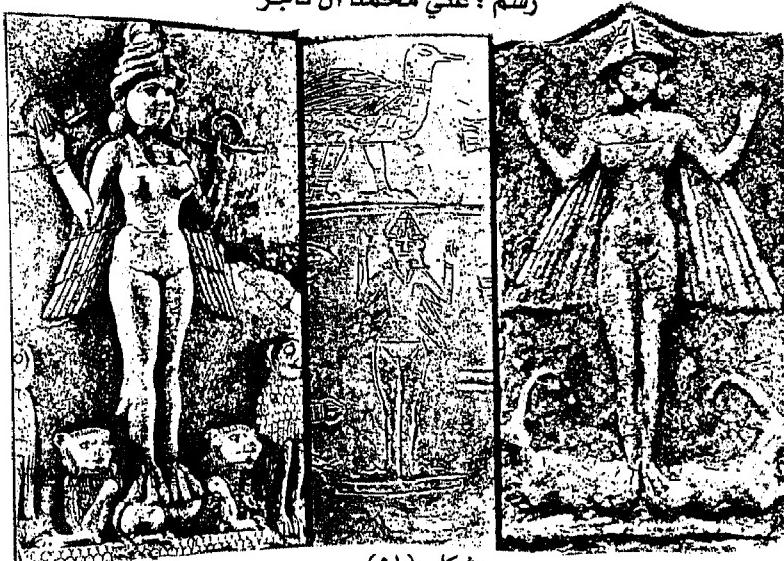
وكانت الإلهة أرشكىغال تُعبد أساساً في مدينة (كوثي) مع زوجها في معبده المسمى (إي - مسلام) .

وللإلهين أبناء يعدون من آلهة العالم الأسفل ، وهم على الأكثر ثلاثة سنذكرهم لاحقاً (ننازو، نمار، خيندرساك) ولكنهما محاطان بجموعة كبيرة من الآلهة الثانوية التي تقوم بواجباتها المقررة لها في العالم الأسفل . وتعتبر هذه الآلهة الثانوية بثابة الآلهة المسيطرة على عالم كبير من الشياطين والجن التي تسكن العالم الأسفل سنذكرها لاحقاً، إضافةً إلى جيوش من أرواح الموتى المصتفة حسب درجات دفنه وما لها من أبناء على وجه الأرض .

والعالم الأسفل السومري ، ثم البابلي لاحقاً، لم يمثل ما اصطلح عليه بالجحيم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بل هو عالم له مواصفاته الخاصة ، ولذلك لا نفضل مطلقاً إطلاق صفة الجحيم على هذا العالم لما يحمل الجحيم من مدولات أخرى . ولنلاحظ ان أسماء العالم الأسفل لا تدل على شيء اسمه الجحيم ومن هذه الأسماء السومرية حسراً هي (كي ماخ : الأرض العظيمة) أو (كي كال : الأرض العظيمة) وأرلي ، وقد استعمل



شكل (٥٠)  
رمز العالم الأسفل  
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥١)  
إلهة مجنحة واقفة على ثبوتين  
يعتقد أنها أرشكيم كال

مصطلاح أبسو ليدل أحياناً على العالم السفلي والأرض الفسيحة (كي - كال داما) وأرض الاعودة (كرنوكي) والأرض الحصينة (كي باد) .. الخ

وتسكن الإلهة أرشكى كال في قصر عظيم يقع خلف الأسوار السبعة التي تحيط بالعالم الأسفل والتي لكل منها باب كبير، وهذا القصر مشيد بحجر الازورد ويسمى بالسومرية (قصر العدالة (إيكال كينا)، وبيندو أن هناك قصوراً صغيرة أخرى للملوك والكهان والإلهة الأخرى، أما جو العالم الأسفل فهو جو مليء بالغبار الذي يغطي كل شيء فيه وليس النار (كما هو حال الجحيم)، فالغبار الترابي هو جو العالم الأسفل، مثلاً الماء جو الأبسو والهواء جو الأرض .

ويرمز للعالم الأسفل بجبل ييدو كأنه مجموعة من الجبال الصغيرة (شكل ٥٠) أما رمز الإله نركال فقد ظهر متأخراً على شكل كلب مجذج وهو يحمل هراوة افعوانية مزدوجة (شكل ٣٣) .

ونرى أن الصورة الخاصة بالإلهة أرشكى كال هي تلك الصورة التي تظهر فيها إمرأة مجذحة عارية تلبسُ تاجاً مقرناً وتمسك يدها رمزيّ السلطة (العصا والحلقة) وتقف على لبوتين بجانبها يومتين (دلالة الليل) وتحت هم رمز العالم الأسفل على شكل جبال صغيرة (شكل ٥١) .

(٤) نوموشدا : إله سومري ورد ذكره في قوائم أسماء الآلهة المكتشفة في فارا، وهو إله محلّي لمدينة (كاذا الو) في اواسط بلاد بابل وابن إله القمر . ولم يُعرف مجال عمله بعد (انظر اذزارد ١٩٨٧: ١٣٦) .

## الجيل الثالث من الشجرة الانليلية

### ١. أبناء أوتو (الشمس)

للإله السومري أوتو ستة أولاد هم : (انظر عبد الرحمن ١٩٧٥: ٥٥)

١. بونينة BUNENE ويعتبر وزير آله وسائق عربته .

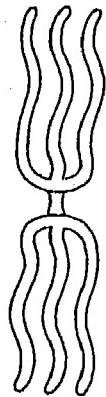
٢. خار HAR فيعتبر الها مسؤولاً عن الحيوانات البرية .

٣. سيسكال SISIGAL يمثل العاصفة .
٤. سمو كان SUMUGAN يعتبر إله النبات والماشية والأخشاب والانتاج .
٥. نكيجيانا-NIG-GI-NA ويسمي بالأوكديه ( كيتو KITTO ) فيعد إيناً أو بتاً لاله الشمس ويعبر عن الصدق والحق والعدالة .
٦. مامو MAMO وهي الابنة الوحيدة للإله الشمس وهي الالهة الخاصة بالأحلام .  
وهناك وزراءً وتابعون للإله الشمس هم
١. نكسيسا ( ميشارو ) : وزير العدالة .
  ٢. إن - اورو : حاكم مديتها أو وزير المدينة .
  ٣. نكريدا : وزير الحق .
  ٤. نن اوكل : سيد أو سيدة اليوم .
  ٥. باب نون - نا : او الأمير العظيم ( نديم إله الشمس ) .
  ٦. ستة قضاة
  ٧. ستة عازفون
  ٨. ستة خدم
  ٩. ستة ضباط أو جنود
  ١٠. حاجبان ، تاجران ، حلاق ( مدير بلاط إله الشمس ) .  
ولم تردننا اساطير ثيوجونية تخص هؤلاء .
  ٢. أبناء إنانا ( الزهرة )

رغم تقلب عواطف إنانا وارتباطها بالكثير من الآلهة ، إلا أن الشائع عنها ارتباطها بالاله ( دموزي ) ، وهناك أربعة إبناء لإنانا يظن أن أغلبهم جاء من دموزي وهم :

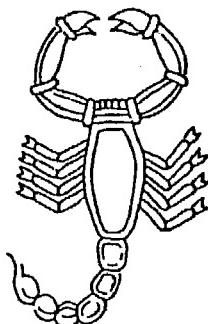
١. أشخارا : وهي الاله الزوج ورمزها العقرب ( شكل ٥٢ ) ويبدو ان هذه الإلهة تستعيد رمز الاله الام في عصر النيوليست في ثقافة ساموا ، والعقرب تدل على الخصب والأمومة لأنها عندما تنجب إبناءها من بيوضها داخل جسدها فانهم يخرجون عن تمزيق ظهرها وبعد ما تموت العقرب الام ليحييا إبناؤها ، وكان هذا يشير في نظر النيوليшиين إلى أقصى درجات الخصب والأمومة .

وأشخاراً مختصة بتنفيذ العهود المقطوعة أمام الآلهة وتسمى بسيلة القضاء والأضاحي . ولها ما يشار إليها في صفات عشتار الحربية ، وهذا يتفق مع الإله شار ، وكذلك رمز أشخار الذي كان العقرب إضافة إلى أنها توصف بأنها أم السبعة أولاد (أبناء العقرب ) ويعتقد أن هؤلاء الأبناء السبعة هم العفاريت السبعة الشريرة أو عفاريت سبتو .



شكل (٥٣)

رمزاً لله الإله أدد (إشكـر) النصف  
الثاني من الألف الثالث ق.م  
رسم : على محمد آل تاجر



شکل (۵۲)

رمزاً للإلهة أشخارا (الألف الثاني ق.م)  
رسم : على محمد آل تاجر

٢ . شارا SHARA : وهو إله ينادي السماء أى إله المطر

۲. لال LATRAK وسمی، اپھاً لاتراک

٣. نهار (ننخار) وهو إله الرعد والعواصف وتسمى زوجته (نيجارا) الـهـةـ الزـيـدةـ والأـجانـ.

٤. إشكـر (ISHKAR) وهو الجذر السومري لـالله (أدد) السامي الذي أخذ مركزاً مهماً في الـبـانـيـون الـاكـديـيـن ثم الـبـابـليـيـن، وهو إله المطر والعواصف والرياح وتحديدـاً إله البرق ولذلك رمزـه في حدود النصف الثاني من الألـفـ الثـالـثـ قـبـيلـ المـيـلـادـ بما يـشـبـهـ الشـوـكـةـ المـذـوـجـةـ التي لـكـلـ من اـطـرـافـهاـ ثـلـاثـةـ إـسـارـاتـ بـرقـ، اي سـتـةـ بـرـوقـ (شـكـلـ ٥٣ـ)ـ وهذا يـشـيرـ إلىـ أنـ الرـمـزـ السـرـيـ لـهـذـاـ إـلـهـ أـصـبـحـ (٦ـ)ـ وهو أـصـغـرـ رـثـمـ سـرـيـ او رـمـزـيـ لـلـآـلـهـ السـوـمـرـيـةـ.

وقد كان للاله (إشكرا) زوجة نارية الطبيعة هي الالهة شالا (شلش) وتسمى (أم جرو) وتوصف بأنها إلهة النار.

وكان الإله (إشكرا) يوصف بأنه (القفل الفضي القلب السماء) أي المسؤول عن غزارة الأمطار .

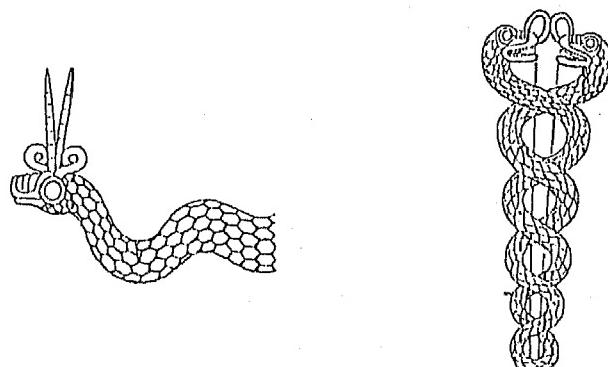
### ٣. أبناء أرشكيمكار ونركال (الله العالم الأسفل)

هناك اختلاف كبير حول أبناء أرشكيمكار الذين ربما أتوا من عدة آلهة كما ذكرنا سابقاً، إلا أن الإله الرئيس هو نركال ، وهناك من يعتبر أن كل شياطين العالم الأسفل وألهته هم أبناء هذه الإلهة وزوجها أو أزواجها ، وقد استطعنا التثبت تماماً من وجود ثلاثة آلهة رئيسين لارشكيمكار ونركال ، أما البقية فهم آلهة ثانويون ذوي طبيعة شيطانية أو عفاريت عاديين ستناقشهم فيما بعد ، أما أبناء هما فهم :

١- ننازو (السيد الطبيب) : وقد ذكر سابقاً على أنه ابن إنليل وتنليل ، ولكنه يوصف بكثرة على أنه ابن أرشكيمكار (وربما وصف كزوج لها) وقد سمي جاكوبسن ننازو ونسله آلهة البساتين وهم جميعهم آلهة العالم السفلي . الإله ننازو إله مدينة (أينجر) وتقع بين لارسا وأور . وكذلك كان إله مدينة أشنونا (تل أسمر) في منطقة ديالي . ومعنى اسمه العارف بالماء أو سيد العارفين بالماء ، وهؤلاء هم الأطباء فهو إله الطب الذي يأتي بالمرتبة الثانية بعد الإله إنكي في هذا المجال . وتسمى زوجته (ننغيردا Ningirda) وهي إلهة نباتية من بنيات آنكي . وقد انجبا الإله ننكشيزيدا .

٢- ننكشيزيدا Ningishzida : ابن ننازو وننغيردا ، وإله مدينة كشباندا ، ويوصف بأنه قوة العالم الآخر أو طاقة العالم الأسفل (طاقة ما تحت الأرض) حيث يسمى به (حامل العرش أو التاج) . ويمثل شجرة الهيبة تسمى (الشجرة أو التاج) . ويمثل شجرة الهيبة تسمى (الشجرة الممتدة العمظيم) ، وربما كان هذا الإله إله (لفيفة جذور الشجرة) . لقد كان في الأصل يجسد على شكل أفعى ، ولذلك فرن رمزه يتضمن الأفعى والشجرة ويظهر على شكل إفروانين ملتفين على غصن شجرة ، وقد كان هذا الشكل جذر الرمز الطبي اليوناني للإله اسكلابيوس زوجة إله الطب وربما كان ننكشيزيدا إله الطب بسبب كونه ابن (ننازو) إله الطب ، وعندما كان ننكشيزيدا يجسد على شكل إنسان ، فهناك ثلاثة رؤوس تظهر من كتفية إثنان على شكل أفعى والأخر على شكل إنسان وكان يركب التنين .  
(شكل ٥٤، ٥٥)

وللإله ننكسزيدا وزوجة اسمها نن - أزموا (Ninazimua) وتسمى (سيدة الغصن النامي المثمر) ومن زواجهما جاء ابنهما الإله دامو وهناك من يجعل زوجته كشن أنا أخت الإله دموزي .



شكل (٥٤)

رمزا الإله ننكسزيدا . ١. القرن ٢٢ ق.م . ٢. القرن ١٢ ق.م

رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (٥٥)

أمير لكش جوديا يظهر بين آلهة متوجة من بينها ننكسزيدا وإله آخر تعله دموزي

٣- دامو Damu : ابن ننكشزيدا ونن - أزموا . وهو إله مدينة كرسو على الفرات ( وهي غير كرسو لكتش ) قرب أور ، ويبدو أنه يمثل بشكل خاص ( إله النسخ الصاعد في البناءات أثناء الربيع ) ومعنى اسمه ( الطفل ) وله خصائص تتناسب مع التقاليد النسائية في النواح والبحث عن الإله المفقود الذي يبقى علياً . أما شجرته فهي السدر ، وتنتهي طقوسه بالعثور عليه خارج النهر . وهناك شبه كبير بين أساطيره وأساطير الإله دموزي . وقد يذكر هذا الإله كإله للشفاء بسبب ذكر أمه إلهة الشفاء ( ننسينا ) أو ( ننسى أنا ) التي كانت تملك نواميس الطب ( مي ) .

وكانت توصف بأنها ( سيدة إيسن ) وهذا معنى اسمها وقرينها الإله ( بابل ساجن ) وأبنهما ( دامو ) . وقد ارتفت إلى مصاف ( إنانا ) وعبدت كابنة ( آن ) واختلطت مع صفات الإلهة ( بابا ) كطبيبة لذوي الرؤوس السود .

٤- خندرساك : وهو إله ذو شكل تيني ، اطلق عليه الأكديون والبابليون اسم ( إيشوم ) ، ويعتبر ابن ومستشار الإله نركال وهو إله شرير وتسمى زوجته ( نتمگك ) ، ويبدو أن شكله الأرضي يمثل نهر دجلة ، مثلما كان إله آخر اسمه ( شبالا ) يجسد نهر الفرات ( انظر 1938:13 ) .

٥- ثمار : ومعنى اسمه ( مقرر المصير ) ويوصف بأنه ابن أرشكيمال ، وهو صاحب الستين مرض التي يطلقها على من يراد قتله أو أصابته بالمرض . فهو ( إله الأمراض ) وهو وزير أرشكيمال ، وكان يوصف بأنه يحمل سيفاً مسلطاً على البشر ، وقد وصف أحياناً أنه ابن الإله إنليل .

ولنمثار زوجة اسمها ( خشبيشاكك ) وكان يرد اسمها أحياناً بصيغة ( ثمارو ) وهي الصيغة المؤنثة لاسم ثمار وتصف بأن لها رأس حيوان مركب يدعى ( كورييو ) ويداهما ورجلها تشبه أبيدي وأرجل البشر .

٦- إمدوگد ( زو ) وهي إلهة الربيع القاسية ، وكانت تعبد خوفاً منها ويرمز لها بنسر برأس أسد فارد الجنائن تركب على أيلين ذوي قرون مشجرة . ويظهرها بهذا الشكل نصب سومري مبكر ربما كان له علاقة بالخشب أيضاً ( شكل ٥٦ ) وكان يطلق عليه أيضاً ( زو ) الذي اشتهر أكثر في العصر الأكدي ثم البابلي القديم وظهرت أسطورة نتجرسو الذي

يُقْهَرْ) زو) أو (أنزو).

٧- إِنْيِشْرَا : ويعني اسمه بالسومرية سيد كل القوى الإلهية (سيد النوامس) ويعتبر مع زوجته (ننثرا) اسلاف الاله (آن) والاله (إنليل) ، ويعتقد ان آن اخذ منه السلطات واصبح سيد الكون فتوارى إِنْيِشْرَا وزوجته الى العالم الأسفل . ولهذا الإله سبعة أولاد.



شكل (٥٦)

الإلهة أمدووك (الإلهة الريح القاسية)

## **الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية**

يتكون عالم الأرواح السومرية (من غير الآلهة) من الشياطين والجن والكائنات الخرافية التي تسكن العوالم السفلية والعلية والأرضية حسب طبيعتها وهي كما يلي :

### **١. الشياطين : وهم سكنة العالم الأسفل ويصنفون كما يلي :**

- أ- الشياطين المنحدرون من أصل سماوي وهم (ذرية الله آن وانليل)
- ب- الشياطين المنحدرون من آلهة العالم الأسفل وهم أبناء كور وأبناء آنمي شرا (السيتي) بعضهم صالح وبعضهم شرير.
- ج- الشياطين المنحدرون من أصل بشري وهم ارواح او اشباح الموتى واسمهم بالسومرية (گدم Gidim) وهي مركبة من مقطعين وتعني مخلوقات الظلام، وقد حذف الحرف الأول منها فأصبحت فيما بعد (ادم Edim) أو (ايدم Idim)
- د- الشياطين المركبة من تزاوج البشر والشياطين مثل ليليث وهي الشيطانة التي تطارد الرجال. وتسمى بالسومرية (لوليلا) التي معنى اسمها رجل الريح ومؤنثة (كسيكيل ليلا) ويعني فتاة الريح وهو (ليلو) و (ليلتو) التي هي ليليت باللغة العبرية ، وتسمى أيضاً أردات ليلي وتشير إلى الليل .
- هـ- كبار شياطين العالم الأسفل وهم :

- ١- خمط تبال وهو ملاح العالم الأسفل
- ٢- حجاب العالم الأسفل السبعة وأشهرهم (نيدو) الذي له رأس اسد ويدى رجلي طائر.
- ٣- الاوتوكو الاشرار السبعة .
- ٤- شلاك: له جسم اسد متتصب على قدميه الخلفيتين .
- ٥- مو - لمنو: له رأسان أحدهما رأس اسد .
- ٦- لوكال - سولا (بيتو ، آتو): معنى اسمه ملك الذهب
- ٧- آغل: ورد في قصة گلگامش والعالم الأسفل السومرية . وله زوجة .

#### ٨. هواوا: حارس الأرض (أصله حوري).

هـ. صغار شياطين العالم الأسفل وهو جيش من الشياطين يطلق عليهم عموماً إسم الـ (كالا) وهناك اختصاصات عند بعضهم لا مجال لذكرها الآن. وكان عفريت الكالا السومري لا يوصف بالشر دائمًا لأن أحد ألقابه (أجليلما) يذكر ضمن آلهة مدينة لكشن.

و. الشياطين السبعة الشريرة: وهم أبناء الإله (آن) أنجبهم من الأرض (أرصنتو) أكديا . وتحدّث عنهم قصيدة سومرية بعنوان (لوكان بندا وحوروم) وتنسبهم إلى أبيهم (آن) وإلى أمّهم (أوراش) إلهة الأرض . وهم الذي يحاول أنكبي والله النار جبيل معرفة أصلهم (راجع أسطورة جبيل) ويعتقد أنهن المقصودون في سلسلة التعاويذات المعروفة باسم (عفاريت الأوتوكو الشريرة) وأسمها السومري (أودوج) التي تستعمل للسحر الأسود.

أبناء اشخارا: وهم الأبناء السبعة للإلهة اشخارا التي توصف بالعقرب ، .  
ولا نستطيع الجزم بكونهم أخيار أم أشرار .

ز. دمه: ذي عفريته حمى الأطفال والمرضى الرضيع وتصوف بأنها إبنة آن وتقابلها بالأكدية عفريته لامشتو . وظهور كامرأة عارية الصدر ترضع من ثديها قلباً وختزيراً وتحمل في يديها مشطاً ومحظلاً مما يشير إلى أنوثتها .

ح. أساج: عفريت سومري معناه (الذي يضرب بالذراع) وتحول اسمه إلى (أساكو) بالأكدية . وكان بالأصل عفريت الأوئمة والأمراض ثم أصبح عفريت - أعداء سومر - القاطن في الجبال . وكانت إنانا تشن تحملات ضده في الجبال (انظر إنانا وايسين) وكذلك (نيورتا) . وكان (أساكو) يأخذ شكل تابو للإله والملك ويبعث الآلام في جسم كل من يتجرأ على تلبيس قدسيته من البشر .

ط. بازوزو : عفريت له أربعة اجنحة ووجه مزق وقرون طويلة ومخالف أسد وطائر جارح وشوكه عقرب . وله تعاوين مضادة .

ي. سمانه: ذكر هذا العفريت في التعاوين السومرية .



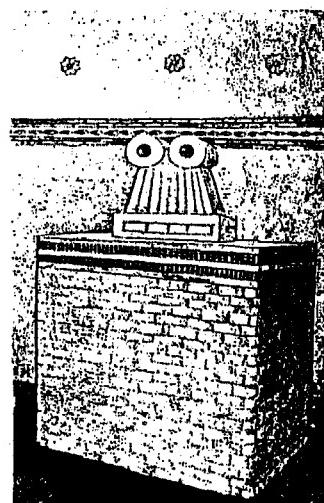
١. هواوا (خمبابا)  
شيطان غابة الأرز



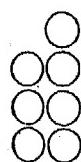
٢. شيطان سومري



٣. شيطان سومري



٤. العين الحاسدة  
مذبح في تل برانك

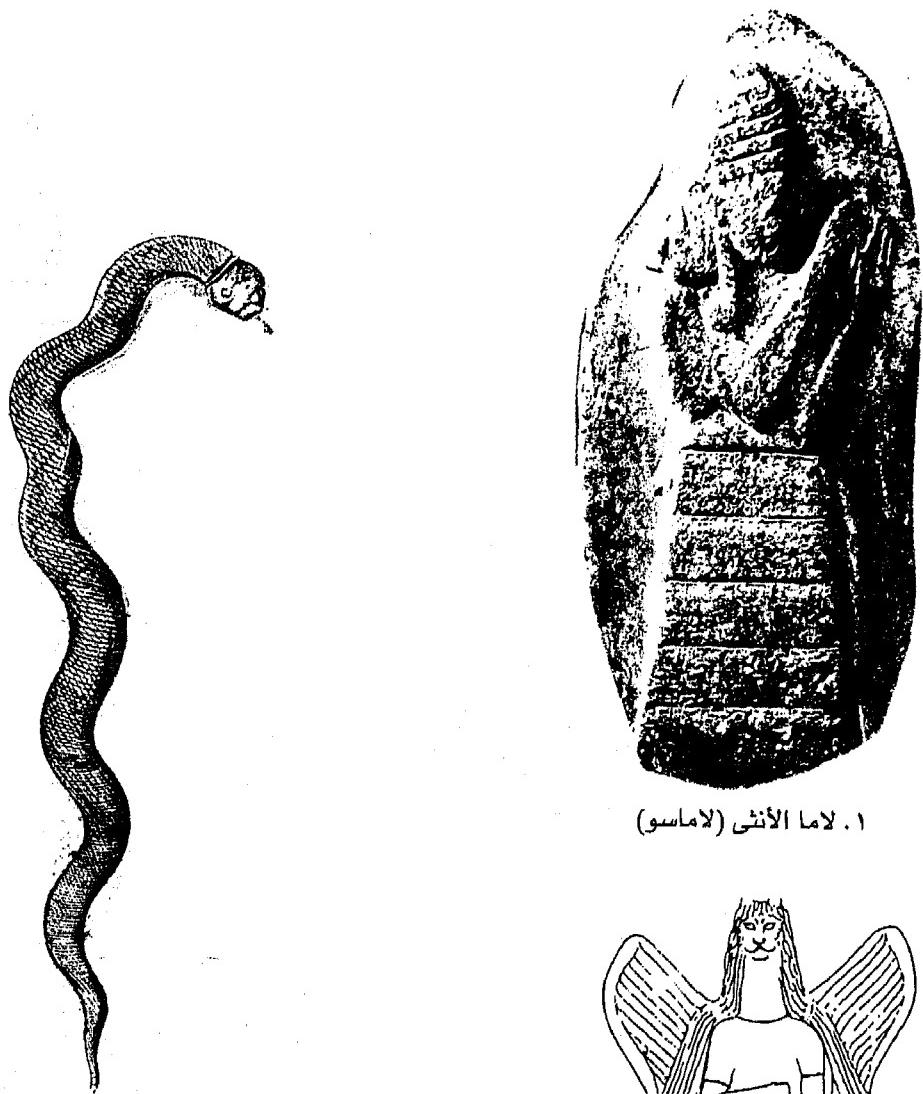


٥. رمز الشياطين  
السبعة (سبيتو)



رمز العين  
الحاسدة

شكل (٥٧)  
شياطين سومرية



١. لاما الأنثى (لاماسو)

٣. نيراج (نيراه) الشعبان  
الحامي للبشر والحدود



٢. أدو الذكر : شيدو

شكل (٥٨)  
الجن الطيبة (الآلهة الحامية)

ك. العين الشريرة أو الحاسدة والتي عبادت في تل براك كإلهة للعين في معبد العين

## ٢. الجن الطيبة

ولايغوننا هنا ذكر سريع للعفاريت او الجن الصالحة شكل (٥٨) وهي الآلهة الحامية للبشر والمدن والحدود :

أ. لاما : يقابلها بالأوكدية (لاماسو) وهي عفريته صالحة تعمل لصالح الإنسان وتستعمل لحمايته من الأذى وهناك الجنية الحامية (عشтарو).

ب. (شيدو) : وهو عفريت مجنب. ظهر مع لاما في صيغته الآشورية لاحقاً على شكل (الإنسان الثور المجنح) لحراسة المدن الآشورية وقصورها من الأرواح الشربة. وهناك الجني الحامي (إيلو). ويعتبر الإله نيراج (نيراه) الذي هو ثعبان الإله ستران حامي حياة البشر، وكان يوضع على أحجار الحدود.

## ٣. الكائنات الخرافية

وهي كائنات لا نستطيع تمييزها في حقول الآلهة أو الجن، بل هي مسوخٌ مركبة من اعضاء أجسام مختلفة وكان بعضها يرمز إلى إله معين وفيما يلي ذكر وأهم هذه الكائنات الخرافية السومرية (انظر اذازارد ١٩٨٧ : ١٢١).

١. الإنسان العقرب (جيرو تبلولو) : وهو المصطلح السومري الذي انتقل للاكدية نفسه والمقصود به كائن اعلاه انسان وأسفله عقرب من الذيل التي تحمل ابرة اللدغ. ويحرس هذا الانسان (امرأة او رجلاً) جبل (ماشو) الاسطوري وقد عثر على اقدام صور له في القبور الملكية في اور (شكل )

٢. الإنسان السمكة (كولولو) : وهو كائن اعلاه انسان واسفله سمكة وله ذيل على شكل حراشف السمكة، وهو من الكائنات المائية التي تخضع لحكم انكي. وشاع لبسه عند كهنة الاله (إيا) في العصر الآشوري.

٣. الإنسان الثور : وهو عبارة عن رجل عار له اظلاف وذيل ثور وكان يصور كثيراً على مشاهد الاختام الاسطوانية منذ فجر السلالات . ويرمز الى آلهة الخصب عامة ومنهم

دموزي . ويشير كذلك إلى إنكيدو .

٤. الإنسان الكلب المجنح : وهو شعار الإلهة گولا الإله الطب

٥. الإنسان الطير : ويطالعنا كثيراً على فنون النحت منذ أقدم العصور حتى العصر الأكدي ولكن معناه غير معروف .

٦. الإنسان القارب : وهو كائن مركب من قارب وجسم بشري ويدوان وكأنهما جسم واحد وهو كائن معروف على مشاهد الاختام الاسطوانية في فجر عصر السلالات السومرية والعصر الأكدي . وقد يستبدل أحياناً الجسم البشري بجسم التنين .

٧. الماعز السمكة (سوخور - مش) وهو كائن أعلاه ويداه على شكل ماعز واسفله على شكل سمكة مع ذيلها . وهو من الكائنات الخاضعة لحكم الاله انكي وصار رمزاً بعد ذلك ، ويحمل انكي لقب (ماعز جبال الأبزو) وصار فيما بعد رمزاً للاله نابو .

٨. موشخوشو : واصل اسمه السومري (موش - خوش) وتعني التنين الأحمر الناري وهو كائن له رأس أفعى بقرنين وجسم مغطى بحراسف أفعى وقائمتان أماميتان على شكل مخالبأسد وقائمتان خلفيتان على شكل مخالب نسر ، وذيل عقرب ، وهو من الكائنات التي اوجدها تيامت ، وصار فيما بعد شعار الاله مردوخ بعد أن تغلب عليه .



٢. الإنسان  
السمكة (كولولو)



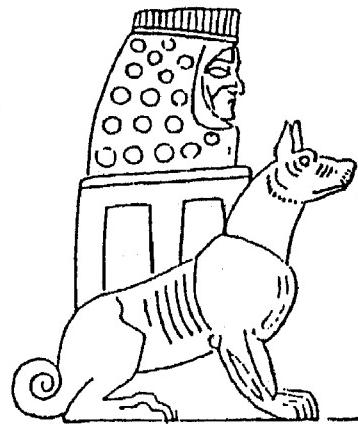
٣. الإنسان الثور  
(گولولو)



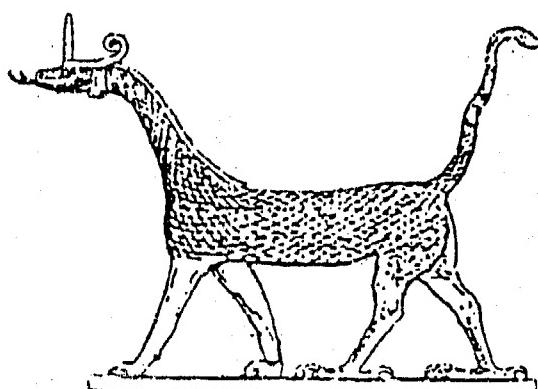
شكل (٥٩)  
الكافنات الخرافية السومرية



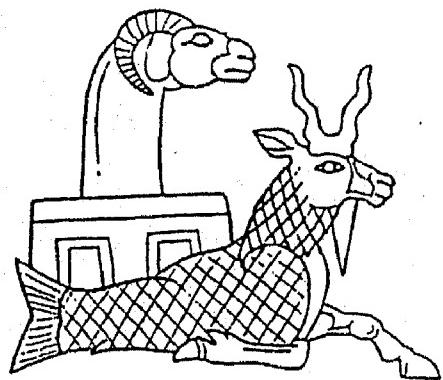
٢. الإنسان الطير



١. الإنسان الكلب  
(كولا)



٨. التنين (موش. خوش)  
رأس أفعى / أقدام أمامية للأسد أقدام  
خلفية للنسر / ذيل عقرب



٧. الماعز السمكة  
(سوخورمش)

الكائنات الخرافية	الجن (العفاريت الطيبة)	شياطين العالم الأسفل (العفاريت الشريرة)
١. الإذان العقرب(جبروتبلولو) ٢. الإنسان السمكة (كوتلوب) ٣. الإنسان الثور (كودلولو) ٤. الإنسان الكلب المجنح ٥. الإنسان الطير ٦. الإنسان القارب ٧. الماءز السمسكة (سوخورمش) ٨. قرين الأفعى العقرب (موشخوشو)	١. أبناء آن الطيبون ٢. الآلهة الحامية ٣. الأنثوية ١. لاما (لاماسو) ٤. عشتارو ٥. الذكرية ٦. أد (شييدو) ٧. إيلو، ٨. نيراج (نيراه)	١. أبناء الآلهة الملعوبين ٢. أبناء آن وأوراش: أودوج ٣. أبناء إنتيل ٤. أبناء الآلهة السفليين ٥. أبناء كور ٦. أبناء إفمي شرا (السببيتو) ٧. كبار الشياطين ٨. ملامح العالم الأسفل: ـ خمط تبال ـ حجاب العالم الأسفل: ـ نيدو ٩. حرّاس بوابات العالم الأسفل ١٠. شياطين الأمراض (دمه، ـ توليلا، كيسكيل تيلا، أساج، ـ بوززو، سمانه) ١١. صغار الشياطين : الكالا ١٢. أرواح الموتى : سخدم

جدول (٧)  
تصنيف الشياطين والجن والكائنات الخرافية السومرية

## ٢. هل إله إنكي

### الشجرة الإنكية الأرضية المائية

إذا كانت الشجرة الإنكية تغطي فضاء الأرض وتتغلغل في أسفله ، وقد انتهينا من تفاصيلها ، فإن سلالة إنكي أو شجرته تغطي الأرض نفسها ويتوغل ما ورائها فيها ، وهي سبب ازدهار الحياة ونموها وتطورها ، وهي ليست شجرة معقدة مثل الشجرة الإنكية ، بل هي شجرة بسيطة لها أب خالق واحد اسمه إنكي الذي تولد عنه آلهة عديدة .

إن اتحاد الهواء والنار في سلالة إنليل اتحاد ذكوري ذكوري كان قاعدة لنسن بين إنليل وننليل تتج عندها الحشد الهائل من الآلهة القوية ، التي أحكمت سيطرتها على الكون والفضاء والعالم الأسفل والأمراض والقوانين والأنواع والفصول .

أما اتحاد إنكي (إله الماء في الأساس) مع ننكي (الله الأرض والتراب) فقد كان اتحاداً ذكورياً انتوياً تتج عنه عدد هائل من الآلهة الحية الخضراء الطيبة التي تمثل قطاعات النبات والحيوان والانسان واسباب العمران والحضارة .

إن أهم اسطورة ثيوغونية (ولادة الآلهة) تخص الإله إنكي هي أسطورته مع الآلهة نخرساج التي تمثل الأرض في دلو، حيث يتتج عنها ولادة سلسلة من الآلهة التي سيكون لها شأن في الشجرة الإنكية .



شكل (٦٠)

الإله إنكي جالس والمياه تتدفق من كتفيه ، والسمك يصعد عليها

## أسطورة إنكي ونخرساج في دلون

يظهر إله الماء والحكمة في الأساطير السومرية (إنكي) الها متوجباً لعوياً في صباحه، على قدر ما يظهر من ذكاء وحكمة، فهو إله الماء الذي سيكون (رب الطب الأعلى) لأن الطب هو (معرفة الماء - آسو) أو (النظر في الماء) كما يدل اسم الطيب (آسو) على العارف بالماء وهذا متأت من ارتباط الطب بالحياة ، فالماء هو عنصر الحياة الأول وهو أقدم مادة كانت سائدة قبل ظهور تفاصيل الكون ، ومنه خلق الإنسان.

الإله إنكي سليل أبسو (الإله المائي العتيق الذي لا نعرف عنه في اللاهوت والشلوجيا السومرية أشياء كثيرة)، وتبعدونا رفيقته نخرساج ذات أصل جبلي الإلهة الأم ربة الأرض دائمة الصبلة به ، وتحكي لنا أسطورة إنكي ونخرساج في دلون عمليات ثيوجونية متلاحقة حصلت في وقت مبكر من الخليقة والتكونين ، حيث ما زالت الآلهة تعيش في الفردوس ، وما زالت تتعثر بخطائها أو خطاياها ، وما زال الإنسان غير مخلوق .

تبدأ الأسطورة بوصف (دلون) واستقرار الإله إنكي والإلهة نخرساج فيها وكيف أن هذه الأرض لم يكن فيها الشر والقبح والشيخوخة والمرض وكان كل شيء فيها موفرأ الآ المياه العذبة أي المياه النهرية لتخصب أرضها ، فتطلب الآلهة من إنكي توفير هذا الماء .. ويقوم إنكي بدوره بالطلب من أوتو (الله الشمس) مساعدته لأن يخرج لتلك الأرض ماء عذباً، فيفعل ذلك وتتفجر اليابس و الآبار المليئة بآ المياه العذبة وتستصلاح أرض دلون.

ثم يقوم الإله إنكي بفتح مجاري المياه ويلؤها بماء قضيبه :

إنكي الحاذق أمام نيتتو (أم البلاد)

ملاً بماء قضيبه المجاري جمعاء

وبماء منه الغزير ، أغرق منابت القصب ،

مزقاً بقضيبه الكساد الذي كان يستر حضن الأرض !

ثم أعلن بعد ذلك : لا أحد غيري

يجتاز هذا الهرور !

لا أحد غيري يجتاز الهاور ، قال إنكى مقصماً باسم آن  
 ومن أجل التي إضطجعت في الهاور  
 وتمددت في الهاور  
 من أجل دامكال - نونا خصص إنكى منه  
 وسكنه في رحم نخرساج ،

(الشوف ١٩٩٥ : ٢٩)

وبعد تسعه أيام تعادل تسعة شهور ، ولدت نخرساج بسهولة ودون ألم (كالزيت  
 الناعم) الإلهة نسار (سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل). وعندما تكبر نسار ويراهها  
 أبوها (إنكى) تتنزه على طول الهاور يعجب بها ويضاجعها ، ومن هنا تبدأ (خطايا إنكى)  
 حيث يتزوج ابنته وينجب منها (ننمو) (سيدة النباتات ذات الألياف) وتتكرر الحادثة مع  
 حفيدهم الحرام ليتوجب منها (أتو) Utlu الهة النسيج ، وهنا تتدخل الإلهة نخرساج زوجته  
 وتحذر أتو وتقول لها بأن لا تستجيب لغراءات إنكى اذا لم يجلب لها الفاكهة هدية ،  
 فيجلبها لها وتبذل سلسلة الآلهة المنجية من إنكى (النبات الأخضر ، النبات الليف ،  
 الأصباغ ، النسيج) سلسلة منطقية لتحولات الكثير من النباتات بعامة من الخضراء حيث  
 تبقى الألياف وتعزل الأصباغ ويصنع بعد ذلك من الألياف النسيج وكل ذلك بفاعلية إنكى  
 الذي هو الماء .

وأخيراً يضاجع (إنكى) الإلهة (أتو) فينجب منها أو من منه (الذي تجمعه نخرساج  
 من حضن أتو ، الذي تنشره على الأرض) تنجب ثمانية أنواع من النباتات التي يقرر إنكى  
 أن يعطيها اسماءً فيقوم وزيره (إيسمود) بقطع جزء من كل نبتة ، وعندما يتذوقها إنكى  
 يطلق على كل واحدة اسمًا ، ومنح الاسم هنا مباركة للنبات أو خلق جديد له أي منحه  
 صفات خاصة به ، وهذه النباتات هي بمثابة آلهة نباتية محترمة ، وستقدم تحليلًا مفصلاً لها  
 (في الجدول) .

وهكذا كان هذا العمل الطائش لأنكى عندما أكل من هذه النباتات المحرمة مدعاة  
 لغضب نخرساج ومعادتها المدمرة بعد أن حولت عنه نظرها المحببي وأصبح إنكى مهدداً  
 بالموت ، وعند ذلك حزن مجمع الآلهة ، لكن الثعلب ذهب إلى إنليل وطلب منه مكافأة  
 مقابل ان يستطيع اقناع نخرساج بالعودة ، فوعده إنليل ان يزرع له شجرة (كشكانو) وهي  
 شجرة إنكى المقدسة وان يصبح مشهوراً .

وينجح الشغل باقناع نخرساج وعودتها إلى إنكي الذي أصبح مريضاً بثمانية أمراض بسبب أكله من النباتات السابقة المحرمة السامة وتبدأ بفصحه وتسأله ما الذي يؤلمه فيعدل لها ثمانى مناطق هي (الرأس، والشعر، الأنف، الفم ، الخجرة، الذراع، الضلع ، المتون) فتقوم الآلهة نخرساج بخلق ثمانى آلهة لكل مرض في الأعضاء السابقة (انظر جدول) وهكذا يشفى الآلهة إنكي من أمراضه ثم يقوم بتقرير مصير هذه الآلهة الثمانية لهمات أخرى بالإضافة إلى دورها الطبي أو العلاجي ..

بعد أن اعدنا ترتيب النباتات المحرمة والأعضاء المصابة والآلهة المشافية والمصير التي آلت اليه كما في جدول ( ) يمكننا استنتاج الحقائق التالية :

المصير الذي قرره إنكي للألهة المشافية بعد شفاءه	الآلهة المشافية التي خلقتها نخرساج لشفاء تلك الأمراض	أعضاء إنكي التي أصيبت بالمرض بعد أكلها	النباتات المحرمة السامة التي أكلها إنكي
ملك أو إله النباتات إلهة (ماكان) عُمان والإلهة الحامية للدلوان زوجة نزارو	آبا - أو (آبوا) نسيكلا ، نتول نتكيري ، نسوتو	الرأس الشعر / الفك / الورك الأنف / السن	١. النبتة المشجرة ٢. النبتة الحلو (العسل) ٣. نبتة الطريق ٤. نبتة الماء (أنومون)
إلهة الشراب (الإلهة التي تشبع شهوة القلب)	ننكاسي	الفم	
زوجة نندارا	ناري	الخجرة	٥. نبتة الشوك
زوجة نكشيسزيدا	آزيوا	الذراع	٦. نبتة الكبر (ذات الأزار)
إلهة الشهور	نتي (الإلهة التي تحبى ، حواء)	الضلع	٧. نبتة ال....
إله دلوان	إنشاوج ، إينشاج (إنراك)	المتون	٨. نبتة القاسبيا (أكاسيا) الأمخارو

جدول (٨) ثيوفونيا إنكي ونخرساج في دلوان

ملاحظة : بعض الاختلافات في الأسماء ، والأعضاء متاثرة من اختلافات في الترجمة .

١) هناك ايقاع مشترك بين كل مفردة من مفردات الحقول الأربع للجدول فالمرة الاولى وهي أكل إنكي للنبتة المتشجرة وتشير هذه النبتة إلى الرأس لأنه مرض في رأسه حيث أن التسجع يbedo لنا مثل رأس هذه النبتة التي يمكن ان تكون نخلة أو صنوبرة أو غير ذلك ، ولذلك نجد أن الاله المشافي هو إله ذكر يمثل رأس أو أعلى النبات والكائن فلذلك أصبح مصيره «إله النباتات وملكها». إن الإله (أبا - أو au - Aba) ويسمى (آبوا) هو أقدم إله يعني بالنباتات والخشاش والخضرة شكل (٦١) ويرى الباحثون أن الاله آبوا يرتبط بالحياة النباتية والقطعان والماشية ويشير إلى خصب الحقول وتکاثر الناس والماشية عن طريق (الزواج المقدس) مع الالهة وهذا الزواج يحصل عادة في الربيع ويشكل الجزء الرئيس من احتفالات رأس السنة السومرية.

وقد ذهب باحثون إلى مدى ابعد حيث اعتبروه الشكل الآخر أو الاسم الآخر للدموزي إله الحظائر والرعى . أو أن دموزي له شكلان نباتي هو آبوا وحيوانى وهو دموزي إله الحظائر ، ويكون هذا حلاً معقولاً ولكننا نصطادم بتلك النظرية المتماسكة التي يقدمها جاكوبسن في كتابه (نحو تصور لتموز ومدخل لتاريخ وتراث وادي الرفدين) (انظر Jacobson 1970) حين يرى أن دموزي يمثل الطاقة او القوة الكامنة في كل أشكال الحياة ويرى ان شكله النباتي يتمثل في الاله (دموزي أشموگال آتنا) وهو الاله المحفز على تلقيح النخيل والنبات بعامة .

المهم في الأمر ان الاله (آبوا) حظي باحترام شديد وتقديس خاص في مملكة أشنونا (في منطقة ديالي) حيث عشر في تل اسمر على مجموعة كبيرة من التماضيل بينها تمثالان كبيران للإلهين (آبوا وزوجته التي لا نعرف اسمها) ولكن مما يشير الانتباه ان قاعدة تمثال الزوجة تُظهر قدماً للاله آخر يعتقد انه ابنهما وبذلك يشكل الاله آبوا وزوجته وابنه ثالوثاً الهياً فريداً لا بد ان يأتي الوقت لإظهار النصوص الخاصة بأدوارهم في المناطق الشمالية السومرية . ويرجع تاريخ هذه التماضيل الى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد .

٢) ان النبتة الثانية هي النبتة الحلوة (نبتة العسل) التي يbedo أنها أثرت مرضياً على الفك (لا أرجع الشعر ولا الورك) فيبدو أن الإلهة التي خلقت من أجلها هي نسيكلا التي ترد على أنها إلهة مكان وإلهة دلون ، وفكرة أنها إلهة حامية لمدينة او مكان لا يغفيها من وظيفة نوعية أخرى ما زلنا نجهلها الى هذا الوقت ، رغم أن هناك ما يوحى بارتباط هذه



شكل (٦١)  
الإله أبو وزوجته

الإلهة بالماء العذب لأنها هي التي طلبت منه أن يخرج لها الماء العذب (ماء اللج) من الأعماق ويغمر أرض دلون ففعل ذلك بمساعدة الإله (أوتو) ويرى جيوفري بيبي ان وجود ينابيع عذبة وخاصة قرب معبد باربار في دلون حيث تنبعت المياه العذبة للبحر السفلي للعالم الى السطح ولربما كان هذا النبع بالتحديد هو النبع الذي جعله إنكي (إله اللج) يتدفق عالياً في دلون، حسب وصية الالهة نسگلا ، ولربما كان اليقوع هو سبب وجود المعبد هنا على الاطلاق ، ولربما كان بثراً للدعوات (انظر بيبي ١٩٨ : ٣٥٢) .

٣) أما النبتة الثالثة نبتة الطريق فقد ادت إلى مرض في الأنف أو السن ويدو أن أحد الالهتين (ننكيري) أو (نسنستو) قد خصصت لعلاج هذا المرض وهي التي أصبحت فيما بعد زوجة لاله الطب نازو وسميت (لنغيردا)

٤) نبتة الماء (آنومون) أمرضت الفم ، وخلقت الالهة (ننكاسي) وهي الالهة الكأس ، أي الالهة الخمر والشراب التي تشبع شهوة القلب ل تعالج مرض الفم ، أو حاجة الفم إلى الشراب والخمرة .

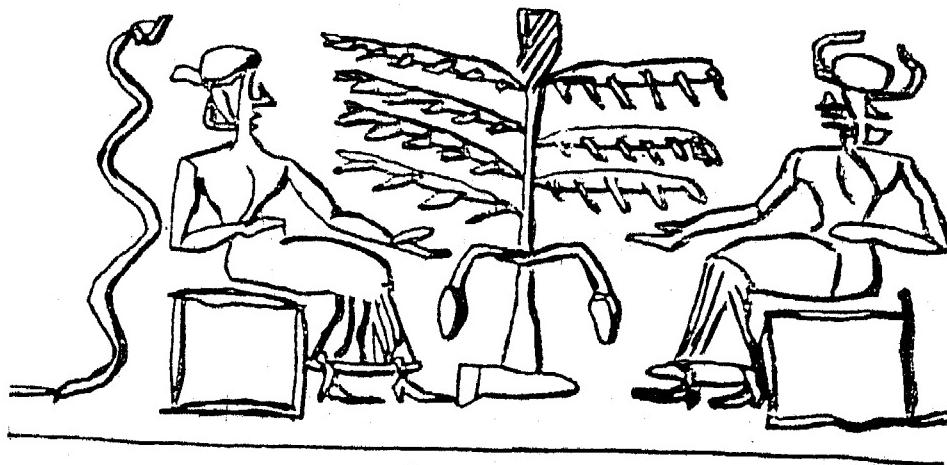
٥) نبتة الشوك أمرضت الحنجرة التي خلقت لها الإلهة نازي التي يعتقد أنها الإلهة نانشة الالهة السمك ومفسرة الأحلام لأن زوجها هو الإله نندرارا .

٦) النبتة ذات الأزرار (الكبير) التي أمرضت الذراع وخلقت لها الإله ، نن اوزموا ، زوجة الإله ننجشزيدا الذي نظن ان له أهمية كبيرة جداً وقد عاد في المثلوجيا السومرية ، ويرتبط اسمه بالاله دموزي وهو حامل التاج وسيد الشجرة الطيبة ويشمله ثعبانان ملتفان على هذه الشجرة . وهذه الالهة هي ام الاله (دامو) الطفل الذي يصعد كنسخ في سيقان النباتات وله اساطير تشبه اساطير دموزي .

وربما كانت هذه الالهة (نن - اوزموا) هي مصدر الأفعى في القصة التوراتية ، لأنها زوجة ثعبان هو ننكشزيدا .

٧) النبتة السابعة ما زالت مجهولة الاسم ولكنها تسبب مرضًا للضلوع واسمها (نتي) ، وبيني صموئيل نوح كريير (وقبله الباحث المسماري الشهير الأب شايل) فرضية مهمة حول هذه القضية ، يرى أن الكلمة السومرية (تي Ti) تعني متعنين هما (الضلوع) و(الحياة أو يحيى) وبذلك يكون معنى (نتي) سيدة الضرع أو السيدة التي تخفي (حواء) ،

ولأن هذا كله يحصل في الجنة السومرية (دلون) فيعقد كريير صلة بين حواء وخلقها من الصلع في الرواية التوراتية وبين ما يسميه بهذا التطابق عن طريق التوررية والتلاعيب بالألفاظ (انظر كريير ب. ت : ٢٤٣).



شكل (٦٢)  
عنانصر الفردوس التوراتي في رقيم سومري

ونحن غيل لهذه الفكرة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن هناك حادثة تشكل خلفية آدم وحواء التوراتية، وهي تناول الشمر او النبات المحـرم . وهو ما فعله إنكـي وما فعلـه آدم وحواء .

اما مصير الالهة ننتـي او (حواد) فإنـها اصـبحـت الـهـة لـلـشـهـور وـقـدـيـبـدوـالأـمـرـمحـيراـ  
ولـكـنـنـاـلوـأـحـصـيـنـاـعـدـالـأـضـلـاعـفـيـكـلـجـهـةـمـنـجـهـاتـالـقـفـصـالـصـدـرـيـلـوـجـدـنـاهـ(١٢)  
وـهـوـعـدـالـشـهـورـفـيـالـسـنـةـالـواـحـدةـ.

٨) اما نبتة القاسيـاـ (الأـكـاسـيـاـ) وـتـسـمـىـأـيـضاـاـلـأـمـخـارـوـوـتـصـيـبـأـكـتـافـأـوـمـتوـنـإنـكـيـ

فيخلق لرضها الإله إنشاج (إنزاك) الذي هو إله دلون وربما كان هو زوج ننسكيلا ولوه معابد كثيرة في دلون.

وإنه لما يشير في هذه الأسطورة تسلسلها ومنظفها الخفي، فأول إله ذكر وفي مملكة سومرية شمالية وأخرها إله ذكر وفي مملكة سومرية جنوبية وكان جسد إنكي من رأسه لغاية أكتافه موزع على أرض سومر .. وخلقت منه وأجله هذه الآلهة.

ولا شك أن هذه الأسطورة تذكر بالكثير مما في قصة التكوين التوراتية لو أمعنا في المقارنات دون أن نتخد من التطابق الحرفي سبيلاً، فهناك رمز في القصتين تتفاوت هنا وهناك ويستخدم كل منهما له طريقة في الظهور والمعالجة.

○

وبالرغم من انتشار الأسطورة السابقة أهم أسطورة ثيوجونية إنكية، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود أساطير أخرى (ما زالت غير مكتشفة) توضح كيفية ولادة ابناء إنكي الآخرين. ولكننا عموماً بسب ذلك سنقسم أبناء إنكي إلى ثمانية أصناف أو أنواع وهي كما يلي :

١. الإلهان عدينا الجنس (المختنان) : اللذان بعث بهما إلى العالم الأسفل لإنقاذ الإلهة إنانا عندما قتلتها هناك اختها ارشكيكال وهما (كوركالا، كولاتور) الإلهان الوحيدان اللذان خلقهما إنكي من وسخ أظافره وبعث بهما إلى العالم الأسفل، إذ ليس هناك آلهة مخصصة للعالم الأسفل من أبناء إنكي حسراً ، ربما ظهرت منه بنات تزوجن من آلهة العالم الأسفل، وهذا حصل تماماً، لكن إنكي لا يملك نسلاً اختص بأمر من أمور العالم الأسفل كأساس لوظيفته (وما حصل مع دموزي وكشتن أنا امر له ضرورات أخرى سنأتي عليها).

وعندما ينزل كوركالا وكولاتور فإنهما يحملان ماء الحياة. وطعام الحياة وهو من صنع إنكي ليعيدها بحياة للإلهة إنانا .

٢. آلهة المياه : وهي الآلهة التي اختصت بالمياه بكل أنواعها ولعل أهمها هو الإله دوزي - أبسو .

١ . دموزي - أبسو وهو الاله البار لمياه الاعماق أو لنقل انه الابن المرتفع من مياه الاعماق والذي يمثل المياه العذبة التي تسقي النباتات والحيوانات ، وهذا الإله هو الله مدينة كييرشا في منطقة لكش .

ونحن نرى ان هذا الإله ليس هو الإله دموزي الذي دارت حوله الأساطير وأنه أحد أشكاله المرتبطة حسراً بالمياه ، وهناك من يرى أنه القوة الكامنة وراء الخصب والحياة التجددية في المستنقعات . ولأن الرحم يمثل الاعماق التي يرقد في مياهها الجنين ، فإن هذا الإله كان يعبر عنه أحياناً كإله محرك للأجنحة في الأرحام . أي إله مياه الرحم العميقه .

ويرى اذزارد بأن دموزي أبسو هو «إلهة من آلهة محيط مدينة لكش والهة مدينة كييرشا . وهذه الإلهة التي اتضحت تأثيرها لا علاقة لها البتة مع دموزي ، على عكس ما كان يعتقد سابقاً ، وكما يشير الاسم فهي ترتبط باليه المحيطات العذبة (أبسو) وقد ورد اسمها في هذا السياق في قوائم أسماء الآلهة وفقدت أهميتها بعد العصر البابلي القديم لتضاؤل دور مدينة لكش السياسي ، ، (اذزارد ١٩٨٧ : ٩٨) .

٢ . سيرار : إله البحر وهو تحديداً إله الخليج العربي .

٣ . أبيللو : وهو الإله العارف بشؤون الانهار ويتمثل الإله المسؤول عن نهر دجلة والفرات ، ويفتهر في الشيوغونيا الإنليلية أحد ابناء إنليل في العالم الأسفل . ويمكن ان يشير هذا إلىأخذ الأنهر مياهها من مناطق مجهولة في العالم الأسفل ترتفع فيها بشكل مستمر .

٤ ) ايسمود : ويسمى ايضاً الإله (اسيمو) الذي يوصف بأنه متعدد الوجوه فله أربعة وجوه أو إثنان ، وهو وزير الإله إنكي والمنفذ لأوامره .

٥) نندارا : وهو جابي البحر وزوج الآلهة نانثة وناري

٦ . آلهة النبات : وهي الآلهة التي اختصت بكل ما يخص النباتات وزراعتها وفلاحتها وثمارها ويندورها .. ولعل الاسطورة الشيوغونية السابقة وضعت الإله (آبو) ملكاً أو لهاً لملكة الآلهة النباتية .

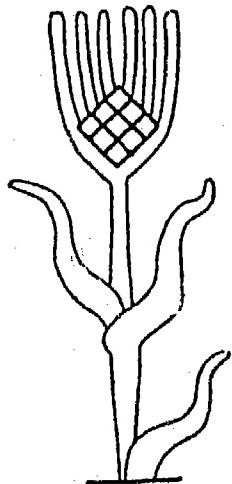
٧ . الإله آبو : وقد تحدثنا عنه .

٢ . دموزي أمّا اسموكال أنا : وهو القوة المخصبة التي تكمن في التخييل وتسبب الطلع والخصب لها . وهو أيضاً غير دموزي الراعي الذي ستحدث عنه لاحقاً .

٣ . أنكمدو : وهو الإله الفلاح أو إله الفلاحة .

٤ . نصابا : وهي الإلهة الحبوب (ورجعاً تحديداً الشعير) وتلقب أيضاً بـ (نشيبارغونو) التي توصف بأنها أم الآلهة (سود) التي أصبحت فيما بعد زوجة الإله إنليل . وزوجها (حايا) أو (هايا) إله الصوامع ، وقد أصبحت (نصابا) الإلهة الكتابة في سومر وكانت تسمى أيضاً ندابا وأصبحت زوجة (نبو) منذ الألف الأول ق. م ومركز عبادتها في أوما واريش .

٥ . اشنان : الإلهة الغلة ورمزها السنبلة



شكل (١٢)

رمز الآلهة اشنان

رسم : علي محمد آل تاجر

٦ . ننموخ : الإله الغابات

٧ . نتغيردا : وسميت ننکيري او ننسوتو وهي زوجة الإله ننازو .

٨ . كشتن - أنا : سيدة دالية الكروم ، الإله العنبر ، واخت دموزي الراعي الذي أدى به المصير إلى التزول إلى العالم الأسفل حيث أصبحت بديلاته فيبدأت تنزل مكانه إلى العالم الأسفل في الوقت الذي يخرج هو منه كل نصف عام بالتبادل ، وقد أصبحت كاتبة العالم الأسفل وسميت بالاكدية (بعله صيري) ، وهناك ما يشير إلى أنها أصبحت زوجة للإله ننکشزیدا .. الذي ما زالت علاقته غامضة بالإله دموزي .

١ . دموزي : الاله الراعي ، وهو راعي الاغنام والماشية ، ودموزي zi - Dumu - دموزى تعني ابن ، زى تعنى مخلص وكذلك تعنى البار وتعنى ايضاً الذي يعلو او يرتفع ، وبذلك يحق لنا ان ننفس اسم دموزي (بالابن المخلص ، الابن البار ، الابن المرتفع او النبعت ، الابن العلي ) ، ويقدم جاكوبسن في كتابه (نحو تصور عن توز) تفسيراً آخر لاسمه فيقول انه يعني (الذى يعجل بالصغر اي يكتبهم الصحة) معتمداً على انه الاله المسؤول عن الاغنام والماشية ، أي ان دموزي يمثل الموسم القصير للحليب في الربيع ، أي القوة الدافعة للحليب وعندما تتوقف الاغنام عن در الحليب فإن ذلك يعني موت هذا الاله .

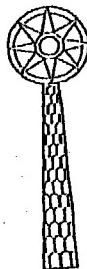
ولا يحظى دموزي بأية أهمية في البانثيون أو مجتمع الآلهة السومري كما نلاحظ شجرة الآلهة السومرية ، ولكن حظي باهتمام شعبي كبير فأصبح الإله الذي يرمز لكل قوى الطبيعة المنتجة والمحصبة ، ودارت حول أسطoir كثيرة ارتبطت أغلبها مع إنانا إلهة الحب والجمال وراعية كوكب الزهرة . وقد فسرت علاقة الإله الراعي بالنجمة على أنها علاقة طبيعية بين من يرعى الأغنام فجراً فترافقه هذه النجمة ويعود بالأغنام مساءً فترافقه أيضاً في الظهور (وهي نجمة الصباـم وبـنـجـمة العـشـاء).

وهناك ملاحظة هامة عن (دموزي) وهو وجوده في العالم الأسفل ورعاية الملائكة اريشكيكال له وزواج اخته كشن أنا من الاله ننکشزیدا (إين أريشكيكال) فهو صديق ونسبيب إينها ، بحيث إننا نرى وجود علاقة غامضة وخاصة بين الالهين (دموزي وننکشزیدا). لأن وجودهما ثانية في السماء السابعة عند بوابة الإله آن في اسطورة آدابا يشير استلة كبيرة عن حياتهما وموتهما ويعثهما.

وهناك في التراث السومري دموزي الإله . ودموزي الملك الذي حكم مرة قبل الطوفان في مدينة بادتيرا لمدة ٣٦٠٠ سنة وهو الملك الراعي . أما الملك الثاني فيظهر كأحد ملوك أوروك بعد الطوفان ويوصف بأنه كصياد السمك وهو في مدينة كواو حكم ١٠٠ سنة .

وقد تناول الباحثون بالبحث والدرس شخصية دموزي الملك والاله وخصوصاً مورلغات (انظر مورلغات ١٩٨٥) . و(انظر زايرت ١٩٨٨) و(انظر فريزر ١٩٧٩) .

والرمز الثابت للاله دموزي هو جذع النخلة المشبك والذي يكون على شكل مخروطي طويل تعلو قمته عجلة شمسية تحتوي على رمز الألوهية .



شكل (٦٤)

رمز الإله دموزي نهاية الألف الثالث قبل الميلاد

رسم : علي محمد آل تاجر

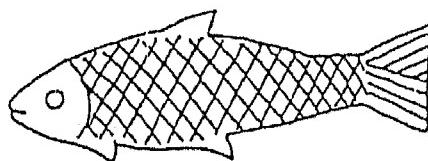
٢. لهار (Lakhar) وهو الـاغنام والـحيطائز ومتوجاتها المعروفة اسطورته او محاورته مع إلهة الغلة (أشنان) ..
٣. ننسون Ninsun : او ننسونا وتوصف بالبقرة الوحشية وهي أم الإله دموزي الذي يوصف بأنه (الثور الوحشي) لانه ابنها . وهي إلهة (كلاب)



شكل (١٥)

الإلهة ننسون أم دموزي وكلكامش

٤. نانشة : الـهـةـ مـدـيـنـةـ نـيـنـاـ (ـسـرـغـلـ) جـنـوـبـ شـرـقـيـ لـكـشـ وـهـيـ إـلـهـةـ السـمـكـ وـصـيدـ الـاسـمـاـكـ وـرـمـزـهـاـ السـمـكـةـ شـكـلـ (ـ٦ـ٦ـ) ، وـتـوـصـفـ أـيـضـاـ بـأـنـهـاـ مـفـسـرـةـ الـأـحـلـامـ . وـيـصـفـهـاـ السـوـمـرـيـوـنـ بـأـنـهـاـ رـاعـيـةـ الـعـدـالـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـزـوـجـهـاـ هـوـ نـيـنـدـارـ جـاـبـيـ الـبـحـرـ . وـهـنـاكـ تـرـاتـيلـ وـأـدـعـيـةـ كـثـيـرـةـ بـحـقـ هـذـهـ الـإـلـهـةـ وـكـانـ الـأـمـيرـ گـوـدـيـاـ يـؤـمـنـ بـهـاـ وـيـقـدـسـهـاـ كـلـ التـقـديـسـ وـيـعـتـبـرـهـاـ أـمـهـ .



شكل (٦٦)

رمـزـ إـلـهـةـ نـانـشـةـ

رسم : عـلـيـ مـحـمـدـ آلـ تـاجـرـ

- ٥ . نمار Nimar : الـهـةـ مـدـيـنـةـ (غـبـاـ) جـنـوـبـ شـرـقـيـ لـكـشـ وـتـعـتـبـ الـهـةـ الطـيـورـ وـرـمـزـهاـ الطـيـرـ شـكـلـ (٦٧ـ) وـهـيـ اـبـنـةـ نـانـشـةـ مـنـ زـوـجـهـاـ نـدـارـ وـبـذـلـكـ تـكـوـنـ حـفـيـدـةـ انـكـيـ وـلـيـسـتـ اـبـنـتـهـ .
- ٦ . زـيـابـاـ : وـهـوـ الـهـ (كـيـشـ) وـهـوـ الـهـ الحـرـبـ وـالـقـتـلـ وـلـهـ عـلـاـقـةـ بـذـبـحـ الـاغـنـامـ وـحـقـولـهاـ وـقـدـ اـرـفـعـ شـأـنـهـ فـيـ عـصـرـ الـكـيـشـيـنـ ، وـزـوـجـ (إـنـانـاـ) الـمـحـارـيـةـ .
- ٧ . بـلـيلـيـ : وـهـيـ اـخـتـ دـمـوزـيـ تـظـهـرـ دـائـمـاـ إـلـىـ جـانـبـ (كـشـتـنـ آـنـاـ) وـتـقـطـنـ فـيـ حـظـيرـةـ قـطـعـانـ الـمـاشـيـةـ . وـتـلـعـبـ دـورـاـ فـيـ أـلـقـاءـ الـقـبـضـ عـلـىـ دـمـوزـيـ وـتـسـلـيـمـهـ لـلـعـالـمـ الـأـسـفـلـ .

#### ٥ . الـهـةـ الـعـمـرـانـ :

لـلـلـهـ إـنـكـيـ اـبـنـوـنـ كـثـيـرـوـنـ اـهـتـمـوـنـ بـتـفـاصـيلـ حـيـةـ الـمـدـيـنـةـ وـالـأـرـيـافـ وـشـؤـونـهاـ الـعـمـرـانـيـةـ ، وـحـقـيـقـةـ الـأـمـرـ أـنـ هـذـاـ يـتـطـابـقـ مـعـ طـبـيـعـةـ هـذـاـ الـهـ لـأـنـ رـاعـيـ الـعـمـرـانـ عـلـىـ الـأـرـضـ . وـهـوـ الـذـيـ اـمـتـلـكـ نـوـامـيسـ الـحـضـارـةـ وـقـوـاـهـاـ عـلـىـ شـكـلـ الـدـ (Me) الـأـنـهـ بـالـرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ وـلـدـ لـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـأـلـهـةـ الـتـيـ شـكـلـتـ عـصـبـ الـعـمـرـانـ وـهـيـ :

- ١ . نـوـ : الـهـ الحـرـفـ وـالـمـهـارـاتـ .
- ٢ . نـتـيـ : الـهـةـ الشـهـورـ وـرـاعـيـةـ الزـمـنـ
- ٣ . إـنـشـاجـ : إـلـهـ دـلـونـ وـاسـمـهـ اـيـضاـ (إـنـزـاكـ)
- ٤ . نـسـكـلاـ : إـلـهـ دـلـونـ وـمـكـانـ (عـمـانـ)
- ٥ . نـنـكـاسـيـ : إـلـهـ الـخـمـرـ .
- ٦ . كـبـتاـ : إـلـهـ الـفـاسـ وـالـقـرـمـيدـ
- ٧ . كـوـلاـ : إـلـهـ الـطـابـوـقـ وـصـنـاعـتـهـ
- ٨ . مـشـدـماـ : إـلـهـ الـمـساـكـنـ
- ٩ . هـايـاـ : إـلـهـ الصـوـامـعـ زـوـجـ نـصـابـاـ
- ١٠ . نـندـوبـ : الـهـ المـعـمـارـ وـمـصـمـمـ الـمـعـابـدـ
- ١١ . نـنـكـورـاـ : إـلـهـ الـأـصـبـاغـ

١٢ . أتو : إلهة النسيج

١٣ . أشمو كال كلاما : إله الموسيقى (القيثارة)

١٤ . تيال (تابير) : إله المعادن

١٥ . ميرسو : إله الري

١٦ . طقطوق : إله الصناعة

١٧ . ساتران (اله مدينة دير) : ويوصف بعلاقته بالطب ويعتقد أن أصله عيلامي ،  
وهو الذي ذهب إلى العالم الأسفل فكان له رسول هو الاله (نيراح)

١٨ . (نيراح) أو (نيراه) المأ孝وذ من أصل سومري (نتر) الذي يجسد القوة الحامية  
للبشر ويرمز له بنصف علوي لرجل ونصف سفلي كشعبان ، وأحياناً كشعبان يصور على  
منحوتات الحدود كإله حامي .

## ٦ . أسلوحي Asalluhe

وهو الأبن الوريث لالله إنكي ، ويتمثل الغيوم المرعدة ، وقد صار هذا الاله الجنر  
السومري لالله مردوخ فيما بعد رغم أن الاله مردوخ في أصله يأتي من المقطعين السومريين  
(Amar- Utu) الذي يعني (عجل الشمس) أو (طفل الشمس) وكان هذا يشير الى كوكب  
المشتري الذي يمثله مردوخ ، والذي يرتبط من ناحية أخرى بظهور الغيوم المرعدة  
(أسلوحي) . ويعتبر هذا الاله الها للسحر والتعاويذ حيث يحل محل ابيه والاله أسلوحي  
اله مدينة قصار قرب أريدو ، وهو ابن إنكي (مبلل الناس) .

## ٧ . الهات الولادة السبع

وهن سبع إلهات ثانويات مخصصات للولادة ويساعدن الالهة تنماخ ساعة الولادة  
للإنسان أو الآلهة ويبدو أن لكل واحدة دوراً خاصاً :

١ . نن إاما : Nin - Imma

٢ . نن مادا Nin - Mada

٣ . نن بارا Nin - bara

٤. نن مُكك Nin - mug

٥. نن گونا Nin - guna

٦. سوزي آنا Suzianna

٧. موسار غابابالا Musargabala

٨. لولو : وتعني الاله الضعيف أو الاله الميت والمقصود به الانسان ، وهذه الكلمة مستعارة من المقاطع السومرية Lu- ux-Lu التي تعني حرفياً (الإنسان البعيد أو السحيق) أو (الإنسان الأول) أو (الإنسان المتوحش والبدائي) . اما الكلمة السومرية (لو Lu) فإنها تدل على الإنسان العادي أو البشر المعروف ومرادفتها الأكادية Awelu التي ترتبط باسم الاله وي - ايلا ila - We ومعناه الحرفي (الاله الذي كانت له شخصية) الذي ذبح وصنع من لحمه ودمه مع الطين الانسان وهذه اسطورة أكدية .

ويبدو لنا الانسان الذي خلقه أو صنعه إنكي في بداية أمره أو الذي صنته ننخرساج ناقصاً مشوهاً ، لكنه أصبح فيما بعد بشراً عادياً منحه إنكي الحكمة ثم منحه الملوكية واعطاه نواميس الحضارة .

إن كون الإنسان ابنًا أو مخلوقاً من مخلوقات الاله أمرٌ متعارف عليه في المثولوجيا السومرية ومثالوجيات الأمم الأخرى ولكنه مخلوق أو إله ضعيف، ومحكوم عليه بالموت وستناقش ذلك تفصيلياً في أساطير خلق الانسان .

إن شجرة الآلهة السومرية ثيوجونياً اعطتنا اكثراً من ايهاء أو نتيجة منها أن أغلب ذكور سلالة انليل تزوجوا من أغلب إناث سلالة انكي سواء من بناته او حفيذاته ، حتى ان انليل نفسه تزوج من حفيذة انكي (سود) التي أصبحت الزوجة الوحيدة للإله إنليل والتي أنجبت كل سلالته القوية .

ويبدو أن هذا هو العرف السائد عند الآلهة ، الا أن حالة واحدة شذت عن هذا وهي أن دموزي ابن الإله إنكي تزوج من إنانا حفيضة الإله إنليل وهذا لا يجوز كما يبدو ، ولذلك اخترعت اسطورة موت دموزي الذي كان لا بد ان يعاقب ضمناً على هذا السلوك او هذا المصير والذي انتهت حياته إلى العالم الأسفل .

كما أن شجرة الآلهة السومرية بأكملها تشير إلى ثالوث أكبر عظيم مكون من الآلهة  
ثُمو الام السومرية الكبّرى والأولى ، وانليل / انكي أبناء الآلهة والابن المشترك لكل منها  
(ダメو من سلالة انليل ) ، (دموزي من سلالة إنكي) الذي يعني في كليهما الطفل ابو  
الابن .

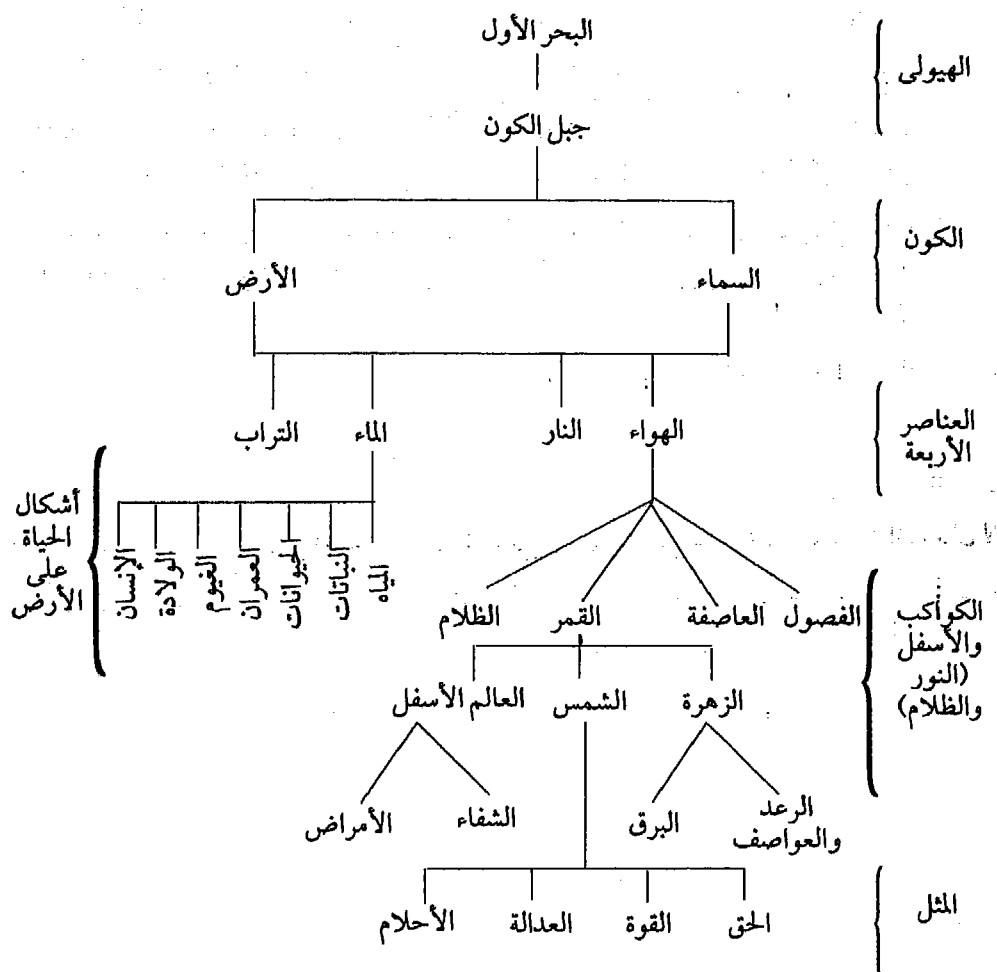
ان الام والاب والابن هو ثالوث سومري يمسك شجرة الآلهة السومرية ويشكل  
إطارها كلياً أو تفصيلياً .

وإن الآله الطفلダメو الذي يبدأ رحلة الصعود في نسخ النباتات إلى العالم الأعلى  
والآله الإبن دموزي الذي يعلو إلى الأرض من العالم الأسفل أيضاً يشيران إلى عود أبيدي  
يبدأ بصعودها نحو الأرض ثم يدور بين الأرض والعالم الأسفل ، ثم انتابنجد دموزي في  
السماء ( وهذه دورة أخرى من الأرض إلى السماء وبالعكس ) بعد أن أعطى كوكب  
الجوزاء مسحةً منه ( وهو يدل عليه ) . ان هذه الرحلة تحيلنا إلى تفكير عميق في التماسك  
الدقيق لشبكة الآلهة والمعاني العميقة التي تخفي وراء كل تفريعاتها وأشكالها .

## العمق الفيزياوي والبايولوجي للميثولوجيا السومرية

قبل ان ننتهي من تبع شجرة الآلهة السومرية والأساطير المرتبطة بها ، التي ذكرناها والتي سنذكرها ، لا بد لنا من فحص العمق الفيزياوي والبايولوجي الذي يكمن خلف هذه المثلولوجيا وخلق تسلسل الآلهة فيها .

لو اتنا حورلنا تلك الشجرة لالهية الوارفة الى مفردات طبيعية دون ذكر اسماء الآلهة لنجت لنا هذا العمق الفيزياوي والبايولوجي والفكري كما في المخطط (٩) .



مخطط (٩) العمق الفيزياوي والبايولوجي لشجرة الآلهة السومرية

أصبح من الواضح أن الهيولى الأولى أنتجت الكون الذي كان غير مميز إلى سماء وأرض ، ثم ظهر الهواء الذي فصل بين الأرض والسماء ونتج عن ذلك أيضاً ظهور المياه على الأرض باعتبارها المادة الذكرية السماوية .

وبذلك ظهرت العناصر الأربع (الهواء والنار والماء والتربة) من السماء والأرض ، وسيطر على الكون بشكل اساس عنصر الهواء ومعه النار ونتج عنه عوالم الكواكب والظلام .

أما الأرض فسيطر عليها عنصر الماء الذي ظهرت منه اشكال الحياة ب مختلف ألوانها النباتية والحيوانية والبشرية ثم ظهرت أدوات ونومايس العمران على الأرض .

إن ما تدفع به الطبيعة من كوراث وفيضانات وزلازل وعواصف وأمراض سببها سلالة إنليل . وإن ما تحاول أن تصلحه الطبيعة وتحييه وتتصد الكوارث عنه صار من حصة سلالة إنكي .

وعلى ضوء الذي تحدد نقول بأن ظهور الاسطورة الشعبية السومرية (دموزي وإنانا) كما قلنا هو لقاءٌ بين نسلين متعارضين لا نفترض ان يحصل بهذه الطريقة ، فلو أن إنانا تزوجت أخاً لها أو من نسل إنليل ، ولو أن دموزي تزوج من إحدى بنات إنكي لما كان قد حصل كل هذا الذي حصل بين دموزي وإنانا .

إن إنانا التي ظهرت من نسل إنليل الهوائي المتقلب الذي فيه ما يقود إلى العالم الأسفل هي غير دموزي المنحدر من نسل مائي مخصوص حي ومحضر ، وهذا اللقاء كان لا بد أن تنتهي عنه دورة صراع أزلية .. أو أوريوس ينغلق وينفتح بين إنليل وإنكي ، الهواء والماء ، إنه صراعٌ بالنيابية بين آخرين متضادين وتكون خلف هذا الصراع أسرارٌ عميقه يعبر عنها بصراع الموت والحياة وهذا في رأينا أول بذور فكرة العود الأبدي .

## جـ- أساطير نشوء الإنسان (الأنثريوغونيا )

### Anthropogony

حفل التراث المثلوجي السومري بعدة أساطير أو أفكار ميثوبية تبين كيفية خلق الإنسان ، وإذا كان الكثير من الباحثين قد توافقوا عند اسطورة واحدة أو أسطورتين فإننا سنبين سعة التصورات الأنثريوغرافية السومرية .

هناك خمس أنثريوغرافيات سومرية توضح خلق الإنسان ، وكل منها يرجع الإنسان إلى أصل مختلف في خلقه وتكوينه وهذه الأصول هي (الأصل الطيني المائي ، الأصل النباتي ، الأصل الحيواني ، الأصل الالهي ، الأصل اللوغوسى) .

#### ١. الانثريوغرافيا الطينية المائية (إنكي ونمّو وننماخ وطين الأبسو)

تشير هذه الاسطورة (وهي الأكثر شهرة) إلى أنه بعد أن تم خلق الكون والآلهة توجب على الآلهة العمل وتزويدهم أنفسهم بالطعام والشراب ، فقد وصل الآلهة الصغار العاملون إلى مرحلة الإجهاد والشقاء فذهبوا ليشتكون للإله إنكي الذي كان نائماً في أعماق المياه ولكنهم لم يدخلوا إليه ، غير أن الآلهة (نمّو) وهي الآلهة السومرية الأم الأولى ، التي ولدت كل الآلهة ، أخبرت ولدتها إنكي بشكرى الآلهة قائلةً :

«يا بني أخرج من غرفة نومك

فأنت من خلال حكمتك تدرك كل فن

إصنع بديلاً عن الآلهة حتى يحمل سلة العمل عوضاً عنه .

نهض الآله إنكي على كلمات والدته الآلهة (نمّو)

ودخل إلى القاعة المقدسة ، وأخذ يضرب فخلده وهو يفكر

الحكيم ، العليم ، البصير ، الذي يدرك كل شيء وكل فن

جلب الأيدي وصاغ صدره (أي صدر الإنسان)

إنكي ، المخلوق وصنع داخل مخلوقه (الإنسان) شيئاً من حكمته

ونادى أمه الآلهة نمّو (وقال لها)

امي : المخلوق الذي اوجده ، اريطي به عمل الآلهة .  
 وبعد ان تخلطني الطين الذي تأخذنيه من مياه الأبوس  
 عليك ان تصبغي الى .. والطين و تكوني المخلوق (الإنسان)  
 وعسى أن تساعلوك في ذلك الإلهة ننماخ  
 (رشيد ١٩٨١ : ١٩).

بعد أن قرر الإله إنكى شكل الإنسان وطبيعته وأعطاه في داخله شيئاً من حكمته، ترك أمر ولادته لننماخ وإلهات الولادة السبع وهن (نن إيا، نن مادا، نن بارا، نن موگك، نن گونا، سوزي آتا، موسار غابا) واللائي يساعدن ننماخ في استيلاده ، من هذا الوصف يظهر الإنسان ويقرر إنكى شكله وطبيعته وروحه ثم يزرعه في رحم إحدى الإلهات (ربما ننماخ) ثم يولد منها بمساعدة إلهات الولادة . بعدها تقرر (ثو) مصيره، أما ننماخ فتقرر العمل الذي سيقوم به من أجل الآلهة .

ثم يقيم الإله إنكى حفلة للآلهة ليريهم كيفية ولادة المخلوق الجديد (الإنسان) فتقوم الآلهة (ثو) بصنع القالب الأولي له، ثم تأخذ الآلهة ننماخ الصلصال من مياه الأبوس (بعد ان تكون هي وإنكى قد شربا خمراً كثيراً) وتشكله وتولده .. ويبدو أنها صنعت ستة أنواع من الإنسان كلهم يعانون من ضعف أو مرض ، لكن إنكى يقرر لكل منهم مصيرأ وهؤلاء البشر الأوائل هم :

١. الإنسان المتصلب المفاصل : يدخله إنكى في خدمة الملك
٢. الإنسان الأعمى : يجعله إنكى مغنايا ، ومنشدأ للملك
٣. الإنسان المشلول الساقين : يجعله إنكى بهيا خارقاً للطبيعة.
٤. الإنسان الذي لا يستطيع الاحتفاظ بمنبه : يغسله ويعوده إنكى فيشفي .
٥. الإنسان المرأة العاقد : يعيتها إنكى في بيت الحريم
٦. الإنسان الذي لا قضيب له ولا فرج : سماء إنليل - كيگال) ليبقى تحت تصرف الملك .

ثم قام إنكى بصنع مخلوقه البشري وتساعد ننماخ على ولادته وسمى هذا المخلوق بـ(أومول) ومعنى اسمه (يومي بعيد) وكان يعاني من عدة عاهات (رأس خامد، ونفس قصيرة، فقص صدرى ناقص، بطئ خامد، قلب خامد، يداه تتحركان بعصوبية ، كثفاه منهارتان ، رجاله غير قادرتين على السير حافيتين) .

ويبدو أن إنكى تعمد صنع مثل هذا الإنسان المشوه ليخرج ننماخ ويشتت عجزها ، بعد ان استطاع ان يتدارك مصير ستة من الأنواع الإنسانية البدائية التي خلقتها هي ، وهكذا يقول لها تدبرى أمر مخلوقى هذا وعىّنى له مصيرأً وامتحنة وسيلة لمعيشته :

«استدرات ننماخ عندئذ نحو (الأومول) وتأملته

اقربت منه ونادته

ولكنه لم يستطع الإجابة

قدمت له خبزاً

ولكنه لم يستطع تناوله

لم يكن قادراً على ...

إذا كان واقفاً ، لم يكن قادراً على الجلوس أو الاستلقاء ،

وكان غير قادر أن يعد لنفسه مأوى أو غذاءاً

ولذلك فقد أجاب ننماخ إنكى :

«إن ما صنعته هنا ليس بالحسي ولا الميت

إنه غير قادر على عمل أي شيء!»

(الشوفاف ١٩٩٦ : ٧٠).

ويذكر إنكى ننماخ كيف أنه منع وسيلة لعيشة البشر الذين صنعتهم هي وعين لهم مصيرأً، ويبدو ان ننماخ بترت ذلك بأنها في أزمة فقد تركت مدينتها ومعبدها بسبب الهجوم عليها وأنها اضطررت إلى الالتجاء لمعبد إبنيل في نفر .. إلا أن فشلها كان واضحاً. ثم يطلب منها إنكى ابعاد مخلوقه العاجز عن حضنها ويقول لها أن تكون راضية عن المخلوقات التي خلقتها بعد أن قرر هو مصيرها ثم يطلب الاحتفاء بقدرته الخلقة والإنساد له ، ويطلب من الآلهة إنشاء معبد خاص له .

توضح لنا هذه الاسطورة قدرة الإله إنكي على صنع الإنسان العادي المعافى دون أن تبين طريقة صنعه ، ثم تبين كيف أن ننماخ صنعت ستة أنواع من البشر العاجزين واستطاع إنكي تعين وظائف لهم وشفاء بعضهم .. لكن ننماخ فشلت في مساعدة مخلوق إنكي الذي تعمد في جعله عاجزاً.

ومن جانب آخر توحّي لنا هذه الاسطورة ان الانسان الاول كان مريضاً مشوباً بالكثير من الاخطاء الجسدية والعاهات التي لو لا إنكي لما استطاع هذا الانسان أن يشق طريقه في الحياة .

كما أنها توضح إلى حد ما أن الإنسان صنع من قبل إنكي ولكنه ولد من قبل إلهةٍ وساعدت على ولادته سبع إلهات ولادة .

وهذه اشارة مفيدة جداً لأن الانسان يعتبر في هذه الاسطورة إيناً للإله أو الإلهة ولكنه ابن ضعيف عاجز محكوم عليه بالموت .. كما أن واجبه هو خدمة الآلهة وتنفيذ أوامرهם وليس العيش معهم ومشاركته لصفاتهم .

## ٢. الأنثروغونيا النباتية ( حشيش انليل )

في هذه الاسطورة نلمح منحىً مختلفاً عن الاسطورة السابقة حيث يقوم الإله إنليل بوضع بدايات البشرية (أي بذورها) في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل الحشيش .

إن فكرة هذه الاسطورة السومرية التي ترجع الخلق البشري إلى الإله انليل وليس إنكي لا تتفق مع ما قررناه من وظائف انليل وإنكي ولذلك نرى أنها ترجع إلى أصل بعيد لم تكن فيه العقيدة الدينية والمثلولوجيا قد وضعت على أساس سومرية دقيقة . وحقيقة الأمر أنها تعود إلى مكان بعيد وزمان بعيد، أي إلى حوالي ٥٠٠٠ ق.م عندما كان أجداد السومريين في القسم الشمالي من وادي الرفدين وفي مناطق سامراء والمحيطة بها مثل تل الصوان ، حيث كان الانسان العراقي القديم يمارس الزراعة الدينية معتمدًا على الأمطار وكان ظهور النباتات كالخشائش منظرة الدائم ، وفي هذه المرحلة ظهرت بدايات الإله الذكر متمثلاً بالهواء وهو ما يقابل الإله (إنليل) الذي يحرك المطر ويتحكم به . وفيما يلي هذا المقطع من الاسطورة المسماة باسطورة المعلول :

«السيد الاله (إنليل) قد جعل كل ما هو نافع ييدو ناصعاً  
 السيد الذي تقريره للمصير لا يمكن ان يتغير  
 قد أسرع لفصل السماء عن الأرض، وقد أسرع لفصل الأرض عن السماء .  
 وبعد ذلك جعل في (أوزو - موا) الإنسان الأول يظهر  
 وحفر شقاً في الأرض وفي منطقة دور إنكي  
 وخلق المعمول ، وعندما انتهى النهار  
 وقرر واجبات العمل وقرر المصير  
 وبينما كان يثبت مقبض المعمول ومقبض سلة العمل  
 مجد الإله إنليل معوله (أي الذي خلقه)  
 وجلب المعمول الى (أوزو - آيا)  
 ووضع بدايات البشرية في الشقّ  
 وعندما بدأ البشر يظهر مثل الحشيش من الأرض  
 كان الإله إنليل مرتاحاً الى شعبه السومري  
 ووقفت الى جنبه آلهة الأنونا  
 واضعة اياديها على أفواهها  
 وهي تقدم الصلوات للإله إنليل  
 ووضعت المعمول في أيدي الشعب السومري ،  
 (رشيد ١٩٨١ : ٢٠).

### ٣. الانثريولوجونيا الحيوانية (على جبل الكون قبل ظهور النعجة)

تصف هذه الاسطورة ، التي غالباً ما تسمى اسطورة (أشنان) ، ظهور الآلهة العظام  
 المبكر على جبل السماء والارض (الكون) حيث لم يخلق بعد أي شيء لا الآلهة الصغيرة  
 ولا الحيوانات كالنعجة والعنزة ولا الحبوب كالشعير و ، ولم يكن في ذلك الزمن الأول

يعرف الانسان شيئاً ، ويبدو لنا أنه خُلق على تل الكون المقدس (ان - كي) اي قبل ان تفصل السماء عن الأرض ، أي بلغة أخرى ، قبل ظهور الآلهة وانه قد ظهر مثل الكون من الهيولى الأولى المائية ولكنه ظهر كحيوان يمشي على يديه ورجليه . وهذا مقطع من هذه الاسطورة :

«البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبر بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس

وكانوا يسيرون على أيديهم وأرجلهم

وكانوا كالخراف يعلقون الحشيش

ومن القنوات يشربون الماء .

آنذاك في المكان الذي كانت فيه الآلهة

في معبدهم ، التل المقدس ، قررت الآلهة ظهور إلهة النعج (لاهار)

وإلهة الشعير (أشنان)

في المعبد ، المكان الذي تأكل فيه الآلهة الخبر

تجمعوا على إنتاج النعجة والشعير

وأكل آلهة الأنونا ، آلهة التل المقدس

ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الشبع

المشروب اللذيد ، إنتاج حضيرة الأغنام

شربت آلهة الأنونا ، آلهة التل المقدس

ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الارتواه .

في حضيرة الأغنام الطاهرة تركوا ما يسعدهم

تركوا البشرية روح حياتهم ،

(رشيد ١٩٨١ : ٢٠)

وهكذا انتهت إلهة النعجة والشعير (لاهار وأشنان) من التل المقدس إلى الأرض

ومعها الانسان حيث ذهب معها ، لقد كان الآلهة قد خلقوا الماشية والغلة وخلقوا معها الإنسان . . ووجدوا أن الآلهة ما زالوا يتبعون في نيل طعامهم وشرابهم ، ولذلك أزلوا الماشية والغلة والانسان الى الأرض لكي يعمل الانسان على الاستفادة منها ويفيد معه الآلهة التي تريد من يخدمها .

او بحسب الاسطورة كيف ان الانسان كان حيواناً يishi على أربعة اطراف ولا يأكل الخبز لانه لا يعرف كيفية صناعته ، وهو عار لانه لا يعرف الملابس ، وغذاؤه الحشيش كالحيوان ويشرب الماء من القنوات بينما النعجة تأكل الشعير وتشرب الماء اللذيذ ولكنها لا تشبع أو ترتوي ، ولذلك نزلوا الى الأرض ليعلموا الانسان هذه الامور ويجعلونه يقوم بها بدلاً من الآلهة .

#### ٤. الأنثريولوجونيا الالهية (اسطورة الآلهة مكما)

تعد هذه الاسطورة من اكثـر الأساطير التي شاعت في تراث العالم القديم فهي تنفرد بقدر فكرتها التي تؤكـد انـ الإنسان مخلوق من دم الآلهـة المذبـحة (مـكـما) وهي آلهـة العمل ، وستجـد صـدـاـها فيـ اـسـاطـيـرـ بـاـبـلـيـةـ عـاـمـلـةـ . وـتـعـرـفـ هـذـهـ اـسـطـوـرـةـ فـيـ مـجـالـ الـدـرـاسـاتـ المـسـمـاريـةـ (KAR<sub>4</sub> - Mythos) وـهـذـهـ مـقـاطـعـ مـنـهـاـ :

((جلست الآلهـةـ آـنـوـ،ـ إـنـلـيلـ،ـ آـوـتوـ،ـ وـإـنـكـيـ

الـآـلـهـةـ الـعـظـيمـةـ وـالـأـنـوـنـاـ .ـ الـآـلـهـةـ الـعـظـيمـةـ عـلـىـ الـكـرـسـيـ الـعـالـيـ

ذـيـ الرـهـبةـ الـمـخـيـفـةـ،ـ وـاخـذـوـاـ يـتـحـدـثـوـنـ مـعـ بـعـضـهـمـ :

بعدـأنـ وـضـعـتـ الـآـلـهـةـ قـوـاعـدـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ

بعدـأنـ نـظـمـتـ الـجـدـاـوـلـ وـالـقـنـوـاتـ .ـ وـثـبـتـ شـوـاطـيـءـ دـجـلـةـ وـالـفـرـاتـ

عـنـدـمـاـ قـالـ إـلـهـ إـنـلـيلـ لـهـمـ :ـ مـاـذـاـ تـرـيـدـوـنـ آـنـ نـعـمـلـ آـنـ ؟ـ

مـاـذـاـ تـرـيـدـوـنـ آـنـ تـخـلـقـ آـنـ إـيـهـاـ آـنـوـنـاـ ،ـ الـآـلـهـةـ الـعـظـيمـةـ ؟ـ

مـاـذـاـ تـرـيـدـوـنـ آـنـ نـعـمـلـ آـنـ ؟ـ مـاـذـاـ تـرـيـدـوـنـ آـنـ تـخـلـقـ آـنـ ؟ـ

الـآـلـهـةـ الـعـظـيمـةـ التـيـ كـانـتـ مـوـجـودـةـ ،ـ وـالـآـلـهـةـ الـأـنـوـنـاـ ،ـ التـيـ تـقـرـرـ المـصـيرـ

قد أجابوا سوية على سؤال الآلهة إنليل .

في أوزموا - من منطقة دورانكي -

نريد ان نذبح آلهة - لمكا -

حتى تسبب دماؤها في ظهور البشرية

وحتى واجبات عمل الآلهة تصبح واجباتها

وعليها (أي البشرية) أن تعمل إلى الأبد على تثبيت قنوات الحدود

وأن تصنع في يدها المعول وسلة العمل ،

(رشيد ١٩٨١ : ١٩).

ويعتقد أن لهذه الأسطورة جذوراً أكدياً ، ولكن السومريين الجدد بعد أكدهم الذين  
تداولوها .

#### ٥. الأنثريوغونيا اللوغوسية (اسطورة الاسم)

كانت (الكلمة) مصدر خلق عند السومريين وكان اطلاق الكلمة الخلق بمثابة الخلق  
نفسه ، ومن أبرز صفات الكلمة إطلاق الإسم على الأشياء ، وكان ذلك يعني أن إطلاق  
الاسم على الشيء أو تسميته يعني خلقاً له وظهوراً له . وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم  
الأرض ، وخلق الإنسان بعد أن تعين اسمه ، وتم تقسيم العمل بالكلمة الآمرة الناطقة  
ولنقرأ هذا المقطع من قصة گلگامش وانكيدو والعالم الأسفل السومرية :

«بعد أن تم إبعاد السماء عن الأرض

بعد أن فصلت الأرض عن السماء

بعد أن حمل (آن) السماء

بعد أن حمل (إنليل) الأرض ،

(تيريني : ٢٣٦).

إن الأسم والكلمة هنا خالقتان وتعبران عن خلق الإنسان وهو ما ستجد صداه في

**الأساطير العبرية والتراث التوراتي** (وقال الله ليكِنْ نور فكان نور) **والتراث الإنجيلي** (في البدء كان الكلمة وكان عند الله، وكان الكلمة الله).

إن كلمة إنجيل، وكلمة إنكي اللتان تعبران عن نفسيهما بالمنيّ وهو مادة الخلق تؤشران بعد المادي الجنسي وراء مفهوم فكري لاهوتى كبير هو اللوغوس، ويبدو أن الإنسان في المعتقدات السومرية خلق عن طريق تعين اسمه بالكلمة من قبل أحد الإلهين (إنليل) وإنكي). «أما صيغة المجهول التي يتم بها هذا العمل فهي ذات أهمية خاصة في اللاهوت القديم الذي يعتبر الإله فيه مدبراً للموجودات، وليس متجرداً مطلقاً الحرية. وهذه الصفة هي التي وصلت إلى الأغريق تحت لفظة (تايوس) وهكذا يكون الآلهة انفسهم قد وجدوا بتميز واحدهم عن الآخر بحدودهم ووظائفهم وتقيز ملائكتهم، كما وجد الإنسان تعين اسم له، أي بتسميته»، (الخواراني ١٩٧٨: ١٣٣).

القسم الثاني  
**أساطير تنظيم الكون**  
**MYTHS OF ORGANIZATION**

كان الإلهان (إنليل) وإنكي) معنيان على حد سواء بتنظيم الكون والعالم، فلكل منهما أساطيره الخاصة بهذا الأمر ولذلك وجدنا ان من الضروري، بعد ان ظهرت الآلهة وتواترت التعريف بالوظائف التي خلفت من اجلها والأساطير التي صاحبت هذه الوظائف والتنظيمات التي قامت بها.

ووجدنا أن من الضروري تقسيمها إلى قسمين: هما الأساطير المرتبطة بالإله إنليل، والأساطير المرتبطة بالإله إنكي .

### **أ-أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله إنليل**

تضمن هذه الأساطير تنظيم ما ارتبط بإنليل من أمور العمل (الفاس)، والفضول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نقر حيث مكان إبيه إنليل .

#### **١. اسطورة الفاس**

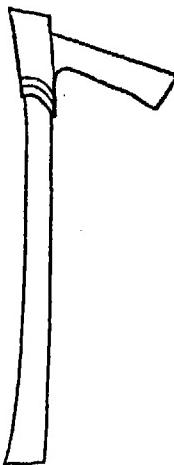
وهي قصيدة طولها ١٠٨ سطراً ، وتبداً بقصيدة هامة تصلح أن تكون ضمن أساطير خلق الكون وتنظيمه ثم تبدأ بذكر الفاس وكيف أن إنليل أعطى هذا الفاس للإنسان هدية لكي يعمل به ثم يذكر مواصفات الفاس :

«هو الذي جاء بالفاس إلى الوجود وخلق اليوم

هو الذي خلق العمل وقدر المصير  
 إن فأسه من الذهب ورأسها من جحر اللازورد  
 فأس بيته .. من الفضة والذهب  
 فأسه التي .. هي من حجر اللازورد ،  
 (كرير ١٩٧١ : ٨١).

ثم يخصص النص ذكره للناس من ذوي الرؤوس السود (أي السومريين) وكيف ان  
 إنليل خصمهم بالفأس ووضع الفأس هدية في أرضهم ، وبعد ذلك تنتهي القصيدة بذكر  
 فوائد الفأس :

«الفأس والسلة تبني المدن .  
 الدار الثابتة الأركان بيتها الفأس .  
 الدار الثابتة الأركان انشأتها الفأس .  
 الدار الثابتة الأركان هي التي سببت الإزدهار  
 الدار التي ثارت ضد الملك  
 الدار التي لا تستسلم لملكها  
 الفأس يجعلها تستسلم للملك  
 للرديء .. النبات تحطم الرأس  
 تجثث الجنود ، تسقط على التاج  
 الفأس تطعن .. النبات  
 الفأس قرر مصير ما الأب (إنليل)  
 المجد للفأس »  
 (كرير : ١٩٧١ : ٨٤).



شكل (٦٨)

الفاس ومز العمل ومز إنليل

رسم : علي محمد آل تاجر

## ٢. رحلة القمر إلى نفر

يمكنا أن نعد هذه الأسطورة واحدة من ثلاث أساطير معروفة لحد الآن نستطيع أن نطلق عليها اسم أساطير رحلات الآلهة إلى المدن ، فقد رحل إليها نانا (القمر) ابن إنليل ، وإنكى اخ إنليل تبركاً ، وهناك رحلة إنانا لمدينة أريدو لسرقة نواميس الحضارة .  
لقد كانت مدينة (نفر) هي المدينة المقدسة لبلاد سومر كلها وذلك لأن الإله القومي للسومريين وهو (إنليل) كان فيها ، وله معبد كبير في وسطها هو معبد إل (إيكور) وهو من أهم المعابد آنذاك .

تبدأ هذه الأسطورة بقرار الإله القمر (نانا) بالذهاب إلى (نفر) والتحول أمام أبيه إنليل ويسمي النص (نانا) بإسمين آخرين هما (سين) و(آشيكغر بابر) أي الإله الحارس لمدينة أور .  
وبعد القرار تبدأ الرحلة حيث يحمل الإله القمر عربكه الهلالي الشكل أصناف الأشجار والنباتات والحيوانات ويقف خلال هذه الرحلة في خمس مدن هي (أم - ٩) و(لارسكا) و(ارك) وفي مدینتين آخرين لم يتضح ذكر اسميهما ، وفي كل مدينة يمر بها (نانا) يقوم الإله الحارس لتلك المدينة باستقباله والترحاب به حتى يصل إلى (نفر) وفي نفر

يرسي إله القمر مرکبه ويقول لباب إنليل أن يفتح بيت إنليل .

«الباب ، بعنتهى السرور ، فتح الباب

الجني الحارس الذي خلق الاشجار ، فتح الباب بكل سرور

ويلتقي الإله نانا مع أبيه ويرحان ، ثم يطلب نانا من أبيه مجموعة من الأمور فيقوم  
الإله إنليل بتقديها .

«في النهر أعطاه فيضاً من الماء

في الحقل أعطاه المزيد من القمح

في الأهوار أعطاه العشب والقصب

في الغابة أعطاه ..

في السهل أعطاه ..

في بستان النخيل وفي مزرعة العنب أعطاه العسل والشراب

في القصر أعطاه عمراً مديدةً ،

(كرير ١٩٧١ : ٧٧)

بعدها يعود إنانا إلى مدينة (أور) حاملاً كل هذه العطايا .. ويتعزز مركز أور بعد  
هذه الزيارة .

### ٣. إيميش واينتين ( الصيف والشتاء )

تعتبر هذه الأسطورة أسطورة تنظيم للفصول ، إلا أنها في الوقت نفسه أسطورة  
صراع بين أخوين تذكر بالصراع بين قايبيل وهابيل في العهد القديم .. والاختلاف الوحيد  
بينهما أنها تنتهي بالصالحة لا بالقتل .

ويسمى إيميش الذي هو الصيف براعي الآلهة ، أما اينتين (الشتاء) فيسمى ب فلاح  
الآلهة . فهي اذ تعبر عن فصلين لكنها تخفي الصراع بين الفلاح والرعى . وتنتهي بأن  
يفضل إنليل الشتاء والفلاح على الصيف والرعى .

وتعتبر هذه الاسطورة / القصيدة نوعاً من أدب المناظرات (أدمندوكا) الذي كان شائعاً في الأدب السومري. وتتألف من أكثر من (٣٠٠) سطر وتبعد الأسطورة بقرار إنليل خلق ورعاية الأشجار والقمح لينشر الرخاء على الأرض كلها، ولكنكي يعمل ذلك يخلق «الآلهين الآخرين إيميش (الصيف) وإنتين (الشتاء) ويحدد لكل منها واجباته :

هو الذي سبب وفرة البقر والمعجول ، وهو الذي زاد  
في نتاج السمن واللبن

وفي السهل ، هو الذي أدخل المرح إلى قلب المعزى الوحشية  
والخراف والحمار

طيور السماء ، هو الذي مكثها من بناء أعشاشها في الأرض الواسعة»

(كرمبر ١٩٧١ : ٧٨)

ويقرر وظيفة إيميش كما يلي :

«إيميش خلق الأشجار والحقول وهو الذي أكثر من الإسطبلات  
وزرائب الغنم

في المزارع ، هو الذي انتفع الوفرة  
الغلة الرفيرة هو الذي ملأ بها البيوت  
هو الذي وضع في الأهرام أكوااماً عالية ، ،

(كرمبر ١٩٧١ : ٧٩).

ويحدث الصراع بين الآخرين ، ويدعّي (إيتين) انه فلاح الآلهة فيتحداه (إيميش)  
فيقرران الذهاب إلى (نفر) والمثالوث أمّام (إنليل) ليفصل بينهما فيذهبان ويعرضان  
أمرهما .. فيقول (إنليل) :

«إن المياه التي تخلق الحياة في جميع البلاد ، قد أوكل أمرها إلى (إيتين)  
ويوصنه فلاح الآلهة ، فقد أنتزع كل شيء»

إيميش . . يابني تقارن نفسك بأخيك إيتين  
إن كلمات (إنليل) السامية العميقة في معناها  
والقرار المتخد غير قابل للنقض ، من ذا الذي يجرأ على نقضه؟

رمح (إيميش) امام (إيتين)

والى بيته جاء بالنبيذ والعنب والتمر

إيميش قدم لأخيه إيتين الذهب والفضة وحجر اللازورد  
وفي نسوة الأخوة والصداقة ، سكبا الخمرة بكل سرور ،  
تمجيداً وتكريماً للآلهة

وعقداً العزم على العيش سوية بحكمة

وبنتيجه هذا المخاصم

برهن إيتين فلاح الآلهة المخلص ، على أنه أعظم من إيميش  
سبحان الأب (إنليل) »

(كرير ١٩٧١ : ٨٠).

إن هذه الاسطورة تؤكد أن فصل الشتاء في وادي الرفدين ، رغم قسوة برودته ،  
كان ينبع وفرة هائلة من النباتات والحيوانات ، وإن الإله إنليل أمر أرجحية هذا الفصل  
على الصيف بسبب حكمته العميقة .

#### ٤. لاهار وأشنان (النوعجة والغلة)

تشبه هذه الاسطورة سابقتها فهي اسطورة مفاخرة أو مناظرة ، ولكن أهميتها تكمن  
في مقدمتها التي تعطي فكرة عن خلق الانسان عندما خلق مثل الحيوانات يمشي ويأكل  
ويشرب مثلها ولا يلبس لباساً مثلها .

تصف الأساطيره أولاً كيف خلق (lahar وAshnan) على التل المقدس للآلهة في  
(الدلوكو) ويدو أن خلقهما تمّ من قبل إنكي ، لكن إنليل هو الذي قرر مصيرهما ..

«من أجل (أشنان) أسس داراً  
 الفدان والحراث قدماه له  
 (لامار) يقف في زريته  
 هو الراعي الذي يكثّر العطاء في هذه الزرية  
 (أشنان) تقف ما بين الغلة  
 إنها للدراء ومعطاء»

(كرير ١٩٧١ : ٨٤).

ويبدو أن عطاء هذين الآلهين يزداد ويتضاعف وكانا يجلبوا الخير العميم لمجمع الآلهة . ولكنهما كانا يحتسيان المزيد من النبيل ويختصمان في الحقول والمزارع ويفخر كلّاً منهما على الآخر يدّمان بعضهما . وأخيراً يتدخل (إنليل ) وإنكي لفض التزاع بينهما ويعلنأن آن الآلهة (أشنان) إلهة الحبوب والزراعة هي التي تتفوق على الإلهة النعجة (لامار) . وفي هذه الاسطورة ما يدل على أسبقية الحبوب والغلة على النعجة التي تعناش عليها ..

وتعتبر هذه الاسطورة من ادب المناظرات (الأدمندوكا) أيضاً ، لكن أهميتها تكمن في اشارتها إلى أن الإنسان كان في تلك الازمان القديمة حيواناً يشبه الخراف .. وهي بذلك تعطي فكرة عن خلقه القديم .

### **بـ. أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله إنكي**

ربما نجد في طيات القصائد والمداائح الكثير مما يشير الى وظائف إنكي ومهاماته وتنظيمه للحياة على الأرض ، ولكننا سنقتصر الآن على تحليل اسطورتين هامتين تختص بتنظيم الحياة على الأرض لأنكي هما تنظيم سومر وترتيبه أريدو .

#### **١. تنظيم سومر**

هذه الاسطورة مكونة من جزء مهشم يبلغ حوالي ١٠٠ سطر لا نعرف عنه شيئاً سوى بعض السطور التي تصف قدرة إنكي الخصبية :

((عندما يقوم إنكي الموقر ، باجتياز الأرض المبذورة  
 تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة  
 عندما يزور (نوديورد) نعاجننا الحوامن  
 تلد عندئذ الحملان السمان  
 عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصبية ،  
 تلد (عندئذ) العجلو الممتلئة الجسم !  
 عندما يأتي لزيارة حقولنا وأريافنا  
 يجعل الحبّ يتجمع أكوااماً وأكداساً على  
 السهل المرتفع .  
 وحين تقترب منها ، ولو قليلاً  
 فإن الأماكن الأكثر جدبًا في البلاد  
 (تحول إلى مراعٍ مخصوصة) .

(الشواف ١٩٩٦ : ٧٣)

ثم تضي الأسطورة بوصف مكارم إنكي الذي يسمى هنا أحياناً (نوديورد) وهو  
 لقب يعني (الماهر الصنع والخلق) .. حتى تصل الأسطورة إلى سومر فيقرر إنكي مصيرها  
 على النحو التالي :

يا سومر ! أيها البلد العظيم ، يا اعظم بلد في العالم  
 لقد غمرتك الأضواء المستديمة ، والناس من مشرق الشمس  
 إلى مغاربها ، هم طوع شرائعك المقدسة  
 إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكتها  
 وقلبك عميق لا يمكن سبر أغواره  
 إن .. كالسماء لا يمكن بلوغها

الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمة  
 الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس  
 ربيك هو ربُّ معظم، مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء  
 الملك هو الجبل العظيم، هو الأب (إنليل)  
 وهو مثل . . أب البلدان جميعها  
 الأنواعي، الآلهة العظام  
 في وسطك اتخذوا محل سكناهم  
 في بستانك الكبير، يأكلون طعامهم  
 إيه يا دار سومر! عسى ان تكثر اسطباتك ! عسى ان تكثر بقارك  
 عسى ان تزداد زرائبك ! عسى أن تكثر أغناهامك بحيث لا يمكن أن تعد ولا تحصى».  
 (كريير ١٩٧١: ١٠١).  
 وتبدو لنا هذه الأسطورة . . اسطورة غوذجية لتنظيم الكون، ففي بدايتها نظم إنكي  
 الحياة على الأرض كلها ثم على سومر ثم على اور التي هي بمثابة واحدة من اكبر مدن  
 سومر، ثم إن هناك اشارة توحيدية مع انها تشير الى التفريذ في نفس الوقت .  
 «ربك هو ربُّ عظيم» والمقصود به طبعاً هو إنليل رب سومر الاول لكن هذا رب  
 يجلس مع (آن) الذي هو رب العالم كله في المكان المقدس في السماء .  
 ولذلك نود أن نعيد القاء ضوء جديد على علاقة (آن) ب (إنليل) فالمسألة لا تتعلق  
 بسيطرة الإبن إنليل على سلطات آن وظهوره كرب قوي، بل يبدو من هذه الاشارة وغيرها  
 أن الإله (آن) أصبح يشير عند الكهنة ورجال الدين في سومر الى أنه ربُّ عالمي بدليل ان  
 علامته (دنسرك) أصبحت رمزاً لكل الله أو من يراد له أن يكون إليها وهكذا أبعد هذا الإله  
 الكوني من المهام العملية المباشرة التي تختص سومر وأصبح الإله (إنليل) هو الذي يقوم  
 بها وهو إله قومي سومري ، أي اننا امام حالة توحيد monotheism يمثلها (آن) وحالة تفريذ  
 Henotheism يمثلها (إنليل) .

المهم ان الاسطورة تغضي وتصف ما قرره إنكي من مصائر للعاصمة أور :  
«لقد جاء الى (اور)

إنكي ملك الماء الذي لا يسبر غوره ، وقدر مصيرها  
أيتها المدينة التي ازداد طعامها  
وغضلت بالوفير من المياه ووقفت كالثور الراسخ  
يا دار الرخاء المقدسة على وجه الأرض  
أيتها المتضرعة ، إنك خضراء كالجبل  
إنها الغابة (هاشور) الوارفة الظلال ، .. البطولية  
هو الذي قدر مصيرك على أحسن وجه ،

(كرير ١٩٧١ : ١٠٢)

وبعد الأرض كلها والدولة سومر والعاصمة أور، يقوم إنكي بتقرير مصير مجموعة كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء وهي كما يلي :

- ١ . ملوخا (الجبل الاسود التي يرجح أنها تقع على الساحل الشرقي من افريقيا) وبياركها كما سومر، وبيارك اشجارها وثيرانها وطيورها ومعادنها وبشرها .
- ٢ . دجلة والفرات يملأهما بعثرة القراق ويوكى للإله (أنبيلولو) العارف بشؤون الأنهر حماية هذين النهرتين ، ويملأهما بالأسماك حيث (ابن كيش) يحميها .
- ٣ . الخليج العربي : يقرر نظامه ويعين الإله (سيرار) لحمايةه
- ٤ . القلب الفضي لقلب السماء ويستدعي الإله إشكور لحمايته
- ٥ . المحراث والفدان والحقول والحضرار ويجعل الإله إنكي مدوسئولة عنها
- ٦ . الغلة والحبوب يجعل الإله أشنان (قوة كل شيء) مسؤولاً عنها
- ٧ . الفأس و قالب الآخر يعني الإله الأجر (كتبا) مسؤولاً عنها
- ٨ . أدوات البناء (كوكن) ويعين الإله (مشدما) بناء إنليل العظيم مسؤولاً عن رعايتها .

٩. نباتات وحيوانات السهول ويعين (سموكان) ملك الجبل مسؤولاً عن رعايتها .
١٠. الاسطبلات وزرائب الأغنام ويلاؤها باللين والعسل ويجعلها تحت رعاية الإله (دموزي) .

ويبدو أن القصيدة لم تنته بعد بفقيتها مهمشة ولكنها تشير إلى التنظيم الدقيق لكل مظاهر الحياة من قبل إنكي ، ولا يمكننا مطلقاً اعتبار هذه الأسطورة أسطورة ثوغونية لأنها لا تتضمن ولادة آلهة بل تقرير مصير ورعاية الأرض والمدن والأماكن ومظاهر الحياة . وهي كما قلنا قصيدة نموذجية لهذا النمط من الأساطير .

## ٢. ترتيلة أرييدو ( رحلة إنكي من أرييدو إلى نفر )

هذه الأسطورة / الترتيلة تمنحنا إشارةً جديدة مضادة لحقيقة معروفة وهي أن (نفر) سبقت (أرييدو) في الوجود ، بينما ثابت من خلال ثبت الملوك السومريين أن أرييدو هي أول مدينة هبطت فيها الملوكية وهي أول المدن السومرية الخمس قبل الطوفان .

كما أن الآثار العلمية أثبتت أن أرييدو هي أول مدينة مستوطنة في جنوب العراق (السهل الرسوبي) .. ولأن أرييدو هي موطن الإله إنكي ونفر هي موطن الإله إنليل ، فإننا نعتقد أن هذه الأسطورة تشير إلى صراع ديني كهنوتي حاول أن يعطي نفر أهمية واسبةية على أرييدو وفي هذا ما يشير إلى شكل من اشكال الانقلاب الذكوري ومركزيته ، لأن إنكي لم يكن يمثل طرفاً ذكورياً صارماً ، بل كان إنليل يمثل ذلك تماماً بينما إنكي يشير إلى ما تبقى من الإلهة الأم لأنه ابنها وزوجها ووريثها .

تبدأ الأسطورة بمدح الإله إنكي وكيف أنه بنى بيته من الفضة وحجر اللازورد في مدنه (أرييدو) وحلّه بالذهب .

وتحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله سومر إنليل الموجود في نفر ولذلك يهيء قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الأبسو مقره :

« حينما ينهض (إنكي) ، الأسماك ... تنهض  
وتقف المياه التي لا يسير غورها بعجب واستغراب  
المسرة تدخل إلى البحر »

الرعب يتسرّب إلى الأعماق  
الذعر، يسود النهر العظيم الشأن  
ريح الجنوب ، تحمل أمواج نهر الفرات»

(كريير ١٩٧١: ١٠٦).

ويشيرنا كثيراً وصف بيت الغور (إي - أنغورا) معبد إنكي حيث يظهر البيت مبنياً من  
الفضة والازورد وقد رقشة بكل الزخارف وكان التور ينبعث منه وهو في الماء .. وكان  
مكسوباً بالذهب وأسواره عالية ويبدو انه قد بني على ساحل أريدو :

«لا يقوى أحدٌ على متراصك  
فقلبك أسدٌ مرعب  
عواميد سقفك ثور من السماء ! تزيأ بشكل وقاد  
ستائرك من اللازورد ، حلية للعواميد ،  
. . ثور متواحش ، رافع قرينه ،  
مدخلتك أسد يعرض الناس ، ،  
كساء بابك اسدٌ مسلطٌ على الناس»

(فالكتشتلين ١٩٥١ : ١٨٧).

وحين يصل الإله إنكي إلى مدينة نفر يجد حفلاً فخماً قد أقامه له الإله إنليل ودعا  
اليه الآلهة (آن، ننتو، آلهة الأنونا) بمناسبة إكمال بيت الإله إنكي .. ويتقدم الشراب  
ويسكر الآلهة. بعدها يتكلم الإله إنليل بهذه المناسبة ويبدو من كلامه انه أب للإله إنكي  
حيث يقول (إن ولدي الملك إنكي قد بني له بيتنا) وهذا أمر طبيعي اذ لا بد أن يتحول إنليل  
إلى أب لأنكي حتى تتم له السيادة المطلقة وحتى تكون نفر أصلاً لأريدو وهو ما فعله كهنة  
نفر :

«عندما جعلوا من البيت  
عندها غمره انليل بالفرح

عندما تكلم انليل إلى آلهة آتونا  
 ايتها الآلهة العظمى ، الذين حضرتم هنا ،  
 يا آلهة آتونا ، الذين ذهبتם إلى قناء مجلس الشورى  
 إن ولدي الملك إنكى قد بني له بيتاً ،  
 شيد أريدو ورفعها كالجبل الذي يرتفع من الأرض  
 لقد بني البيت في مكان جميل  
 في أريدو ، المكان ، الذي لم يدخله أحد ،  
 شيد بيتاً من الفضة وطعمه باللازورد  
 البيت الذي يجذب جميع المعوذين الكهنة ،  
 قد اعطاهم علم الرقى والتعاويذ ،  
 وبالترتيبية المقدسة يحافظ البيت دائمًا على سلامه الأرض ،  
 وبحكمة إنكى وفصله الحسن بين الأجال ،  
 فقد شيد المعبد فوق أبسو لقوى الآلهة الكاملة .  
 وإذا هو قد بني لأريدو البيت من الفضة ،  
 فاحمد للأب إنكى ،

(فالكنشتاين ١٩٥١ : ١٨٩ - ١٩٠).

وتظهر تسمية الإله (نيراه) وهو (الإله الشعبان) الذي تظهر دائمًا على الاختام  
 الاسطوانية في طرف الصورة وخلف الإله إنكى أو خلف زوجته .

ويرى البروفسور فالكنشتاين أن هذه الترتيلية تنقسم إلى عدة أقسام حسب  
 موضوعاتها : فالقسم الأول يتناول وصف بناء المعبد على يد الإله إنكى ثم ان المعبد  
 واجزاءه تتكلم معلنة عن الأعمال الخارقة لربها الإله ، ويتبين من ذلك ان التمايل  
 والأشكال النذرية التي كانت تقدم إلى الإله إنكى وتوضع في المعبد كانت تصلي إلى الآلهة  
 وتجدها ، فهي في تسبيح مستمر .

أما القسم الثاني فيكون من خطاب المديح الذي قام به الخازن أسيمو والشبيهة بمديح يانوس السومري، فإنه يختص بالمعبد ووصفه أيضاً. وقد جاء العثور على الأسدتين في اريدو اللذين كانا يحرسان مدخل المعبد مؤيداً لما جاء في هذه الأسطورة، ويتحقق هذا القسم بوصف ضواحي المعبد وحواليه ويتناول الحديث وصف أحراش القصب المجاورة له والأثمان الكثيرة المقللة بهاأشجار جنته.

القسم الأخير من الأسطورة يصف الرحلة المائية للإله إنكي إلى مدينة نفر (ويذكرنا برحمة إله القمر نانا إلى نفر لتنقي تبريات وتقديس والده إنليل ويتحقق هذا القسم بالوليمة الإلهية ومدائح إنكي (أنظر فالكتستайн ١٩٥١ : ١٩٠ - ١٩١).

### القسم الثالث

## أساطير تدمير الكون

## MYTHS OF DESTRUCTION

اذا كانت الاساطير السابقة معنية بتنظيم الكون، وكان يقود هذا التنظيم تحديداً الإلهين إنليل وإنكي . فإن هذه الاساطير معنية بتدمير الكون والأرض والإنسان والحياة .

ويأتي تدمير الكون أو الأرض إما من العالم الأعلى بقرار اساسي من الإلهين إنليل وآن .. ويكون ذلك من خلال الطوفان ، فتنزلُ من السماء الامطار وينفتح قفل السماء فتفيضُ الأرض ويحصل الطوفان ، لكن انكي المحب للحياة ينقذ الانسان والحياة من الطوفان عندما يُسر إلى زيوسدرا ببناء سفينة وإنقاذ الجنس البشري .

اما النوع الثاني من التدمير فيأتي من العالم الأسفل حيث تنطلقُ بين فترة وأخرى مسوخٌ وكائنات سفلية مدمرة تحاول القضاء على المدن وتدميرها أو ايقاف الحياة او حتى خطف الآلهة .. مما يخلُّ بتوازن الحياة لكن الآلهة الاقوى يتصدرون لكل تنانين العالم الأسفل ويدمرونها وستتناول هذين النوعين من أساطير تدمير الكون :

### ١. الطوفان

#### (اسطورة الدمار القادمة من العالم الأعلى).

أسطورة الطوفان السومرية هي واحدة من أهم الأساطير القديمة على الإطلاق لأنها كانت الأساس الذي بنيت عليه أساطير الطوفان البابلية والقديمة بأسرها .. اذ يندر ان تكون هناك أمة قديمة ليس في تاريخها الروحي طوفان شامل وكبير .

وقد وصلنا من مدينة (نفر) رقم واحد نشر لأول مرة من قبل الباحث بوبل (انظر Poebel 1914). ولم يكن بحالة سليمة، حيث كانت الأسطر السبع والثلاثون الأولى مهشمة يأتي بعدها ما يشير إلى أن أحد الآلهة (ربما إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار ثم يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الآلهين آن وانليل وتنحرساج ثم فجوة ثم نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة. ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة أو قائمة الملوك والمدن السومرية قبل الطوفان، ولكن الجديد فيها هو تولي كل إله أو إلهة لمسؤولية مدينة وكما يلي :

١. مدينة أريدو - الإله إنكي (نوديود)

٢. مدينة بادتيرا - الإلهة نوككugig ومعنى اسمها الحالية من الأمراض

٣. مدينة لرك - الإلهة بابلساك Pabilsag ويقرأ أيضاً Hendursag وهو أحد الآلهة  
العالم الأسفل

٤. مدينة سبار - الإله أوتو الـ الشمس

٥. مدينة شروباك - الإلهة سود وهي الإلهة تنليل زوجة إنليل

وبعد هذه القائمة يكون الطوفان قد تقرر لاجتياح سومر والأرض كلها حيث تقرأ ما يشير إلى أن الإلهتين (نتو) وإنانا) تبكيان على مصير الناس القادم، لكن الإله إنكي رغم أنه أقسم لأن وانليل في مجلس الآلهة بعدم إفشاء قرار الطوفان، يقرر الاتصال بالملك زيوسدرارa Ziusudra ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة) :

«فسمع زيوسدرارا وهو يقف بجانبه

كان يقف وإلى مسارة الجدار

يا جدار ! اريد أن أكلمك ، فاستمع إلى كلماتي

وأصغِ إلى وصايائي !

سوف تكتسح الأعاصير كل المستوطنات في العواصم

إن هلاك ذرية الإنسان . . .

إن القرار الأخير، كلمة المجلس . . .  
الكلمة التي نطق بها آنوا وانليل وننخرساك  
إن اسقاط الملكية . . الآن »

(علي ، ١٩٧٥ : ١٢١).

والمعروف أن إسم زيوسدرًا يأتي بعد آخر ملك حكم قبل الطوفان وهو (أوبار - Tutu) ، كما أنه يذكر على أنه ابن أوبار توت وتطلق عليه نسخة أخرى من ثبت الملوك على أنه (ابن شروبياك) الذي حكم فترة ٣٦٠٠٠ سنة.

ويبدو أن الإله إنكي ينصح زيوسدرًا بصناعة سفينة تنقذه مع أهله .

ثم يأتي الطوفان ويُدمر كل شيء

«وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير والعواصف

وبيعد أن أكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليالٍ

وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية

(وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذ) فتح زيوسدرًا كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيوسدرًا أمام إله الشمس

ونحر الملك (زيوسدرًا) أعداداً كبيرة من الشiran والأغنام

(علي ، ١٩٧٥ : ١٢١).

وبعد فجوة كبيرة في النص تنتهي الأسطورة بتقديم الصوات إلى الإلهين آنوا وانليل  
ويرکع زيوسدرًا أمامهما:

«ورکع زيوسدرًا أمام آنوا وانليل

اللذين وهباه حياةً أبديةً مثل الآلهة  
 واللذين رفعاه إلى الحياة الأزلية مثل الآلهة  
 في ذلك الوقت أسكن (الآلهة) الملك زيوسدراء  
 الذي أنقذ بذرء الإنسان وقت الدمار  
 في بلد على البحر، في الشرق، في دلوون»

(على ١٩٧٥ : ١٢٢).

ونريد أن نتوقف قليلاً عند اسطورة الطوفان عموماً واسطورة الطوفان السومرية بشكل خاص. فأسطورة الطوفان تثير الكثير من الموضوعات المتربطة أهمها فكرة العود الأبدي ودورة الساروس والاسكتاتولوجيا الكونية (الموت الكوني وما بعده) وإذا كانت هذه الأفكار الحديثة التي تتحفظ بجذور يونانية، في الغالب، قد سادت في الفكر الحديث وفي علم الأساطير (المثولوجيا) بشكل خاص، فإننا نود أن نلمح إلى أن جذورها الحقيقة تكمن في الشرق القديم ولعل بذرتها الأولى تكمن في سومر أيضاً.

إن العود الأبدي الذي يشكل موت دموي ويعتبر أبرز أشكاله السومرية يتمثل أيضاً في اسطورة الطوفان باعتبار ان الطوفان هو موت العالم القديم المتسع الخاطئ وعودته بعد الطوفان جديداً نظيفاً معافى ولا تخرج فكرة العود الأبدي عن فكرة الطوفانات المتكررة أو الحرائق التي تنتاب العالم إلى الأبد .

أما دورة الساروس (Saros) اليونانية فمشتقة من الفكرة والكلمة البابلية (Shar, sar) التي تعني الدائرة ذات الأصل السومري الذي هو (Sar) والتي ترسم بأربع علامات مسمارية تشكل دائرة مغلقة ورقم هذه الدورة هو ٣٦٠٠، وتعني كلمة السار على المستوى الفلكي السومري والبابلي دوراً يبدأ فيه العالم من جديد حيث ينتهي قبله عالم قديم أما بالطوفان او بالحريق .

وقد وضع اليونان أكبر دورة كونية وأسموها الساروس الكبري وتقدر بـ ٣٦٠٠٠ سنة وتكتب بالسومرية والبابلية وهي دائرة في وسطها الرقم (١٠) وقد يدل هذا في واحد من معانيه على العاصفة وقد يدل على أن الدائرة بلغت ذروتها عندما

توسطها زحل الذي هو كوكب نورتا وهو أبعد الكواكب المنظورة حينذاك.

إن دورة الساروس الكبري عند اليونان باسمها السومري (سار أو) ودورة النيراس التي تقدر بـ (٦٠٠) سنة تسمى بالسومرية (كيش أو) أما دورة الساوس التي تقدر بـ (٦٠) سنة فتسمى (كيش).

إن بداية الساروس تبدأ مع العصر الذهبي أو الفردوس (دلون عند السومريين) إن نهايته تنتهي بالفيضان الشامل الذي يكافأ بطله بالذهب إلى دلون ثانية ليعود الساروس من جديد.

أما الاسكاتولوجيا الكونية (نهاية أو موت الكون وما بعده) فهي الأخرى كمقدمة دينية أو مثولوجية تجذب تطبيقها الحقيقي في الطوفان باعتباره نهاية وبداية العالم في نفس الوقت «فإلى جانب أساطير الطوفان، هناك أساطير أخرى تحكي عن دمار البشرية بواسطة كوارث على مستويات كونية: هزات أرضية، حرائق، دك الجبال .. الخ ، إن نهاية العالم على هذا التحول ليست بالنهاية الجندرية، بل هي نهاية للبشرية يعقبها ظهور بشريّة جديدة . لكن غمر الماء للأرض بصورة كلية أو حرقها بالنار كلية، يعقبه ظهور أرض عذراء ، إنما يرمي إلى الإنكفاء وإلى العماء وإلى ولادة كونية» (اليد ١٩٩١ : ٥٥).

إن الاسكاتولوجيا (التي هي علم الموت وما بعده) في هذه الحالة تتجسد على شكل كوني أو (كوزموغوني) ويكون لها مغزىًّا جديداً، حيث تبدو أيام الطوفان وكأنها لحظة موت العالم القديم البالي المعقاب أما ما بعده فهو خلقٌ جديدٌ وعالمٌ جديدٌ جاء بعد لحظة الموت تلك ، ويرى مرسيا إلى أن الطوفان يرتبط بخطاً طقسيًّا يشير غضب الكائن الأعلى . ويحدث أحياناً نتيجة لشهوة كائن الهي لوضع حد للبشرية ولربما كان السبب الرئيسي المختفي خلف ذلك هو خطايا الناس وشيخوهه العالم ووهن قواه أيضاً . وبذلك يفتح الطوفان الطريق إلى خلقٍ جديدٍ للعالم وولادةٍ جديدةٍ للبشرية .

إن الانحطاط التدريجي للكون يستوجب دماراً وإعادة خلق دورية . ومن هذا النوع من الأساطير ، التي تتحدث عن كارثة نهاية هي في نفس الوقت علامة على خلقٍ جديدٍ وشيكٍ للعالم ، خرجت ونمّت الحركات التنبؤية في أيامنا هذه . والالفية في المجتمعات البدائية (كل ألف سنة هناك دمار وخلقٍ جديدٍ) بل أنها تكاد تظهر حتى في العقائد السياسية الجديدة كالماركسية .

ولكنا نجد في العام الواحد في نظر القدماء صدىً لكارثة الطوفان أو الحريق مما الصيف والشتاء (أيميش وانتين) والتتابع بينهما بل وأعياد الزكمك الأول والثاني الريعي والخريفي عند السومريين «وحسينا أن نذكر بأن الرواقين قد أخذوا عن هيراقليط فكرة نهاية العالم بالحريق (اكبوروس)، وان أفلاطون (تيماؤس) كان يعرف أن النهاية سوف تكون بالطوفان . لهاتين الكارثتين إيقاع يتوافق نوعاً ما مع إيقاع السنة العظمى . بحسب نص مفقود لأرسطو (protrept)، الكارثتان قد حدثتا في اعتدالين : الحريق في الاعتدال الصيفي ، والطوفان في الاعتدال الشتوي» (اليداد ١٩٩١ : ٦٢).

## ٢. التنين

### (اسطورة الدمار القادر من العالم الأسفل)

الدمار الذي يأتي من العالم الأسفل لا يشبه ذلك الذي يأتي من العالم الأعلى لسبعين الأول هو أن دمار العالم الأعلى دمار شامل دوري يبدو وكأنه يخضع لإيقاع كوني هائل تقرره الآلهة، أما دمار العالم الأسفل فهو دمار جزئي لا إيقاع له ولا يأتي بصورة متتظمة تنفذه تنانين وعقاريات وشياطين كبرى تقع في العالم الأسفل .

أما السبب الثاني فهو الدمار الأعلى يتحول إلى نوع من نهاية عالم قديم بال وبداية عالم جديد نشيط، فهو لحظة موت وحياة في نفس الوقت، أما الدمار الأسفل فلا يشير إلى ذلك بل يدل على وهلة ارتباك أو فوضى في قوانين العالم ولحظة عدم توازن، وتخلل، وتزعج سرعان ما تعود بعدها الحياة إلى سابق عهدها وتواصل ماضيها .

إن انفجار العالم الأسفل بتثنين مفزة بين الحين والآخر يعطي انطباعاً على أن كائنات هذا العالم غير مستقرة كما أن أغلبها يشير إلى ذلك العالم الهيولي القديم الذي دفنته الذاكرة البشرية في أعماقها .. كائنات هيولى الماء الأول مثلاً .

ان هذه القوى القديمة المدفونة في عالم سفلي تحاول دائماً إرجاع الكون أو العالم إلى فوضاء الأولى ولذلك تظهر بأشكال شيطانية وهو لات جباره لا تتسمى إلى العالم البشري او الحيواني او الالهي المعروف ، فقد نراها على شكل كائنات ذات رؤوس متعددة او أجنبية عملاقة او طيور او افاعي او اسماك غير طبيعية تنبثق (كما ينبثق البركان) من باطن الأرض وتحدث تأثيرها المحدود في الحياة، لكننا نرى دائماً في النهاية كيف يتصدى لها بطل الهي او بشري ليقتلها ويعيد الحياة إلى ما كانت عليه .

لقد قدم التفسير النفسي (فرويد وتلامذته) تفسيرات مقنعة وتوازيات دقيقة بين قوى العالم الأسفل المدمرة وقوى اللاشعور الفردي ، وأوضحاوا أن هذه القوى الفردية هي (هو) أوـ (أنا السفلي) في النظام الاصطلاحي الفرويدي وهذه تمثل الرغبات المدفونة والمكتوبة والقوى التدميرية ويسميها فرويد قوى الموت . وإن البطل الذي يقهر هذه القوى يأتي غالباً من (الآنا العلنيا) أوـ العالم الأعلى ليعيد التوازن إلى الشخصية التي تزاحت بتأثير ما اندفع من داخلها .

ويقدم هندرسون (وهو أحد تلامذة يونغ) تفسيراً آخر لهذا البطل الذي يخالص الفرد من طفولته وتعلقه بإيمانه باعتبارها سبباً عميقاً لعالم الأسفل في مجده ضروري لبناء الشخصية وقوتها وتطورها (انظر الماجدی ١٩٩٥ : ٤٤٠)

وهناك مدارس نفسية أخرى وانثربولوجية واجتماعية تحاول اعطاء تفسيرات أخرى .

ولأنزيد أن نذكر كل كامش وقصصه مع خمبابا (هزاوا) وثور السماء لأن هذه القصص هي ملاحم سومرية وليس أسطورة . ولذلك ستقتصر على وصف أسطoirer التنين كور وأساج وصراعهما مع الآلهة العلوية .

أ. التنين كور وأساطيره مع الآلهة (اختطاف ارشكيكال والنكي، ننورتا، إنانا)

يرى صموئيل نوح كريير أنه بالرغم من أن كلمة كور تدل على الأرض ، والعالم الأسفل تحديداً . إلا أنها تعني في بحوث المعتقدات الكونية الفراغ الكائن ما بين قشرة الأرض والبحر الأول . ومن المحتمل أيضاً أن المخلوقات المتوجسة التي كانت تعيش في قعر العالم الأسفل أطلق عليها اسم (كور) ولكن صح ذلك فإن هذه المخلوقات تشبه إلى حد معين (تيامت) البابلية (انظر كريير ١٩٧٤ : ١٢٢).

وإذا كنا نختلف مع كريير في وصفه الفيزيائي لا (كور) وفي مشابهته بـ (تيامت) كما سبق لنا ونوهنا عن ذلك ، فإننا يمكن أن نتوصل من خلال أسطoirer الثلاثة إلى وصف معقول . فهو تين على شكل ثعبان كبير يعيش في قعر العالم الأسفل الذي كان متصلأً بيه البحر الأولى . . ويبدو أن هذا الثعبان الكبير كان يسيطر على مياه هذا البحر المالحة أو





وتتجوّل الأرض الغلة والحبوب وثمار التخييل والأعناب وتتكدّس في الأهراء والتلال . و بذلك يطّيّب الإله نورتا (كبد الآلهة) . وعندما تعلم ننماخ (التي تظهر في هذا النص كأم لنتورتا) تقلّق عليه وتتوسله أن تقوم بزيارته لتقر عيونها برؤيته فيخاطبها :

«أيتها السيدة ! حيث إنك ترغبين في القدوم إلى بلد أجنبي

باننماخ ! حيث إنك ترغبين من أجلي في القدوم إلى بلد معاد

وحيث أنك لا تأبهين بهول المعرك التي تحبط بي

لهذا فإنّ التل كومته ، أنا البطل»

(كريير ١٩٧١ : ١٢٨).

وتنتهي الأسطورة في قسمها الأخير بزيارة ننماخ إلى الجبل الذي صنعه نتورتا ليصدّ به مياه كور ، ويقوم نتورتا إكراماً لننماخ بتسمية هذا الجبل بـ(خرساج) ويعينها ملكة عليه ويبارك نتورتا هذا الجبل كي ينتأ أنواع الأعشاب والنبيذ والعسل والأشجار والذهب والفضة والبرونز والماشية والأغنام ... ثم يلتفت إلى الحصى ويلغّن كل من كان مع (كور) ويمتدح كل من كان معه في تلك المعركة الفاصلة بينه وبين كور .

كور وإننا

سنوجّل الحديث عن هذه الأسطورة ضمن القسم المنفصل الخاص بـ(أساطير إنانا)

بـ. التنين أساج وننورتا

هناك أوجه شبه كثيرة جداً بين هذه الأسطورة وأسطورة كور وننورتا ، بل أن أساج (أساك) هذا يبدو لنا مساعدأً لـ(كور) وهو الذي يقوم هذه المرة نيابة عن كور بمقاتلة ننورتا ويحصل ذات الشيء الذي حصل مع كور حيث يحث سلاح ننورتا (شارو) الإله ننورتا على مقاللة (أساج) الذي يبدو وكأنه سلاح كور ومساعدته الآتين ، فيهزم ننورتا أو لا ثم يتصرّر عليه ، ثم تفيض مياه كور من مكانها ويقيم ننورتا الجبل الحجري كسد بين هذه المياه وبين سومر لكننا نلحظ هنا عدم ظهور الإله ننماخ لباركة هذا العمل وتختم الأسطورة بـباركة ننورتا لما فعله .

خلاصة القول أن قوى الدمار القادمة من العالم الأسفل تمثلها أيضاً قوة واحدة هي

(كور) الذي يندفع مثل ثعبان مائي نتن من العالم الأسفل ليحاول تدمير الحياة وتعطيلها وخطف آلهتها .. ويبدو أن الآلهة نورتا والآلهة إنانا هما أكثر من يستطيع القضاء على كور ومساعده اساج .

وبذلك تتضح صورة الدمار العليا (الطفوان) والسفلى (كور) ويقوم إنكي بمساعدة الإنسان زيوسدرابانقاذ الأرض في الأولى ، ويقوم نورتا وإنانا ، بانقاذ الأرض في الثانية . ورغم أن الطوفان شامل وساروسي ويمثل وجهًا من أوجه العود البدني لأن (كور) لا يbedo كذلك ، بل انه يمثل اندفاعات محتقنه لعالم مهمل ودوني سرعان ما تكضمه الآلهة وتوقفه .

إن ما يلفت الانتباه إلى أن الاسكتاتولوجيا السومرية ووسائل الدمار اقتصرت فقط على الماء (الماء الأعلى الذي هو المطر المؤدي للطفوان وهو ماءً سماوي الهي ، والماء الأسفل الذي هو ماءً نتن هيلولي ) .. ولم يجد في المثولوجيا السومرية ما يشير إلى نار أو أمراض أو إبادة بطرق أخرى .. وبأيي هذا منسجمًا مع البيئة السومرية وما كانت تشكله من خير وشر عن طريق المياه .





وهناك اسطورة مدونة باللغتين السومرية والأكادية اسمها (السيدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة) تقول أن الإله آن رفع إنانا، على ضوء طلب الآلهة العظام، إلى مرتبة أقربيته (أنتوم) المعادلة لرتبته هو وجعل منها نجمة السماء (الزهرة) وزودها بإشارات الألوهية المناسبة لذلك.

ثم متى خطا الإله إنليل السيادة على الأرض، وبيدو أن الإلهة (إنانا) تختلف مع الإله الشمس والإله القمر ضد آن لكنها تخلت عن ذلك ووقفت في نهاية الأسطورة مع آن وهي تحلم بسيادة السماء (انظر أدزارد ١٩٨٧: ٥٩).

### إنانا وإنليل

لم ترتبط الإلهة إنانا بالإله إنليل باسطورة، بل ارتبطت معه بشجرة النسب فهو بجدتها لأنها ابنة الإله القمر (إنانا) الذي هو ابن الإله (إنليل) وهذا لا يمنع من وجود اساطير خاصة بهما لم يعثر عليها حتى الآن.

### إنانا وإنكي

لعل أشهر اسطورة تربط الإلهة إنانا بالإله إنكي هي اسطورة التواميس المقدسة (مي) والتي يشير مضمونها إلى انتقال السلطة والملوكية من (أريدو) إلى (الوركاء) ويرى الباحثون أن «هذه الأسطورة الشيقة والقصبة الممتعة ، تدور حول (إنانا) ملكة السماء، وإنكي سيد الحكمة ، وتتسم بأهمية كبيرة بالنسبة للدراسة تاريخ التطور الحضاري ، وذلك لأنها تضمنت قائمة ورد فيها ما يزيد على مائة مرسوم مقدس لتنظيم جميع المنجزات الثقافية التي وضعها الكتاب والمفكرون السومريون ، وهذه القائمة ، على ما تضمنته من تحليل سطحي ، قلل أو كثرا ، فإنها تولف السرى واللحمة في نسيخ الحضارة السومرية» (كرمير ١٩٧١: ١٠٧).

وتشخيص الأسطورة في أن إنانا كانت تزيد المزيد من الرخاء لمدينتها (أوروك) ولذلك ذهبـت إلى مدينة (أريدو) وهي الوطن القديم للحضارة السومرية ومدينة الإله السومري (إنكي) فتحصل إلى الأنس موطن إنكي فيها ، حيث يراها إنكي هناك ويقف متدهولاً بجمالها ويستذمـي رسـولـه (اسمود) ويأمرـهـ بأن يقدم لها كعـكـ الشـعـيرـ معـ الزـيدـ والمـاءـ الـبارـدـ وـخـمـرـةـ التـمـرـ فـيـقـعـلـ ذـلـكـ اـسـمـودـ ، وـيـجـلـسـ الإـلـهـانـ معـ بـعـضـهـماـ وـيـسـكـرـانـ ،

وتحدث إننا الله إنكي أن كان يستطيع تسليمها نواميس (الكهنوتية العليا ، والألوهية ،  
والنافر ، الملكية ، عرش الملكية) فسلمها هذه النواميس ثم زاد عليها بقية النواميس

«رفع إنكي كأسه وتقارع مع إننا النخب مرة ثانية :

أصلحة عن نفسي .. ونيابة عن مزاري المقدس

سامنح ابتي إننا

الحقيقة !

الهبوط إلى العالم الأسفل ! الصعود من العالم الأسفل !

فن عمل الخب ! تقبيل القضيب !

إننا أجبت :

أتسللها !

رفع إنكي كأسه وتقارع مع إننا النخب للمرة الثالثة

أصلحة عن نفسي ! ونيابة عن مزاري المقدس

سامنح ابتي إننا

كهانة السماء المقدسة !

إقامة المناحات ! إنشاش القلب !

إصدار الأحكام ! إصدار القرارات

إننا أجبت :أتسللها !

(أربع عشرة مرة رفع إنكي كأسه لإننا

أربع عشرة مرة منح ابنته خمسة me ، ستة me ، سبعة me أربع عشرة مرة تسللت  
إننا Me المقدسة ، ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٣٠)

بعدها أخذت النواميس التي بلغ عددها في النص (٨٠ ناماًوساً) ووضعت في زورق  
السماء وبدأت بالرحيل على ساحل أريادو إلى أوروك بينما كان إنكي يتزوج في سكره ،





ولعل العيد الأول كان يمثل الاحتفالات الكوميدية أما العيد الثاني فقد كان يمثل الاحتفالات التراجيدية، ولا نستبعد أن يكون مصدر الكوميديا والتراجيديا عند اليونان قد أخذ من هذه الاحتفالات التي استبدلت شخصية دموزي بشخصية الآله (ديونزيوس) أو (باخوس).

وقد حاولنا أن نقدم في هذه المقالة المثلوجية تصنيفًا معقولًا لأساطير وقصائد إنانا ودموزي فاتبعنا المنهج السابق أي تقسيمها إلى نوعين : الأول كوميدي مفرح يعالج أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي ، والثاني تراجيدي بكائي يعالج الأساطير والقصائد بينهما بعد أن حكم على دموزي بالموت . ووجدنا (حسب تصنيفنا) هذا) أن كل قسم له سبع عنوانات أساسية تدرج تحتها القصائد والأساطير .

### القسم الأول

#### أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي

##### ١) المخافسة بين دموزي وانكمدو إنانا

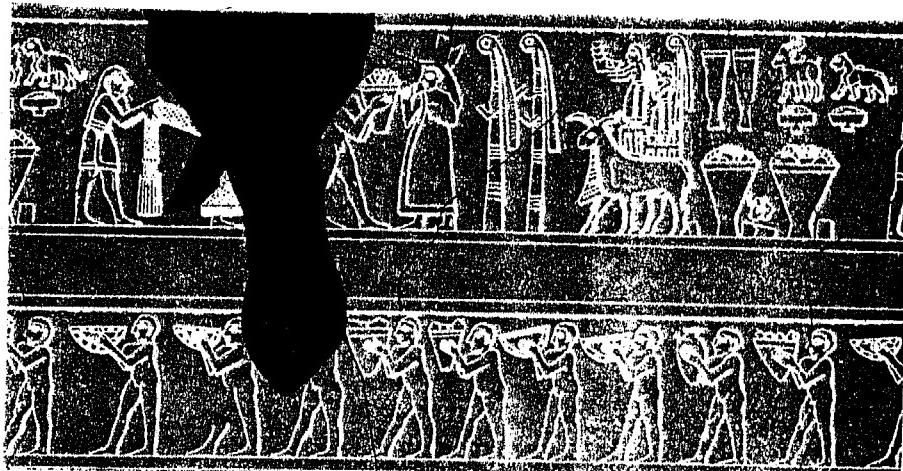
تعد هذه القصيدة الأسطورة واحدة من أكثر القصائد شهرة ، وهي من الناحية الأدبية يمكن أن تصنف كنوع من المليال (الحوار مع الموسيقى) أو الادمندوكا (المناظرات) وتبداً بمخاطبة الآله أوتو إله الشمس السومري لاخته إنانا حول الكتان الذي بذره في الأرض وكيف أنه سيجلبه لها من الشمرة فتجبيه إنانا (أخي) ، بعد ان تجلب لي الكتان ، من سيحلجها لي؟) فيجيئها أوتو بأنه سيجلب الكتان لها محلوجاً .. وهكذا تستمر الحوارية على نفس النسق بعد الحلچ يأتي الغزل ثم الجدل ، ثم السداء ، ثم النسج ، ثم القصر حتى تقول إنانا لأخيها (أخي) وبعد أن تجلب ملاءة العرش من سينام معى؟ (فيقول لها بأن عريسها الذي هو دموزي الراعي هو الذي سينام معها لكنها تقول ترفض ذلك وتقول بأن انكمدو الفلاح هو رجل قلبها وأنه سيقوم لها اكdas الحبوب . فينصحها أوتو بالزواج من الراعي بسبب قشلته الشهية وحلبيه ولبنه لكن إنانا ترفضه بسبب ملابسه الرثه وصوفه الخشن وتفضل عليه الفلاح الذي يزرع الكتان للباسها ويزود مائدتها بالشعير ، وهنا يتفضل دموزي ليقول :

«لماذا تتحديث عن الفلاح؟

لماذا تتحديث عنه؟

إذا أعطيك صوفاً أسود ،  
 إذا أعطيك طحيناً أبيض ،  
 سأعطيك صوفاً أبيض  
 إذا أعطيك جعة  
 سأعطيك حلبياً صراحاً  
 إذا أعطيك خبزاً  
 سأعطيك جبناً حلواً  
 أنا الذي سأعطي الفلاح بقایا قشدتي  
 أنا الذي سأعطي الفلاح بقایا حلبي  
 لماذا تتحاشين عن الفلاح ؟  
 ماذا لديه أكثر مني ؟ ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٥٠).



شكل (٧٠)  
 تقديم الهدايا إلى إثانا من قبل دموزي وأتباعه





#### ٤. إنانا تلتمنس موافقة أبيها القمر

تخبرنا هذه القصيدة أن إنانا تشعر بال الحاجة لكي تلتمنس موافقة أبيها الإله إنانا (إله القمر) قبل أن تقنع نفسها إلى عاشقها دموزي . . . وتببدأ القصيدة بذكر تفاصيل عن زينة إنانا المختلف أنحاء جسدها بمختلف أنواع الحجارة الكزيرية والمجوهرات والخلي واللآلئ فصدر لها مزيين بحجر اللازورد ، وارادتها ورأسها مزيينة بالقرن البيضوي ، وصفائر شعرها مزيينة بحجر الداورو وأذانها مزيينة باقراط برونزية ، وجهها وأنفها وعجيزة لها بأنواع الخلي ، سرتها مزيينة بالبستر اللمع ، وفرجها مزيينة بالصفصاف ، وأقدمها مزيينة بخفين . وبعد أن تزين إنانا بزيتها هذه وتخرج ترى دموزي واقفاً لها بباب حجر اللازورد (باب جبار) لكنها ترسل رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تزيد الزواج من دموزي :

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي»

سوف آخذ إلى هناك أمّا وشوم كالآن ،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضمّعه اليّد باليّد - يُعشّن المزاد

ضمّه القلب إلى القلب - لذته بالغة الحلاوة»

(كريز ١٩٨٦: ١١٢).

#### ٥. إنانا تلتمنس موافقة أمها نشكال

في هذه القصيدة تلتمنس إنانا موافقة ونصح أمها حيث يأتي دموزي إلى بيت إنانا وهو يحمل هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها، فتبدى إنانا ترددًا في قبول مجده لكن أمها تحثها على الإذن له بالدخول:

«هو ذا الفتى ، هو أبوك

هو ذا الفتى ، هو أمك

أمه تدللك كما تدللك أمك

ابوه يدللك كما يدللك أبرك ،

افتتحي البيت ، اي مليكتي ، افتحي البيت»

(كريمو : ١١٢ : ١٩٨٦).

وتقوم الإلهة إنانا بالاستعداد والتحضير لاستقبال دموزي . . .

«استحمرت ومسحت جسدها بزينة الطيب . . .

غطت جسدها بالرداء الملكي الأبيض

أحضرت بانتها

نسقت خرز قلادتها الفيروزية حول عنقها

حملت ختمها بيدها

دموزي كان يتظرها بصبر فارغ

إنانا فتحت له الباب . . .

من داخل المنزل كانت تشع أمامه

مثل ضوء القمر

دموزي تطلع إليها والبهجة تغمر قلبه . . .

ثم أطبق عنقه على عنقها

وقبلها ، ،

(الشوك : ١٩٩٢ : ٥٣).

## ٦. اللقاء السري بين إنانا ودموزي

كانت إنانا توصف دائمًا بالفتاة اللطيبة ، وهي رغم استشارتها لأمهما وأبيها بشأن دموزي ، إلا أنها كانت تخيلي بحبيها سرًا لوحدهما على ضوء القمر . ففي قصيدة رائعة من قصائد الحب تبدأ إنانا بالحديث عن نفسها كملكة وكالهة لكونكب الزهرة ثم تروي كيف أنها قضي الوقت طوال النهار في الرقص والغناء حتى يأتي الليل فيلتقي بها دموزي .





**أ) الكهنة يهيئون الفراش المخصص للعروسين في معبد إنانا:**

في معبد إنانا (أي - أنا) أي بيت السماء يقوم الكهنة (لابسو الكتّان) باعداد الهيكل وغسله بالماء ثم يخبرون دموزي الذي كان قد قدم إلى المعبد بأن إنانا قد جاءت ويحقّونه على التقدّم نحو عرشهما. فيتقدّم دموزي نحوها وتُعدّه إنانا بأنها ستتحقق الرفاه للبلاد وللناس وسيسود العدل، فيقوم دموزي بالطلب من إنانا أن توزع الشراب والطعام:



شكل (٧٣)

كاهنان بدور دموزي وإنانا ، نفر، الألف الثاني ق.م

«صدرك يا إينين هو حقل

أي إنانا ، صدرك هو حقل :

حقلٌ متسعٌ يتبع الزروع

حقلٌ فسيحٌ يسكب الحبوب !

إنشري من أجل الملك

الشراب بوفرة ، إنشري من أجل الملك ،

فيضًا من الأطعمة

الشراب بوفرة ، من أجل الملك والأطعمة انشري

فيضًا من الأطعمة

تقبلي أن أحصل عليها من قبلك ،

(الشوف ١٩٩٦: ١٢٢).

ب) الله النار يظهر الفراش المخصب للعروسين في معبد إنانا:

في معبد إنانا أيضًا يقوم الله النار (جيبل) بتطهير الفراش المخصب للإلهين ، وي يكن  
أن يكون هذا طقساً سحرياً ثم يزيمه بحجر اللازورد ويقيم لهما مذبحاً في بيته المليء  
بالقصب لتأدية الشعائر ، ثم يتسمى من إنانا الذي تبارك الملك دموزي في ليلة الحب وتنحه  
الصوبحان والمحجن ، ثم يظهر تحرق الملك لاشتهاه اللقاء واعداده العطاء لفراش الزواج  
وأمانيه بأن تجعله إنانا حلوًّا يهيج القلب ، ثم يعرفنا النص بالإلهة نتشوبر وزيرة إنانا التي  
تقوم بقيادة الملك إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما  
جاورها ، وأن يزيد زواجهما خصوبة التربية والأرحام والوفرة للجميع :



شكل (٧٤)

كاهنان بدور دموزي وإنانا

سوسة : الألف الثاني ق.م





وما أأن يلتقيان حتى يتضاجعان ويتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو المني ، فتبدأ الحبوب بالنمو ويطلع الزرع في السهوب والمروج أما إنانا فيملا قلبها السرور وتطلب منه ان يقدم لها اللبن الدسم والطازج من يده ، وأن يدفق من أجلها لبن الماء وينيلا مخضتها المقدسة وتعده بأن تحافظ على مستودعه وحظيرته وتسهر على بيت الحياة حيث تقرر مصائر الناس والكائنات الحية .

#### د. متنه سعادة إنانا هو النوم بقرب دموزي

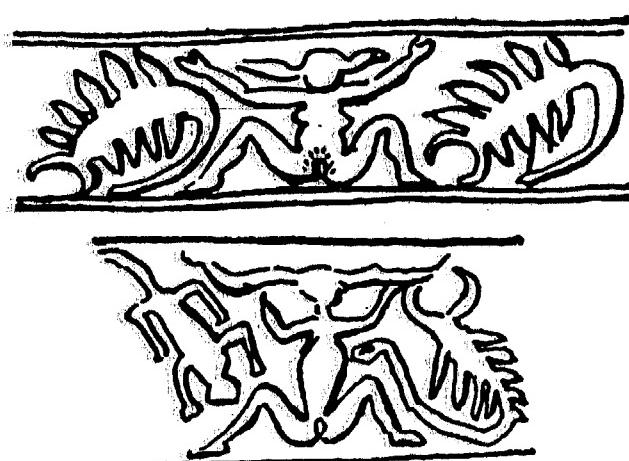
في بلبال صغير هناك حديث لمرافقات إنانا للإشادة بدموزي صهر الإله القمر وننكال حيث تكيل مدح له باعتباره قائد سفينة (ماجر) وسائل العرفة والأب والقاضي والذي يزود أمها بكل الخيرات فتجيب إنانا .

«قدومك يبعث الحياة»

قدومك إلى البيت يحمل الكثرة

النوم بقربك ، متنه سعادتي ،

(الشوفاف: ١٩٩٦: ١٢٦).



شكل (٧٦)

إنانا إلهة الجنس ، ختم اسطواني من أور

## هـ. موسيقى مخضبة الحليب

يدور هذا النشيد المكون من أربعة مقاطع حول موسيقى مخضبة الحليب وكيف ان هذه الموسيقى تجعل إنانا تهيج وتفرح ، وفي المقطع الثالث يغوي دموزي حبيته الدخول إلى الحظيرة التي ستتهلل أمامها وعندما تقترب من المغالف فالتعجات سيسشن صوفها في حضنها ، وبعدها ستتضيّح القشدة واللبن وتكون الحظيرة خصبة ليتمكن دموزي من تدريب حياته وأيام الكثرة .

أي للنعم العذب ، مثل صوت نقرة  
يا للصلوى العذب ، مثل صوت عجل  
أي إنانا ، أنت التي تطوفين في الحظيرة  
ما أن تصلي إليها ايتها الصبية  
حتى تسمع المخضبة نعمها .. أي إنانا !  
مخضبة حبيبك سوف تسمع نعمها !  
مخضبة دموزي سوف تسمع نعمها  
المخضبة سوف تسمع نعمها .. أي إنانا !  
مخضبة دموزي سوف تسمع نعمها ،

.الشواب (١٢٧: ١٩٩٦).



شكل (٧٧)

كاهنان بدور دموزي وإنانا ، في حلقوس الزواج المقدس





يا حبيب امه، أنت لي !

أنت ذو اليدين الناعمتين والرجلين الجميلتي الشكل !

إغمرنني بحنوك إلى الأبد !

أنت الذي يحيوية وإقدام، سحرت لي

سرّتي (يا حبيب امه، أنت لي)

أي .. ذو حلقات الشعر الجميلة : الخس

الذي ينمو قرب الماء ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٣١).

ح. آه .. كم هو مرتفع صدرى

هذه قصيدة حوارية طويلة بين أناانا ودموزي واظهر مرافقات أناانا قريها وتبدأ  
القصيدة بالحوار بين العاشقين وسؤال دموزي لها عن مافعلته في دارها فتجيبه بانها  
استخدمت وتزينت بكل ما لديها من ادوات زينة، أما هو فيجلب لها الهدايا وخصوصاً  
الارغفة التي يرتديها حول صورتها ثم تأمر أناانا تابعاتها ان يجعلن القشدة والجعة له . أما  
دموزي فيجلب لها الجداء الجميلة والنعاج ، وبعدها تتحقق إناثاً شوقاً للقاء دموزي  
وتخبره بما حصل بها :

«آه ، كم هو متتفتح صدرى

وأية فروة كست فرحي

لتكن سعيدات ، أنا التحق بحضن حبيبي

سيد الكرم والجود

إرقضن ، ارقضن جميـعـكـن

قـسـمـاـبـ (باـرـ) لـتـكـنـ مـبـتهـجـاتـ منـ أـجـلـ فـرـجـيـ

إرقضـنـ ، إرقـضـنـ جـمـيـعـكـنـ

سوف تكون خاتمة هذا اللقاء جيدة

بل ممتازة من أجله

أحضرن، إحضرن، إحضرن الفشلة كثيفة

والجعة مثلما ، ،

(ال Shawaf ١٩٩ : ١٣٤) .



شكل (٧٩)

رجل وامرأة في مشهد الزواج الالهي المقدس فوق جنح  
شجرة والى جانبهما الحية، طبعة ختم مسطح من الألف الرابع ق.م.  
تبة كاورا - العراق

ط. يتجه نحو ي تحت حرّ الظهيرة

هذه قصيدة غزل قصيرة توضح كيف أن دموزي أدخل إنسانا إلى حديقته وجعلها  
ترکن معه على زهراء مرتفعة وكيف أنه وضعها تحت شجرة تفاح، وبيدو أنه تركها في  
الحديقة فقامت هي بانتاج خضيار وحبّ له وعندما جاء سكبتها أمامه





بد ان نعثر عليها ذات يوم . ونرى إننا تعرف بأنها سبب له هذا المصير القاسي القادم .

،، أنا التي بدون شك سبب لك هذا المصير القاسي يا أخي ياذا الوجه الجميل !

لقد وضعتك يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شعرني

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين :

ولهذا السبب ، أصبحت هدفاً لمصير في منتهي القساوة !

هذا ما سيكون يا (فلتهم) النساء ، يا أخي

ياذا الوجه الجميل !

كم كان إغراوك عذباً ، يا حامل أزهاري

يا حامل أزهاري ، ،

(الشواف ١٩٩٦ : ١٤١)

إذن نحن أمام سبب جديد هو ما فعله دموزي مع إننا من أفعال الحب فهل كانت غير راضية؟ لا تعتقد لأنها تقول (كم كان إغراوك عذباً) .. إذاً ما هو السبب؟ ما زلت نرى أن في أصل دموزي يكمن السبب ..

فهل كان دموزي بشرًا أو ملكاً ومنح الألوهية .. وكان لا بد بسبب أصله البشري أن يواجه الموت كما يواجه البشر ، ولكنه بسبب من الوهبية أيضًا واجه موتاً دائرياً ، يخرج ويدخل إلى العالم الأسفل إلى الأبد كل نصف سنة .

أم أن دموزي من الآلهة الثانوية (ربما الأيجيسي) أو آلهة العمل بحكم كونه راعياً ولذلك كان من المستحيل عليه الزواج بالآلهة عظيمة مثل إنانا .. وعنده حصل هذا وأحبت النجمة الراعي وكان لا بد أن تبيّن له مصيرًا فاسياً ، وفي هذا أيضًا ما يدفعنا للقول بأن دموزي هو الإله الوحيد من نسل انكي الذي تزوج الآلة من نسل انليل فكان لا بد أن يموت .

أم نبتعد أكثر فنقول أن مستوى حب الآلهة كان روحياً ورفيعاً، فعندما هبط به دموزي إلى الأرض ومرغه بالجنس المكشوف وال الحاجة الملحة للطعام والشراب، أصبح دموزي هدفاً للموت.

كل هذه الأسئلة وغيرها تثيرها هذه القصيدة وغيرها، لكننا قد نجد مفتاحاً للأسئلة عندما نقرأ مصير دموزي والنصف الثاني من حياته.

## القسم الثاني

### أساطير ومراثي دموزي

لا شك أن أسطورة نزول إنانا للعالم الأسفل هي الحادثة التي تفصل بين القسمين الأول والثاني من هذه الأساطير، وستتناول هذه الأسطورة لاحقاً حيث تنتهي بخروج إنانا من العالم الأسفل ومعها جنود ذلك العالم (الكالا) الذين يرافقوا إنانا كي تأتي بديل عنها ليعودوا به إلى العالم الأسفل وحين تمر عدتها التي تركتها قبل ان تنزل واحدة بعد أخرى ترى أن الجميع كان حزيناً عليها لكنها حين تصعد إلى أوروك فإنها تجد دموزي فرحاً ومن هنا تبدأ المأساة.

#### ١. إنانا تختار دموزي بدلاً عنها

في أوروك وقرب شجرة التفاح الكبيرة كان دموزي، زوج إنانا، مرتدياً ملابسه الزاهية من الـ(مي) وكان يجلس على عرشه العظيم، فعندما رأته إنانا هكذا نظرت إليه بعين الموت وأطلقت ضده صرخة الغضب ونطقـت بحقه القرار بال مجرم (خذلوه! اخذلوه دموزي معكم).

«الغالـا الذين لا يـعرفون ما هو الطعام، ولا يـعرفون ما هو الشراب  
الـذين لا يـتناولون تـقـدـمـات، ولا يـشـرـبـون مـهـرـافـاً،  
الـذين لا يـتـقـبـلـون هـداـيـا، أـمـسـكـوـبـاـ بـدـمـوزـي  
أـجـبـرـوـهـ عـلـىـ الـوقـوفـ، أـجـبـرـوـهـ عـلـىـ الـقـعـودـ  
وـضـرـبـوـاـ زـوـجـ إنـانـاـ

جرحوه بالفأس

دموزي انتحب عاليًّا

رفع يديه إلى السماء إلى أتو إله العدل وتصفع اليه»

(الشوك ٩٩٢ : ٩١).

## ٢. فرار دموزي الأول

يطلب دموزي من الاله أتو أن يحول ذراعيه إلى ذراعي أفعى وكذلك قدميه حتى لا يمسك به العفاريت فيستجيب له أتو :

«أتو الرحيم تقبل دموع دموزي

أحال ذراعي دموزي إلى ذراعي أفعى

أحال قدمي دموزي إلى قدمي أفعى

فهرب دموزي من عفاريته

ولم يعد بقدورهم الأمساكية»

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٢)

ويبدو أن دموزي رحل إلى بيت بلدته حيث بيت اخته گشتن أنا ولكنه قبل ان يصل البيت حلم حلماً

## ٣. حلم دموزي

كان دموزي قبل الوصول إلى بيت اخته حزيناً وقد رثى نفسه وهو في طريقه إليها

«أيتها البرية ، لإعولي من أجلي

أيتها السرطانات في النهر ، تتعجعي عليّ

أيتها الصفادع في النهر ، نقّي من أجلي

يا أمي ، سرتور ، إيكى من أجلي

إن لم تجد أرغفة القربان الخامسة

إن لم تجد أرغفة القربان العشرة

إن لم تعلم يوم موتي

أنت، أيتها البرية، خبريها، خبري أمري

في البرية، ستدرك أمري الدموع من أجلي

في البرية، ستحزن شقيقتي الصغيرة عليّ،

(الشوك ١٩٩٢: ٩٢).

ومن شدة تعبه وبكائه استلقى بين الاعشاب وحلم حلماً مفزعاً وحين وصل إلى  
بيت اخته روى لها الحلم:

«أسلٌ يسطأ فيما حولي، أسلٌ ينمو بزيارة حولي

قصبةٌ فريدة نامية اهتزت أمامي

من قصبة ثانية المثبت، اختفت واحدة أول الأمر، ثم الأخرى.

في أجمة أشجار، تعالى رعب الاشجار من حولي

ماءٌ هرق فوق موقدِي المقدس

قعر مخصوصي انفصل عنها

كأس شرابي هوت من مشجبها

عصابي اختفت

نسرٌ خطف حملاً في الحظيرة

بازٌ انقضَّ على عصفور حط على السياج القصبي

شقيقتي، عنراتك تجر جر ذقونها الفيزروزية على التراب

خرافك تخط على الأرض بحوافر معوجة

المخصوصة مهملة هناك : لا حليب يُصب

الكأس ملقة مهمشة : دموزي لا وجود له

حظيرة الغنم تصفر فيها الرياح ،

(الشوك ١٩٩٢ : ٩٤).

هذه الصورة البديعة لحلم دموزي تنبئ عن مصير شديد القساوة فعلاً فقد فُزعت أخته وفسرت له الحلم فقرةً فقرةً وكانت كل فقرة تقول بموت دموزي واخته ..

#### ٤. العثور على دموزي

تقوم گشنن أنا مع دموزي وصديقه بالصعود إلى التل والنظر إلى الطريق وإذا بهم يرون أن الكالا الكبار قادمون ويحملون خشبة لقيد الرقبة فتقول اخته له اذهب وأختبئ، ويختبئ دموزي بين النباتات الصغيرة والأشجار الكبيرة وفي قنوات أرالي . وتعده اخته وصديقه بأن لا يكشفا مكانه ويرى الكالا بأن دموزي لا يختبئ في بيت اخته أو صديقه أو صهره، فيذهبون لأنته ويغروها لتفشي سر مكان دموزي (قربوا السماء نحوها .. قربوا الأرض نحوها، گشنن أنا لم تحر جواباً مزقاً ملابسها .. سكبوا قطراناً في رحمها، گشنن أنا لم تحر جواباً) ثم ذهبوا لصديقه وأغروه بالحجب كهدية فقال دموزي اختباً في العشب لكنني لا أعرف المكان ثم بحثوا بين النباتات الصغيرة ثم الأشجار الكبيرة ثم قال صديقه (دموزي اختباً في قنوات أرالي) وهكذا وشي الصديق بصديقه فقبضوا على دموزي الذي صرخ قائلاً (شقيقتي أنتقت حياتي .. صديقي سبب موتي).

وهكذا أحاط بدموزي الكالا وقيّدوا يديه ورقبته وضربيوه، لكنه رفع يديه إلى السماء وطلب من أتو إله العدل أن يغير يديه إلى يدي غزال وقدميه إلى قدمي غزال ليدعه يهرب إلى كويرش حيث العجوز بليلي فيفعل.

#### ٥. فرار دموزي الثاني والثالث والقبض عليه

ويفر دموزي بقدمي ويدبي غزال إلى مدينة (كويرش) حيث بليلي العجوز ليلتجيء إليها وتصب له الماء ليشرب والطحين ليأكل ثم تغادر المنزل، وإذا بجموع الكالا يدخلون المنزل حين خرجت ولكن دموزي يهرب مرة ثالثة إلى حظيرة اخته فيلحقونه.

«عندما شاهدت گشنن أنا دموزي في الحظيرة ، بكت

قربت فمها من السماء

قربت فمها من الأرض

حزنها غطى الأفق كرداء»

و خمسة عينيها و فمها و فخذيها و كان الكالا يتسلقون سياج القصب فوجدوا  
دموزي ، و تقدم الأول و ضربه على خده بسمار حاد ، والثاني على خده الآخر بعصا  
الراعي ، والثالث هشم قعر المخضبة ، والرابع أسقط كوب الشراب من مشجبها ، والخامس  
حطم المخضبة ، والسادس حطم الكأس أما السابع فصباح :

«أفق دموزي !

زوج إنانا ابن سرتور ، شقيق كشن آنا

أفق من نومك الزائف

نعا JACK صودرت ! حملاتك صودرت

عنزاتك صودرت ! جديانك صودرت

إخلع تاجك المقدس من رأسك

إخلع رداء الـ (مي) من جسلك

دع صولجانك المقدس يسقط على الأرض

إخلع نعليك المقدسين من قدميك

عرياناً ، تمضي معنا ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١٠٦).

وهكذا قبضوا عليه ، وتركوا الحظيرة تعزف فيها الرياح وذهبوا به إلى العالم الأسفل  
بدليلاً عن إنانا .

#### ٦. مراثي إنانا وتسليم دموزي إلى يدي الأبدية

حين اختفى دموزي حلّت الفاجعة في مدينة أوروك ، وعلى غير ما توقعـت إنانا  
بأنها ستكون فرحة بأن يذهب بدليلاً عنها إلى العالم الأسفل ساد الحزن كلّ شيء واقيمـت

المناحة في المدينة، وبكت انانا بكاءً مرأ على زوجها ومتزها ومديتها:

### «أسائل التلال والوهاد : أين زوجي

أقول لها : لن يكون عقدوري بعد الآن أن آتي له بالعظام

لن يكون عقدوري بعد الآن أن أقدم له الشراب

أين آوى ينام في فراشه

الغداف يقيم في حظيرته

تسألونني عن مزماره؟

لا بد أن الريح تعزف به الآن له

تسألونني عن أغنياته العذبة؟

لا بد أن الريح تغنىها له»

(الشوك ١٩٩٢ : ١٠٨).

وتفعل سرتور ذات الشيء وتبكي ابنها بمرارة وتذهب إلى مكانه المهجور وكذلك تفعل اخته كشنانا، وحين تشاهدتها انانا تقول لها (ان متز شقيقك لم يعد له وجود وأنا لا اعرف مكان دموزي) فظهور الذبابة وتحوم فرق رأس انانا وتقول لها (إذا اخبرتك اين هو دموزي ماذا ستقدمين لي) فترد انانا (إذا أخبرتني سأجعلك تترددين على حانات البيرة والحانات حيث تسمعين أحاديث الحكماء وأغاني المغنين) فتقول الذبابة انه هناك على مشارف البرية فتذهب إنانا وكشنانا إلى دموزي ويجدونه يبكي ، حينها تسألك انانا بيد دموزي وتقول :

«ستمضي في العالم الأسفل

نصف السنة

وشقيقتك ، حسب ارادتها ،

ستمضي النصف الآخر

وفي اليوم الذي تستدعى أنت ،

في ذلك اليوم سوف يأخذونك  
في اليوم الذي تستدعى كشن أنا  
في ذلك اليوم سيطلق سراحك  
إنانا أسلمت دموزي إلى يدي الأبدية ،

(الشوك ١٩٩٢ : ١١٢)

وعند هذا الأمر يتقرر المصير الأخير لدموزي فهو إلى الأبد سيقى أسيراً بين العالم الأرضي والأسفل يدور بينهما

#### ٧. إنانا والعجوز بليلي (بليلو)

هذه اسطورة غريبة ورائعة في نفس الوقت، ولها أهمية خاصة في توضيح جذر فكرة (العشاء الأخير) المسيحية من خلال ما حدث لدموزي وإنانا وبليلي .

تبدأ الأسطورة بوصف حظيرة دموزي وكيف أنها أصبحت خربة وأن البكاء مستمر عليه فتسأذن إنانا أمها ننگال لتسمح لها بالذهاب إلى حظيرة أغنام زوجها لترى بنفسها ما حدث ، وتذهب إلى هناك وهي (العارفة جداً، الذكية جداً) وتجد أن أغنام دموزي قد تشتت في البوادي فتقوم بجمعها، ثم تصوغ مرثية لدموزي تدعوه فيها أن يُبعث وأن يقوم من رقاده :

«أنت يا من ترقد، أيها الراعي، أنت يا من ترقد، قم إرع شؤوني دموزي، أيها الرائد قم ارعها

نهاراً، متتصباً، فلتزع شؤوني  
ليلاً، مضطجعاً، فلتزع شؤوني» ،

(كرير ١٩٨٦ : ١٨٨).

ثم تصادف إنانا عائلة إلهية في تلك الأماكن مكونة من ثلاثة أفراد هم:

١. العجوز بليلي (بليلو) وهي قيمة، تعرف شغلها وسيدة هبات .

٢. جرجير: إنها و هو رجل متوحد سريع البديهة ولص ماشية وحجب .

٣. سرو : حفيدها وهو فتى لا أصدقاء له يضي وقته في مجادلة أبيه .

ويبدو أن موقف بليلي العجوز من دموزي وهربها من بيتها بعد أن جاء وقدمت له الماء والطحين ، بحيث كان هرويها سبباً في دخول الكالا والقبض على دموزي ، هذا الموقف هو السبب في جعل إنانا تقرر مصائر جديدة لهذه العائلة وهي :

١. قتلت العجوز وحولتها (وربما حولت جلدها) إلى قرية ماء بارد.

٢. جعلت إبناها إلى جانبها ليصبح (أودوج) القفر و(لاما) القفر.

٣. جعلت حفيدها يجوب أرجاء القفر ويسبك الماء ويرش الطحين ثم يقيم محلين للراحة وأن هذا كله سوف يجعل العجوز بليلي مسورة .

ويبدو أن ما قامت به إنانا يذكر بما قدمته بليلي لدموزي (الماء والطحين) فقد ارادت أن تبقى ذكرى لآخر ما تناوله دموزي وان تعمل ما يشبه الشواب أو ما يذكر به ، فقتللت العجوز وصنعت من جلدها قريةً وجعلت الماء يقدم في محل والطحين يقدم في محل آخر . وإن هذا كله سيكون بمثابة الخنزير الرياني الذي يقدم في تلك البرية استذكاراً (للعشاء الأخير) الذي تناوله دموزي .

ومن المؤكد أن كل حياة دموزي تذكر بقصة السيد المسيح وأن لنا ما سنقدمه في هذا المجال لتأكيد صلة الأديان بعضها .. وكيف أن الدين السومري رغم قدمه شحن الأديان اللاحقة بأساطيره وطقوسه الكثيرة حتى وإن كانت هذه الأديان موحدةً كالمسيحية .

## ٣. إنانا وملوك سومر

يعتبر طقس الزواج المقدس وأناشيده وأساطيره واحداً من أهم الطقوس الدينية والدينوية، فقد أصبح زواج إنانا ودموزي، مثار اهتمام ملوك سومر منذ القدم وتحديداً منذ الملك اينمركار الملك الثاني من ملوك اوروك . . . ويقينا ان الكثير من ملوك سومر (بل جميعهم) قد مارسوه وتركوا النصوص الاحتفال به لكتنا سنخن بالذكر ستة نصوص جاءت من أربعة ملوك هم شوبحي الملك الثاني لأور (٢٠٩٣ - ٢٠٤٦) ق.م والملك شوسين الملك الرابع لأور (٢٠٢٨ - ٢٠٦٣) ق.م ، والملك إيدين - داجان ملك مدينة إيسين (١٩٧٤ - ١٩٥٤) ق.م، والملك إيشمي داجان ملك مدينة إيسين (١٩٥٣ - ١٩٣٥) ق.م .

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن إنانا في هذه النصوص تمثلها الكاهنة العليا التي يتزوجها الملك مع بداية عيد رأس السنة.

ولا بد قبل ذكر نصوص الزواج المقدس الملكية التطرق لاسطوري إنانا وكلكامش باعتباره ملك اوروك قبل هؤلاء الملوك زمنياً.

### ١. إنانا وكلكامش

أ. اسطورة الثور السماوي : وهي من القصص السومري الخاص بكلكامش ولكنها ترتبط بالإلهة إنانا ، فقد أدهش كلكامش ببطولاته وقررت إغواهه وجعله حبيباً لها وعرضت ذلك عليه ، لكن كلكامش رفض عرضها هذا وذكرها بالذين أحبتهم : دموزي الذي نفته إلى العالم الأسفل وطائر الشقران المرقش الذي ضربته وكسرت جناحه ، والأسد الذي وضع له المصائد ، والحصان الذي سلطت عليه السوط ، والراعي الذي مسخته ذئباً . . . الخ . فشكك إنانا كلكامش إلى الإله آن وطلبت منه جراء هذه الإهانة أن يسلط على أوروك مدينة كلكامش الثور السماوي فرضخ مرغماً لها ، وهكذا نزل هذا الثور السماوي على مدينة كلكامش وكانت إنانا تراقب ما يفعله بها من على أسوار المدينة ودمّر الثور المدينة ، وبث في أهلها الرعب والهلع وقتل الناس وهدم البيوت وتداعت سقوفها على الشيوخ والأطفال .

وحين رأى كلكامش ما يفعله هذا الثور بمدينته قرر منازلته وتصدى له وصرعه في

وسط المدينة وتجمع الناس حول كلكامش ، أما إنانا فقد غاضبها ما حصل لثورها السماوي وانتصار كلكامش على ارادتها . ويسمى الثور السماوي بالسومرية (كروأنا) وفي الأكادية (اللو) .

بـ. أسطورة شجرة الخولبو : وتسمى شجرة الخلاف ويعتقد أنها شجرة الصفاصاف التي كانت لإنانا ترعاها على شط الفرات حتى هبت ذات يوم الريح الجنوبيه واقتلت عتها فحزنت إنانا وقدمت بها وغرستها في حدائقها المقدسة ورعتها راغبة ، إذا كبرت الشجرة ، صنع كرسيّ وسرير لها من خشبها . . وبعد وقت من الزمان كبرت الشجرة وارادت إنانا تنفيذ رغبتها فامسكت الفأس وحاولت قطعها لكنها فوجئت أن طائر الصاعقة (زو) قد بني عشه على أغصانها ووضع فراخه فيها ، وأن عذراء الأرض المقرفة الشيطانة (ليليث) التي كانت تهيمن في البراري ليلاً قد نخرت وسطها وسكنت فيه ، وأن الحية استقرت في قاعدتها . بكت ابنة السماء بكاءً مرّاً لما حصل لشجرتها وحين علم (أوتو) آخرها نصيحها بأن تندى كلكامش ليعالج الأمر .

وحين جاء كلكامش إلى شجرة الخولبو ورأى طائر الزو فوقها وليليث وسطها والحياة في قاعدتها شهر فأسه وضربها فماتت الحياة ، وذعرت ليليث وهربت ، أما طائر الزو ففر من أعلى الشجرة حاملاً صغاره إلى الجبال . وبعدها قام كلكامش بقطع الشجرة وحولها إلى أحشاب صنع منها كرسيّاً وسريراً لإنانا . . وفي مقابل ذلك صنعت إنانا لـ كلكامش طبلاً اسمه (بـكـو) ومن أغصان الشجرة صنعت مضرب الطبل اسمه (مـكـو) وأهدتهما إلى كلكامش ليستمتع بعزف الطبل ومضربيه .

وفي النص السومري ثم النص الأكدي لـ كلكامش يرد ذكر الطبل ومضربه حيث كان كلكامش يستعملها في حياته الخاصة ثم تذكر لنا أسطورة أو قصة كيف سقط الطبل ومضربه في العالم الأسفل وكيف حاول إنكيدو إعادة هما إلى كلكامش من هناك دون جدوى بل أن إنكيدو فقد حياته على الأرض بسبب ذلك (كما في القصة السومرية) .

هذه الأسطورة حررها كريير في كتابة عن الأساطير السومرية (انظر كريير ١٩٧١) .

## ٢. أنا وشوليجي :

تبدأ القصيدة بوصف شوليجي باعتباره (الراعي الأمين) وهي أوصاف دموزي ، وهو

يحمل نواميس الـ(أمي) في سفيته متوجهاً من اور إلى اوروپ و معه القرابين والهدايا ليلقى  
إنانا في معبدتها (بيت السماء)، و حين شاهده الإلهة بهذا المنظر المهيّب والمتألق وهي  
تححدث بكلام مليء بالشوق والرغبة:

«عندما ساستح من أجل الملك، من أجل الإله

وعندما من أجل الراعي دموزي، سوف أستح من

وبعد أن أزین رديّ

وعندما أدهن شفتی بالمرهم العنيري

وأضع الكحل حول عيني

وعندما استضغط يداه الساحرتان على قطني

وبعد أن يعمد الإله الراعي دموزي،

المضطجع بقربي، أنا إنانا المقدسة

بعد أن يعمد إلى دعك ثديي اللبناني والطلّي ،

(الشوف ١٩٩٦: ١٦٦).

وبعد أن تتابع ما سيحصل معها وما تبادله، تقوم بتوسيع وتفصيل المصير المجيد  
الذي تخصصه له وكيف أنها ستكون معه في المعارك وكيف أنه يستحق التاج والعرش  
والصوongan وتقرر مصيره الذي لا بدّيل له (إنانا تحبك وأنت مفضل امها نليل) ثم يصف  
الشاعر زيارة شوجي لمعبدين سومريين آخرين وبعدها يعود إلى مدينة أور حيث يباركه  
الإله إنانا أب إنانا وإله مدينة أور.

وفي حوارية بين الملك شوجي وإنانا من أجل إخصاب الحقول والبساتين يطلب  
شوجي أن يذهب معها ويرى ما تفعله، فتأمر أحد الفلاحين ليحرث أرض شوجي ثم  
يذهب إنانا وشوجي إلى البستان ويتفقدان الشجارة وفواكهها .

### ٣. إنانا وشوسين

الملك شوسين معروف بحبه للنساء المكرسات للإلهة إنانا ، وهناك ما يدعوه

للمقارنة بين أناشيد الزواج المقدس لشوسين وإنانا ونشيد الإنشاد لسليمان .

هناك قصيدةتان شهيران الأولى مفعمة بالفاظ الحب والله

«أيها العريس ، الغالي على قلبي ،

عظيمة هي مسرتك ، حلوة كالعسل

أيها الليث الغالي على قلبي

عظيمة هي مسرتك ، حلوة كالعسل

لقد أسرتني ، أقف مرتجلة أمامك

أيها العريس لو تحملني إلى الخدر ،

. (كرير ١٩٨٦ : ١٣٥)

ونقضي القصيدة طافحة بالنشوة والحب والجمال بتأثير متشابهة .

أما القصيدة الثانية التي كانت فيها (كرياتم) الكاهنة هي القائمة بدور إنانا والمقرية إلى شوسين وللقبة بالملكة ، فتبدأ بالإشادة بولادة الملك ثم تطلب منه الملكة أن يدبر وجهه نحوها وتجدد شوسين كملك عظيم ثم تعود الحبيبة لزيارة الملك :

«عذب يا الهي هو شراب الساقية !

فرجها هو كالشراب ! فرجها عذب كشراب

فرجها وشفتها هي عذبة كشراب

وشرابها فائق الحلاوة ، فائق الحلاوة شرابها ،

. (الشواف ١٩٩٦ : ١٧٦)

وهنالك قصيدة ثالثة وصلت إلى الملك شوسين حيث تستعد الحبيبة للاقتران بالملك الراعي ، ولذلك تطلب من والدتها تسريحة شعر مرفوعة إلى الأعلى مثل الحسن :

«شعري هو خسّة تنبت بجوار الماء

خسّة جاكلول تنبت قرب الماء

مشطت تجعيلاته ولعنت  
شعري جمعته مرضعتي عاليًا  
كما كفته بواسطة الماء»

(الشوف ١٩٩٦ : ١٧٧)

ثم تأتي القصيدة على مدح شوسين من قبل الكورس ثم من قبل الحبيبة.

#### ٤. أناها وإيدن داجان

في هذه القصيدة هناك تفاصيل واضحة عن مراحل الزواج الإلهي وطقوسه، إن الملك إيدين داجان (١٩٥٤ - ١٩٧٤) ق. م هو ثالث ملك لمملكة إيسين التي تلت مملكة اور.

المرحلة الأولى من الزواج الإلهي تبدأ بتهيئة القصر حيث يتم نصب الفراش الذي سيتم عليه الطقس / الزواج الذي تحيط به أغصان وآخشاب الأرض وباقات الأسل، ثم تبدأ مرحلة استحمام الله والملك معاً وهو نوع من التعميد أو الاغتسال قبل الزواج ثم تنقل الإلهة إلى القاعة الخاصة بالزواج حيث تنشر الطيب على أرضاها ثم يتبعها الملك ويقوم بمضاجعتها في الفراش المقدس، أمر الملك بأقامة منصة لسيدة القصر،

حيث اضطجع معها العاهل الإلهي  
من أجل ضمان حياة كامل البلاد  
وللاحتفال بمناسبة اليوم الأول (من العام)،  
ولكي ينفذ بحرص الطقوس المقدسة  
لـ (يوم المضاجعة)

في رأس السنة، حلول (تنفيذ) تلك الطقوس  
تُنصب عند ذلك فراش من أجل ملكتي

طهر (الفراش) بواسطة الأسل والأرز العاطر ،

(الشوف ١٩٩٦ : ١٧٩).

ويوصف الملك في هذه القصيدة بأنه الملك - الشمس وهذا الوصف ساد طويلاً في حضارات وادي الرافدين والحضارات المجاورة، كذلك يوصف الملك بأنه دموزي من خلال أحد القابه (أما اشموكال أنا) وهو دموزي طلع النخيل وachsenab النباتات ، وفي رأينا تؤشر تلك الصفات بدء ترسيخ الصورة الشمسية الذكرية لدموزي بعد أن كانت جذوره عارقة في أصل قمري أنثوي .

ولنستمع إلى السومريين وهم يرددون كلاماً بعد نهاية الطقس :

«أمام إنانا ردّ ذوو الرؤوس السود (قائلين) :

«على وقع الطبل الذي يفوق الرعد هديره

والقيثارة ذات الموسيقى العذبة ، التي

تسحر القصر

(وعلى النغم) الرباب المهدى لقلب البشر

أيها المنشدون ، إسمعوننا انغام البهجة ،

(الشوف ١٩٩٦ : ١٨١).

#### ٥. إنانا وايشمي داجان :

هناك علاقة واضحة بين هذه القصيدة مع قصيدة لدموزي (إذا ما دخلت إنانا المحظيرة) حول مخضبة الحليب ، ويبدو أن صوت الملك ايشمي داجان كان عذباً وكان يعني في هذا الاحتفال على صوت البقرة والعجل ومخضبة الحليب ، هذه هي الأجواء السومرية المخصوصية :

«يا للنعم العذب - مثل (صوت) بقرة !

يا للصدى العذب - مثل (صوت) عجل !

أي إنانا عندما تصلين إلى المحظيرة

وما أن تدخلها ، أيها الصبية  
 حتى تسمع المخضبة نغمها أي إنانا  
 مخضبة حبيبك سوف تسمع نغمها  
 مخضبة ايشمي داجان سوف تسمع نغمها ،  
 (الشوف ١٩٩٦ : ١٨٢).

#### ٤- إنانا والأنسان

رغم أن صلة الإلهة إنانا بالإنسان واضحة وهامة وبالذات من خلال مثلاطها العشتاريات على الأرض وتعني بهن من تتحدى صفة (الكافحة العليا). ولكن المقصود هنا ليس هذه العلاقة بل تحديداً أسطورتها مع الفلاح أو البستانى (شوكاليتوه Shukaletudai) والذي يظهر في أسطورة مشابهة على أنه ييلولو (وربما كانت أسطورة قائمة بذاتها).

وتروي أسطورة (إنانا وشوكاليتوه) في بدايتها كيف أن الإلهة إنانا الموجودة في السماء وفي معبدها الأرضي في أوروك (إي - آنا)، هذه الإلهة تقرر النزول من السماء إلى الأرض وذلك للتفرق بين الأشرار والأبرار، ولسبر القلوب في البلاد والفصل بين الحق والباطل، لقد كانت الإلهة إنانا تختفي الثور السماوي وهي في السماء، والأسد الأرضي وهي على الأرض وفي الحالين كانت معها التوابيس المقدسة السبعة التي حملتها معها يوم نزلت إلى العالم الأسفل.

وهكذا في الوقت الذي هبطت فيه من العالم الأعلى علم بذلك الإله إنكي وهو إله الأرض فطلب منها يأن يلتقيها مباشرة قبل بدء جولتها، ولسبب لا نعرفه (بسبب انقطاع النص) يقوم الإله إنكي باعطاء تعليماته إلى الغراب عن كيفية خلق وزرع شجرة التحيل ، وهي أول شجرة مثمرة في أول بستان على الأرض :

«أيها الغراب الذي ما أبلغك إياه : استمع إلى  
 كحل التعويذ في أريدو

الموضوع في وعاء المرهم من اللازورد  
والمحود في غرفة بيت الأمير  
(هذا الكحل) فتته ونعمه  
وازرع حبيباته بين المساكب  
بجوار المستنقع ذي الكراث ، ،

(الشوفاف ١٩٩٦ : ٨٨).

ويقوم الغراب بإنبات هذه (الشجرة الأبدية) كما يسميها النص ، ويعدد فوائدها: حيث لسانها يمنع اللب ، ولحيتها تسجع منها الحصر ، السعف المحيط بساقها يستعمل كمساطر قياس ، وسعفها يرافق المراسيم الملكية واقراط تمورها ستقدم كتقدمات للآلهة .

وبعد أن يروي النص قصة النخلة يأتي على ذكر الفلاح شوكاليتودا الذي يعاني بستانه من الجفاف وهبوب الرياح ولكنه يقوم بتأمل السماء ومعرفة الأفلاك وعلى ضوء ذلك يقرر كيفية زراعتها حتى أنه في خمسة عشرة من مواضع البستان يغرس صفاً من أشجار الصفصاف الكثيفة التي ظلالها لا تختفي في الصباح والظهيرة والمساء .

ثم تعود الأسطورة لذكر إنانا التي بدأت جولتها السماوية والأرضية وبعد أن عبرت عيلام والسوبور تعبت واذ لاح لها بستان شوكاليتودا وصلت أو نزلت إليه وقعدت لكي ترتاح ثم ربطت أمام شقها التواميس السبعة المقدسة ونامت .

وكان الفلاح يراقب كل هذا فقام بحل رباط الستر الواقي (أي التواميس المقدسة السبعة) ووجلها وجماعها ثم عاد إلى الطرف الآخر من البستان . وعندما صحت إنانا فجراً عرفت أنها إغتصبت وكان لا بد لها من الانتقام لـ(فرجها المهان) وبذلك بدأت بتسلیط ثلاث كوارث على الأرض : الأولى أنها ملأت جميع آبار البلاد بالدم ثم جرت الدم إلى أحواض البساتين كلها ، وكان الناس عندما يريدون ماء لا يجدون سوى الدم (ولم تشرب الرؤوس السوداء كلها سوى الدم) ، وكان ذلك كله لكي تخرج الفلاح من مخبئه ولكن ذلك لم يحصل .

وذهب شوكاليتودا إلى الأب الإله إنكي ليتحاشى عقاب إنانا ، فنصحه إنكي بأن

يختفي مختلطًا لأهله وآخوته من ذوي الرؤوس السود (السمورين) ولن تجده إنانا . ولكن إنانا لم تهدأ فقامت بتسليط الكارثة الثانية على الأرض إذ حلّت ، وهي راكبة على الغيم ، وثاق الرياح السيئة واطلقت التفاف الزوابع وارتقت وراءها الرياح المثيرة للعواصف الرملية الـ (بلي بلي) ودومات الغبار وساعدها في ذلك (سبعة في سبعة) من السحرة في الصحراء ولكن شوكاليتوذا ذهب إلى أبيه فأجابه بنفس النصيحة السابقة .

وحلت الكارثة الثالثة التي يفهم منها سد طرق البلاد ربما بالماء أو بتفجير أعماق العالم الأسفل (لا نعرف على وجه الدقة!!) دون أن تجده ولكنها ادركت أنه يختبئ عند إنكي . فرحلت إلى أبسو إنكي في أرييدو وطلبت منه أن يسلّمها المذنب . ووعدت إنكي بأن تاخذه دون أذى إلى معبدها (أيـــ أنا). وهكذا تأخذ إنانا شوكاليتوذا من أبسو أرييدو إلى إيانا أورووك ، وإلى أعلى السماء حيث تظهر إنانا كقوس قزح ويبدو أنها تستجوبيه لتعرف كيف تمكّن من ذلك . فيروي لها ذلك شوكاليتوذا ببساطة ودون أسف ، فتضغب عليه إنانا وتحكم عليه بعقوبة تحويله إلى نجم سماوي لكن ذكراء ، كما تعدد ، تبقى على الأرض في قصائد الشعراء تردد في قصور الملوك وفي أغاني الرعاعة وهم يمّضون قربه الحليب .

وفي أسطورة (بيلولو) يتحول بيلولو (المشابه لشوكاليتوذا) إلى قزم ثم يصغر أكثر من ذلك حتى لا يعود له أي تأثير أو وجود واضح .

## ٥. إنانا والعالم الأسفل

العالم الأسفل مكان معروف في الدين السومري وهو العالم الذي يحتوي على أرواح الموتى على شكل الجسد الذي كانت عليه إلا أنها مرئية تشبه الطيور، وتقضى هذه (الطيور الروحية) أغلب وقتها في التراب تأكله ولا تنفس سوى الغبار. الآن هناك مرادفات أو أماكن شبيهة بالعالم الأسفل مثل (كور) الذي وصفناه في مكان آخر ، وجبل ايبيخ (Ebich) الذي يبدو وكأنه جبل عدو أو شرير .

### أ. إنانا وكور

أما قصة إنانا والتين (كور) ف يأتي من المحاولات الكثيرة التي حاولها الآلهة لقتله هذا التنين ، ويبدو أن إنانا كانت واحدة من هذه الآلهة حيث تتصدى له وتتغلب عليه وتثال لقب (قاهرة كور) ورغم أن الإله آن يحذرها من المخاطرة لأنها بحماس شديد ترميه بالحربة الطويلة ثم تقتله وتطأه أخيراً بقدميها .

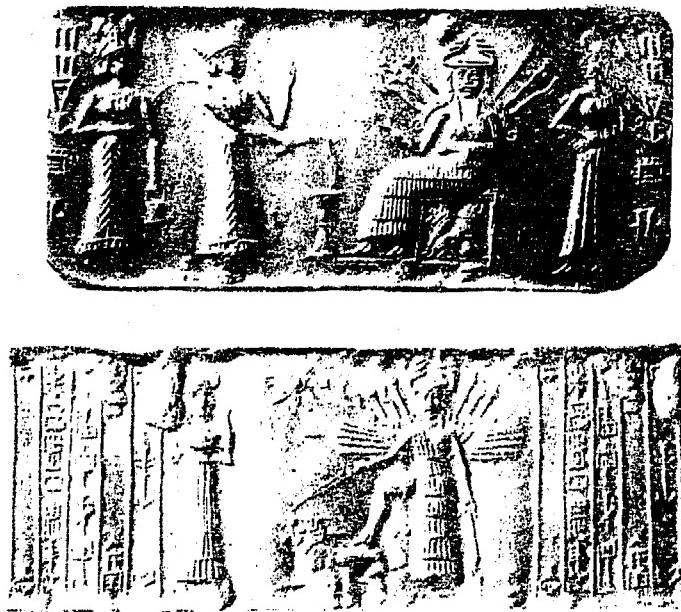
" سأرميه بالحربة الطويلة

وسأوجه ضده كل أسلحتي  
وبالغابات المحيطة به سأضرم النار  
وفي . . . سوف أغرس فأسي البرونزي  
وكجبل أراثا سأنزع عنه هيته  
وكمما يفعل جيبيل الله النار المقدسة سأجفف ماءه  
وكمدينه لعها آن لن يعود سيرته الاولى  
وكمدينه نبدلها انليل ، لن ينهض ثانية ،  
(السواح ١٩٨٦ : ٢٠١)

### ب. إنانا وايباخ

أما (جبل ايبيخ) فيبدو انه مكان يصعب السيطرة عليه لكن إنانا تستطيع ذلك . وتشير هذه الحادثة إلى مكان بعيد وقصيّ ، وربما عكست هذه الاسطورة نضال السومريين قبل وبعد انتصار اتو حيكال (حاكم أورووك) على الكوتين الجبلين البرابرة حوالي ٢٠٦٠

ق. م لأن محورها يدور حول حملة شنتها الآلهة (إنانا) ضد (أيبيخ) الذي هو (جبل حمرین) حيث رفض الخضوع لها والاستسلام لها وكأنه مثل عفاريت الأساكو. ولذلك بدا هذا الجبل وكأنه قطعة من العالم الأسفل (انظر اذزاد ١٩٨٧: ٦٢).



شكل (٨٠)

إنانا تستلم النذر والهدايا وتظهر كآلهة محاربة  
تضع رجلها على الأسد وتلبس بزتها المحاربة

### ج. هبوط إنانا إلى العالم الأسفل

إن الأسطورة النموذجية بامتياز حول إنانا والعالم الأسفل هي (الإسطورة هبوط إنانا للعالم الأسفل) التي تأتي في سياقها الصحيح بين حب وزواج دموزي من إنانا وحكم إنانا عليه بعد أن خرجت من العالم الأسفل بأخذته إلى هناك بدليلاً عنها ثم مطاردته وموته ومراثيه.

الآن فضلنا معالجة هذه الإسطورة بصورة مستقلة هنا حرصاً على التصنيف الذي وضعناه لأساطير إنانا.

وتبدأ الأسطورة من رغبة أو توق الإلهة إنانا للهبوط إلى (الأسفل العظيم) وهنا آراء كثيرة حول سبب هبوط إنانا إلى هذا العالم، فهناك من يرى أنها ذهبت لتسسيطر على هذا العالم وتحكمه بدلاً من اختها ارشكيكال وهناك من يرى أنها ذهبت لتقييم عالم الأموات كنوع من النشور، وهناك من يرى أنها ذهبت لتناول الخلود والرأي الأخير فيه ضعف كونه لا يتناسب مع إلهة خالدة أصلاً مثل إنانا.

وفي رأينا أنها نزلت إلى هذا العالم لتجسد وجهها المظلم والمحارب والسفلي في الوقت نفسه، وأن تقوم بتحدي قوانين العالم الأسفل بحكم كونها إلهة مغامرة .

إنانا اذن هجرت السماء وتركت الأرض لتكمل سيطرتها على هذا العالم. فقد عرفنا من اسطورة شوكاليتو دا أنها هبطت من السماء إلى الأرض وأصابها نوع من الأذى الجسدي (الأغتصاب) لأنها هنا هبطت من الأرض إلى العالم السفلي وسيصييها أيضاً أذىً جسديًّا أكبر هو (الموت) وفي كلا الحالتين يقوم الإله إنكي بمعونتها.

وهي قبل الهبوط إلى العالم الأسفل تقوم بعمليين: أولهما أنها تربط إلى جسدها التواميس المقدسة السبعة ويبدو أنها نواميس الزينة، ثم تضع في يدها بقية التواميس المقدسة .

وثانيهما أنها توصي وزيرها / وزيرتها (نشوير) بأن يملا السماء صراغاً وأن يبكي في بيت الإلهة ويلبس ثوباً مزقاً ثم يذهب إلى أنليل ويخبره بأن إنانا ذهبت إلى العالم الأسفل وان يقوم بمساعدتها والتحول دون موتها ، وان لم يستجب أنليل فعليه بالذهاب إلى الإله إنانا إلى القمر، وان لم يتسرجب هذا فعليه الذهاب إلى الإله إنكي إله الحكمة الذي يعرف طعام وماء الحياة ليعيدها إلى الحياة.

وهذا يعني أنها كانت تعرف مسبقاً بأنها ستموت ولذلك فإنها ذهبت متخدية قوانين العالم الأسفل .

وأول مرحلة من هبوطها لهذا العالم هي أنها واجهت البوابة الأولى للعالم الأسفل وطرقتها، فخرج لها كبير حجاب العالم الأسفل (نيتي) وسألها من تكون فأجابته إنها ملكة السماء، فقال لها (ما الذي أتي بك إلى الأرض التي لا عودة منها) فأجابته إنانا بحجة ضعيفة (أي أنها كذبت) حيث قالت له أنها جاءت لتحضر مراسيم جنازة زوج اختها إريشكيكال وهو (كرأنا).

فذهب (نيتي) إلى ملكة العالم الأسفل اريشكيكال وأخبرها بذلك وأخبرها بأن إنانا تحمل معها التواميس المقدسة السبعة (التاج، الصوجان، العقد، الجواهر، الخاتم، الدرع، الشوب) فأمرت اريشكيكال حاجب العالم الأسفل بأن يدعها تدخل ويطبق قوانين العالم الأسفل التي تقضي بأخذ هذه التواميس المقدسة منها وكأنه يجردها من قواها.

وحصل ذلك فقد قام الحاجب عند كل باب من بوابات العالم السبعة بأخذ أحد هذه التواميس المقدسة السبعة في حين كانت إنانا تستغرب من هذا التصرف كل مرة.

ويذلك دخلت إنانا إلى قلب العالم الأسفل وهي عارية مجردة من تواميسها المقدسة، وعندما دخلت إلى قصر اريشكيكال كانت الأخيرة بانتظارها جالسة على عرشه يحيط بها (الأنوناكى) وهم القضاة السبعة الذين يصدرون الأحكام على كل من يتجرأ على دخول إلى هذا العالم متحدياً، فقاموا بتوجيه نظر الموت على إنانا ثم أطلقوا كلمة (تعذب الروح) فتحولت إنانا المتعب إلى جثة وشدت هذه الجثة على عمود متصلب.

ومرت ثلاثة أيام وثلاثة ليال، بعدها قام رسولها نشورير بما أوصته به فذهب إلى بيت الإله إنليل (الإيكور) وأخبره فاستغرب إنليل كيف ذهب إنانا إلى هناك وهي تعرف قوانين العالم الأسفل وهكذا لم يقف الإله إنليل معها بل خذلها، فذهب إلى بيت الإله نانا (إيكيشركال) ولكن نانا خذلها أيضاً، فذهب إلى بيت الإله إنكي في إريدو فابدى إنكي قلقه عليها، ثم أخذ طيناً من تحت إظافره فصنع منه كائن إله (كوكارو) وهو كائن لا جنس له، ثم أخذ من تحت إظافره المصبوج بالأحمر طيناً فصنع منه كائن (الكلاتور) وهو كائن لا جنس له فاعطى الأول طعام الحياة وأعطى الثاني ماء الحياة. وأخبرهما بالنزول إلى العالم الأسفل وإحياء الإلهة الميتة بأن يوجهها عليها أشعة النار أولًا ثم ينشرها بماء الحياة ستين مرة وبطعم الحياة ستين مرة فإنها ستحيا وتنهض من عالم الأموات.

ويبدو أن الموت في هذه الأسطورة له مدلول واضح وهو الإصابة بستين مرض (وهم رقم كلي مقدس كأنه يعني عدداً لا نهائياً عند السومريين) أي أن هناك ستين عضواً مصاباً وأن كل مرة ستعمل على إحياء أحد الأعضاء المصابة.

وفعل الكائنان ذلك ونهضت إنانا، إلا أنه فيما يلي دلائلنا أن قوانين العالم الأسفل صارمة، وكان يجب على إنانا الإثبات بدليل عنها من العالم الأعلى الذي ستعود إليه شرط

أن يرافقها جند العالم الأسفل (الكالو) وهم عفاريت صغيرة كأنها من القصب .

سار العفاريت امام وجنب انانا يحملون في ايديهم العصي ويتمتطون بالأسلحة وتصف الاسطورة هؤلاء العفاريت بأنهم لا يعرفون الطعام ولا الشراب ولا يأكلون خبز القمح او يشربون خمر القرابين ويخطفون الزوجة من حضن زوجها وال طفل من صدر امه اي انهم شياطين الموت .

وعندما خرجت انانا معن رآها نشوير فرمى بنفسه على قدميها واقعاً على التراب ملطخاً نفسه بالطين فاراد العفاريت حمله بدلأ عنها إلى العالم الأسفل فمنعتهم لأنه ادى ما عليه من واجبات تجاهها اثناء غيابها ، فذهبوا إلى الـ (سيجور شاكا) في مدينة (اواما) حيث كان هناك الـ (شارا) الذي فعل مثلما فعل نشوير، ثم ذهبوا إلى (ایوشكالاما) في مدينة بادتبيرا حيث فعل (الترك) ما فعل السابقان ، ثم ذهبوا إلى مدينة (كولاب) حيث وجدوا (دموزي) وهو يرتدي ثياباً فاخرةً ويعتلي على عرشه فانقض العفاريت السبق عليه كما يفعلون مع الرجل العليل فانقطع الراعي عن نفح فايه ومزماره حيث كان يعزف عليهمما في ذلك لوقت . وقامت انانا الغاضبة عليه بتركيز نظرة الموت عليه قم نطق بالكلمة التي تعذب الروح ، ثم امرتهم بأن يأخذوه بدليلاً عنها فيبكي دموزي ويرفع يديه إلى الـ (أوتو) اخ زوجته انانا ويرجوه ان يتحول يديه وقدميه الى افاعي لكي يهرب منهم .

عند هذا الحد تنتهي اسطورة التزول لكن هناك نصاً آخر يحكى لنا مصير الـ (دموزي) وجد موزعاً على (٢٨) لوحأً وكسرة تشكل ما تحدثنا عنه في القسم الثاني من اساطير انانا ودموزي : اساطير ومراثي دموزي .

ان اسطورة نزول انانا الى العالم الأسفل السومرية هي من اکثر الاساطير شهرة في العالم القديم ولذلك فإننا نرى اسطورة أکدية مشابهة لها واساطير قديمة تدور في فلكها وهي معروفة للقراء والباحثين .

ونعتقد أن بعض أفكار هذه الأسطورة السومرية صُورَت على إناء مرمر (شكل ٨١) تظهر في جانب منه إرشكىگال وهي محاطة برموزها كالثعابين واللبوات ، وفي الجانب الآخر إنانا وهي محاطة برموزها (الماء والنبات والحيوان) ، وهناك من يرى أن هذه الصور تمثل طقس استنزال المطر وهذا أمرٌ بعيد عن مضامين هذه الصور .



شكل (٨١)

إناء مرمي رسم عليه شكلان

الأعلى : ارشكي كال محاطة برموزها كالثعابين واللبوات  
الأسفل : إنانا محاطة برموزها كلاماء والنباتات والحيوان)



## الفصل الثالث

### اللاهوت السومري

(دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية السومرية)





يكون اللاهوت السومري الوجه العقائدي للأساطير والطقوس السومرية وتکاد الأساطير بـأحكامها ونظاميسها الكونية والالهية والأخلاقية والمعرفية تشكل الرحم الذي ظهر منه اللاهوت السومري .

وإذا كان قد لمحنا الكثير من أوجه هذا اللاهوت ونحن نقرّأً أساطير السومريين ونظامهم الشمولوجي العميق ، فلا شك أننا بحاجة في هذا الفصل لفرز منظومات هذا اللاهوت ومعرفة شبكته الروحية والعقلية .

## ١. الآلهة

عرفنا الكثير من الآلهة السومرية في الفصل السابق ، بل وتوغلنا في أدق تفاصيلها وحياتها وتاريخها وسلاماتها ولكننا لم نعرف على وجه الدقة كيف كان الإنسان السومري ينظر إلى آلهته هذه وكيف يتعامل معها وما هي صورتها العقلية والدينية والروحية عنده . ولنبذل أو لا بفكرة الألوهية التي هي ، فكرة المقدس وقد تهذب وتعالى وأصبحت له طاقة الفعل كما يريد وطاقة الخلود أيضاً . لقد أصبح الإله بعيداً عن الإنسان بعد أن تمجد في أزمان الباليوليت في الحجر وفي النار وفي الحيوان وفي المرأة وفي الرجل . أما العصر السومري فقد أبعد الإله نسبياً عن الإنسان ، لكن فكرة الألوهية ما كان لها ان توجد لو لا الإنسان ، ولذلك فقد وصف الإنسان في النصوص الإلهية نفسه ، ولعبت فكرة الألوهية دوراً كبيراً في توازن الإنسان مع الطبيعة والكون ، إذ كيف يمكن له تصور كل هذا الذي حوله دون ان تكون الألوهية هي الحاجز بينه وبين الكون الرحيب اللامتناهي ، وبدون فكرة الألوهية كن الإنسان سينضيغط وينحصر ويتهشم عندما يواجه الكون مباشرة «ولهذا

فإن وصف الألوهـة في هذه النصوص لم يكن سوى وصف مباشر لمشاعر الإنسان نحو الكون وجبروته . ولم يكن الحسـ الذاتي بالإلهـة سوى الحسـ بعلاقة كونية حيوية غامرة راح الذهن القديم يفلسفها ويشخص فعلها كتجربة يومية من تجـارب وعيـ الإنسان .. ولهـذا لم يستطـع المـفكـر القـديـم تخـيل انسـانـ بدون فـكـرةـ ما عنـ الأـلـوهـةـ وـيـدونـ مـيلـ للـتـبعـدـ لهاـ وـطـرـيقـةـ لـلـتـعـلـيـلـ معـهاـ، بـحـثـاـ عنـ اـسـتـقـرـارـهـ الـفـسـيـ، مـبـرـهـاـ بـذـلـكـ عـنـ آـنـ وـعـيـ الـإـنـسـانـ لـذـاتهـ هوـ دـائـمـاـ مـتوـازـنـ مـعـ وـعـيـ لـلـكـونـ الـكـلـيـ» (الـحـورـانـيـ ١٩٧٨ : ١٥٢ـ).

وكانـ الإـنـسـانـ يـشـعـرـ بـوـجـودـ الـأـلـهـةـ وـلـكـنهـ لـاـ يـراـهـ رـغـمـ أـنـهـ كـانـ تـسـيرـ الـكـونـ وـتـسيـطـرـ عـلـيـهـ وـتـرـحـ فيـ أـرـجـائـهـ . وـالـكـونـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ مـكـوـنـ مـنـ أـجـسـادـ وـمـادـةـ الـأـلـهـةـ فالـسـماءـ هـيـ جـسـدـ أـوـ مـادـةـ الـأـلـهـ (آـنـ) وـالـأـرـضـ هـيـ جـسـدـ وـمـادـةـ الـأـلـهـةـ (كـيـ) وـالـمـيـاهـ (إـنـكـيـ) وـالـهـوـاءـ (إـنـلـيلـ) وـهـكـذـاـ الـكـواـكـبـ وـغـيـرـهـاـ . لـكـنـناـ لـاـ تـمـلـكـ دـلـيـلـاـ (كـمـاـ فـيـ الـلـاهـوـتـ وـالـأـسـاطـيرـ الـأـكـدـيـةـ وـالـبـابـلـيـةـ) بـأـنـ مـادـةـ الـكـونـ هـيـ مـنـ جـسـدـ الـأـلـهـةـ الـأـمـ تـيـامـتـ بـلـ انـ مـادـةـ الـكـونـ هـيـ أـجـسـادـ الـأـلـهـةـ الـمـخـصـصـةـ بـكـلـ جـزـءـ فـيـهـ .

أماـ الإـنـسـانـ فـقـدـ عـرـفـاـنـ مـادـةـ وـجـسـدـهـ وـرـوـحـهـ تـنـكـوـنـ مـنـ مـادـةـ وـجـسـدـ وـرـوـحـ الـأـلـهـةـ (وـهـذـاـ مـاـ عـبـرـتـ عـنـهـ أـسـاطـيرـ خـلـقـ الـإـنـسـانـ) وـمـنـ هـذـاـ الـمـنـطـلـقـ رـأـيـ السـوـمـرـيـ أـنـ فـيـ كـلـ إـنـسـانـ رـوـحـاـ الـهـيـةـ أـوـ إـلـهـاـ شـخـصـيـاـ بـرـاقـهـ وـبـرـعـيـ شـؤـونـهـ وـيـحـمـيهـ :

«لـيـسـ بـقـدـورـ الـإـنـسـانـ، بـلـ إـلـهـ (شـخـصـيـ)

أـنـ يـكـسـبـ خـبـزـهـ ،

وـلـاـ بـقـدـورـ الـفـتـىـ أـنـ يـحـرـكـ ذـرـاعـهـ بـيـطـولـةـ فـيـ الـمـعرـكـةـ»

«عـنـدـمـاـ تـخـطـطـ لـلـمـسـتـقـبـلـ يـكـوـنـ إـلـهـكـ إـلـهـكـ

وـإـذـاـمـ تـخـطـطـ لـلـمـسـتـقـبـلـ ، لـيـسـ إـلـهـكـ إـلـهـكـ»

(فرـانـكـفـورـتـ ١٩٨٠ : ٢٤١ـ)

وـإـلـهـ الشـخـصـيـ إـلـهـ صـغـيرـ يـعـنـيـ بـعـائـلـهـ الـإـنـسـانـ أـوـ الـإـنـسـانـ نـفـسـهـ ، وـأـقـرـبـ صـورـةـ لـهـ هـوـ الـحـظـ وـالـنـجـاحـ فـيـ الـحـيـاةـ ، الـإـنـسـانـ لـاـ يـؤـثـرـ فـيـ الـكـونـ وـالـاـحـدـاثـ لـأـنـهـ أـضـعـفـ مـنـ ذـلـكـ بـكـثـيرـ ، بـلـ إـنـ إـلـهـ الشـخـصـيـ هـوـ الـذـيـ فـعـلـ ذـلـكـ وـشـجـعـهـ وـاهـتـمـ بـهـ وـدـفـعـهـ لـلـنـجـاحـ وـلـذـلـكـ كـانـ يـرـىـ السـوـمـرـيـوـنـ أـنـ الشـخـصـ النـاجـحـ الـمـؤـثـرـ هـوـ (مـنـ حـصـلـ عـلـىـ إـلـهـ) .

إن الإلهية هي قوة داخل الإنسان ترقى به إلى المثل العليا، وكلما بحث الإنسان عن هذه القوة (عن طريق التدين والتقوى) اقترب منها واستطاع ان يتحاور معها (اي مع الآلهة) كما كان يحصل مع الملوك العظام والحكماء مثل زيوس سدرا الذي أنقذ البشر من الطوفان . . والانسان الصابر وغيرهم كالكهنة والأنبياء . واذا كان تصور الآلهة ومكانتها قد جرى في العراق القديم وفق تصورات ذهنية وعقلية الا أن ذلك لم يخلُ من تأثيرات واضحة من المحيط البيئي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، وفي الألف الرابع قبل الميلاد مع صعود السومريين وظهور منجزاتهم العظيمة في الزراعة والرعي وبناء المدن والمعابد واستمراراً مع اكتشاف الآلهة الكونية الشاملة ظهر الاعتقاد قوياً بالآلهة الكونية الشاملة (آن ، انليل ، كي ، انكي) ومعها آلهة الكواكب الأساسية (أتو، نانا، إنانا) وكانت هذه الآلهة السبعة هي الأساس في البانثيون الالهي .

أما في الألف الثالث قبل الميلاد ويسب المخروب بين المدن السومرية نفسها وبين السومريين والغزاة من حولهم فقد رجحت كفة العبادة لآلهة المدن والآلهة المحلية لكل منطقة وهذا يؤكّد انكماش الناس على أنفسهم . وفي الألف الثاني وبعد انهيار سومر واهتزاز ثقة الإنسان بالكثير من آلهته الكبرى والمحلية ظهر مبدأ الإله الشخصي أكثر رجحانًا في العبادة رغم ظهور آلهة جديدة وقوية شمولية ومحلية .

وفي الألف الأول وبعد تداعي الامبراطوريات والدول والمدن واستبدالها ببعضها عمّ الاعتقاد بالشياطين والخروف من العفاريت بحيث عبد بعضها خوفاً . ورغم ان الإنسان السومري اعتقد بأن الآلهة تشبهه في صورتها إلا إنه تخيلها كبيرة وعملاقة بل وتخيلها مضيئة مشرقة ، أما أماكن سكناها فلأشك أن الأعلى كانت هي هذه الاماكن ، فأولاً تصور ان جبل الكون (أن - كي) هو مكان الآلهة الأول ثم نزلت من هناك الى الأرض ، وصعد بعضها الى السماء . واتخذ بعضها من الكواكب والنجوم مساكن ، وذهب بعضها مثل (ارشكبيگال ونركال وابناؤهما) إلى العالم الأسفل المظلم المترتب ليحكموه ويعيشوا فيه .

وإذا كان السومريون قد عكسوا حياتهم السياسية والاجتماعية (اي وجود مجلسين للشيخوخة والشباب بالإضافة الى الملك) في شكل وهيكل الاحمدة الخاص بالآلهة، فكانت السلطة الإلهية انعكاساً للسلطة السياسية والاجتماعية وكان هناك مجلس كبار الآلهة الذي

يقابل مجلس كبار القوم (الشيخوخ) ومجلس الآلهة الشباب (آلهة الكواكب) الذي يقابل مجلس (الشباب ، العوام) . . . وكان الملك هو سيد السلطة الاعظم والذى يمثله في المجتمع الإلهي الاله إيليل الذى يمثل السلطة الالهية كاملة

«آه يا إيليل

عندما خلقت السموات والأرض

كنت أنت الملك»

(الطعن ١٩٨١ : ٣٦٨).

ثم أصبح الاله إيليل مصدر كل سلطة على الأرض فهو الذي يعين الملك وهو الذي يهب القوة لمن يشاء

«أنت الذي تلفظ اسم الملك، وراسم الحكم

ذلك لأن خلق الإله، والملك

امتياز خاص بك ، ،

(الطعن ١٩٨١ : ٣٦٨).

وكان الملوك يتبااهون أنهم أبناء آلهة بعينهم ، وانهم استمدوا الحكم والسلطات من إله محدد .

وللآلله أيضاً رموز مرسومة أو منحوته تدلّ عليهم وتكون في الغالب مشيرة إلى أحد صفاتهم ، وكانت رموز الآلهة تتطور من عصر إلى آخر ، وقد تبقى ثابتة . ومن الضروري الاشارة إلى أن رموز الآلهة لم تبدأ مع السومريين بل بدأت منذ عصر حسونة وسامراء وحلف حيث أراد الإنسان أن يشير لبعض قوى الكون بالعلامات والاشارات والرموز (انظر الماجدي ١٩٩٧).

وكانت الرموز ضرورية لتجريد الإله وجعله مفارقاً العالم المادي الذي كان الإنسان يقع ضمه ، ورغم ذلك لم يكتف الإنسان السومري عن تصوير الآلهة رسمياً ونحتاً بالإضافة إلى رموزها . وقد جمعنا وفصلنا شرح رموز الآلهة السومرية في الفصل الثاني .

وكان للألهة الكبيرة رسلاً أو زراء ينفذون أوامرها ويؤدون المهام المتعلقة بهم وكان رسول وسفراء الآلهة الذكور ذكوراً ورسل وسفراء الآلهة الإناث إناثاً ونذكر فيما يلي أهمهم :

١. بيسوكال : رسول الإله آن والاله زيابا
٢. ننشوير : رسولة الإلهة إنانا ، ورسول الإله آن . ويقابل اسمه هنا في الأكديّة (إلبرات) ويعادل بيسوكال .
٣. نسکو : رسول الإله إنليل .
٤. أسيمو (ايسمود) : رسول الإله إنكي .
٥. مُّو : رسول الإله أبسو .
٦. بونته : رسول الإله أوتو .
٧. غتار : رسول الإله ارشكىگال .
٨. أشوم : رسول الإله إيرا .

كذلك كانت هناك أرقام خاصة ببعض الآلهة (الكبيرة منها بالذات) وكانت الأرقام السومرية الآلهية مرتبطة بالنظام الستيني الرياضي للسومريين وهذا جدول بسيط بالأعداد الرمزية او السرية لكتاب الآلهة السومرية والفاظها:

الله السومري	رقمه السري	لفظ الرقم باللغة السومرية
١. آن	٦٠	كشن
٢. إنليل ، نورتا ، ننكرسو	٥٠	نينو
٣. إنكي	٤٠	نيمين
٤. إنانا	٣٠	اوشو
٥. اوتو	٢٠	نيش
٦. إنانا	١٥	إي أو
٧. أدد	١٠	أو

## ٤. القوة الالهية

كانت القوة الالهية تتجسد عند السومري بما خلقته الآلهة من عوالم واكونان وكائنات حية وبشر، ولكن سر القوة الالهية أو جوهرها كان يكمن في أربع أنواع من القوى الالهية وهي :

### أ. الكلمة (Inim , gü)

حين حل العصر الحجري الحديث في العراق القديم ، وظهرت المكانة المتميزة للإلهة الام وللمرأة باعتبارهما عنصر الاخصاب في الطبيعة ساد اعتقاد خلقي الهي اساس هو قوة الولادة عن طريق الرحم ، وكان هذا المبدأ الالهي النيوليسي يعتمد في ذلك على ما يلمسه الإنسان من قدرة المرأة على الانجاب.

وما أن حل الكالكوليت (الحجري المعدنى) حتى انقلبت القوة الإلهية في الخلق وساد مبدأ جديد هو البذر وقوة البذور علي التوالد عن طريق المطر وكان المني هو اساس المعتقد الجديد حيث الاله يلخص الكون بمنيه .

وفي العصر السومري ظهر مبدأ جديد هو (الكلمة) الذي حل محل الرحم النيوليسي والمني الكالكوليتي .. وصار الإله يخلق لا لأنه يضاجع أو يقذف منه فحسب بل صار له القدرة على الخلق كلما نطق أو قال للأشياء : كن فتكون . وهكذا يرى صموئيل نوح كريير «إن فلا سفتنا السومريين طوروا مبدأً صار فيما بعد عقيدةً في أنحاء المشرق الأدنى كافية ، وهو مبدأ القوة الخالقة الكامنة في الكلمة الإلهية . فكل ما كان على الإله الخالق أن يفعله ، وفقاً لهذا المبدأ ، هو أن يضع خططه ينطق بالكلمة ويعلن الاسم ، ، (كريير ب.ت: ١٥٢) .

ويكفي تقسيم قوة الكلمة (آنيم) إلى ثلاثة أنواع هي :

١. الفكرة (نا)

٢. الكلمة (گو)

٣. الاسم (نام)

والفكرة هي القوة الخالقة غير المنطقية وهي قوة إلهية فاعلة رغم أنها كامنة ، أما

الكلمة المنطقية فهي المقدسة عند السومريين وبها يخلق العالم فقد كانت كلمة انليل لا تتبدل وهي حياة جميع البلاد :

«حُكْمَتُكَ هِيَ الزَّرْعُ، كَلْمَتُكَ هِيَ الْحَبْوبُ  
كَلْمَتُكَ هِيَ الْمَاءُ الْغَامِرُ، حَيَاةُ جَمِيعِ الْبَلَادِ ، ،  
(كريير ١٩٨٦ : ٨١).

وكان الكلمة تأخذ صيغة المني عند إنكي بشكل خاص، حيث مني إنكي هو المياه التي فيها سر الحياة وفي هذه الصيغة مزج بين عناصر كالكوليتية وعناصر سومرية في الخلق.

وقد تطور مفهوم الكلمة عند اليونان وصار (اللوغوس) واستعمل للتعبير عن الخلق في النجيل يوحنا «في البدء كان الكلمة»

أما الأسم فهو شكل آخر من أشكال الكلمة وكان السومريون يعتقدون أن إطلاقاً إسم على الشيء هو بمثابة خلق له، ولذلك كان الوليد الجديد يطلق عليه الاسم مباشرة ويعتبر ذلك بمثابة العماد له.

وأعظم ما فعله السومريون إطلاقهم الأسماء على الأشياء وتصنيفها وتوصيفها حتى أن مدنیات الأرض ما زالت تدين بذلك الإجراء، لأن إطلاق الاسم على الشيء هو بمثابة فرزه ومعرفته قياساً لغيره ..

وكان الساحر إذا أراد عمل سحر فإنه يستخدم فوة الكلمة أو الاسم لأن فيها قوة الشيء نفسه. ويمكن لقانون التشابه السحري أن يؤكّد هذا فاسم الإنسان أو الشيء شبيه به ولذلك يستعمل في الطقس السحري على أنه هو ذاته .. وكان على الساحر معرفة اسم المريض الذي يشافيه متلفظاً اسمه بصوت ملائم أو كتاباً له بطريقة ملائمة . ولذلك احتلت التعاويذ السحرية مكانة مهمة في السحر السومري لأنها كلمات وأسماء له المقدرة على التأثير .

### ب) الـ (نـمـ) أو سـمـةـ الشـيـءـ وـصـفـاتـهـ :

هذه الكلمة تعني صفة أو صفات الشيء وسماته وطبيعته وتقابليها في الأكديية كلمة

(شمو) اي سمة الشيء وطبيعته «وكمثال على استعمال الكلمة السومرية نجد لفظة (لولو) لديهم تعني الانسان، وعندما تقرنها بها كلمة (نم) تصبح (غلولو) وتعني عندئذ (الانسانية) دلالة على السلوك الانساني وليس إلى مجموعة الناس ، ، (الحوراني ١٩٨٧ : ١٢٠). ويبدو أن إطلاق (نم) الاشياء من قبل الإله يعني تحديد صفاته وسماته وتعيين جوهره في ذاته .

### **ج.الـ (مي) أي النواميس المقدسة**

تعني (مي) نواميس الآلهة المقدسة التي يستطيع بها الانسان أن يتحكم ويسطر ويستخدم الأشياء أو ظواهر الأشياء والطبيعة . فإذا كانت الـ (نم) تحدد طبيعة الشيء ذاته فإن الـ(مي) تعبر عن الشيء كموضوع خارج ذاته اي الوجه الاجتماعي والحضاري والفنى الذي يستخدم فيه ولذلك فإن كلمة النواميس الآلهية أو المقدسة ترجمة صالحة له .

والقابل الأكدي لهذه الكلمة هي (فرضو) أو (برضو) وهي تشير الى كلمة (فرض) العربية وتدل القوانين المفروضة الثابتة للطبيعة (الفرضون) .

وقد قدمت لنا (اسطورة انانا وانكي) ونقل نواميس الحضاراة الآلهية الـ(مي) من أريادو إلى أوروك التي يقال أنها في حدود الملة ناموس ولكننا احصيناها فوجدناها ثمانين وهي كما قدمتها الاسطورة متسلسلة بالشكل التالي : (الشوك ١٩٩٢ : ٣١) .

١ . الكهنوتية العليا

٢ . الألوهية

٣ . التاج الرفيع ، الخالد.

٤ . عرش الملكية .

٥ . الصوبجان السامي

٦ . العصا

٧ . ذراع القياس المقدس

٨ . العرش السامي

٩ . فن الرعاية

١٠ . الملكية

- ١١ . كاهنة الأميرة (مقام السيادة النسوية الدائم).
- ١٢ . كاهنة الملكة المقدسة
- ١٣ . كاهن التعاويند (إيشيب)
- ١٤ . الكاهن السامي (لوماخ)
- ١٥ . كاهن الإهراق (جودا)
- ١٦ . الحقيقة (الصدق)
- ١٧ . الهبوط إلى العالم الأسفل
- ١٨ . الصعود من العالم الأسفل
- ١٩ . الكوركارا Kurgarra
- ٢٠ . الختجر والسيف
- ٢١ . الرداء الأسود
- ٢٢ . الرداء الملون
- ٢٣ . إسدال الشعر
- ٢٤ . عقص الشعر
- ٢٥ . الراية
- ٢٦ . الكنانة
- ٢٧ . فن عمل الحب
- ٢٨ . تقبيل القضيب
- ٢٩ . فن البغاء
- ٣٠ . فن النجاح
- ٣١ . فن الكلام الصريح
- ٣٢ . فن اللسان السلط
- ٣٣ . الكلام المنمق
- ٣٤ . البغاء المقدس
- ٣٥ . الحانة المقدسة
- ٣٦ . المزار المقدس

- ٣٧ . كاهنة السماء المقدسة  
 ٣٨ . الآلة الموسيقية المدوية  
 ٣٩ . فن الغناء  
 ٤٠ . فن رئيس الكهنة  
 ٤١ . فن البطل  
 ٤٢ . فن السلطان  
 ٤٣ . فن الخيانة  
 ٤٤ . فن الاستقامة  
 ٤٥ . سلب المدن  
 ٤٦ . إقامة المناحات  
 ٤٧ . إيهاج القلب  
 ٤٨ . الخديعة  
 ٤٩ . البلاد التمردة  
 ٥٠ . فن الحنان  
 ٥١ . السفر  
 ٥٢ . المأوى الآمن  
 ٥٣ . حرفة النجار  
 ٥٤ . حرفة النحاس  
 ٥٥ . حرفة الكاتب  
 ٥٦ . حرفة الحداد  
 ٥٧ . حرفة صانع الجلود  
 ٥٨ . حرفة القصار  
 ٥٩ . حرفة البناء  
 ٦٠ . حرفة ناسج القصب  
 ٦١ . الأذن المصغية  
 ٦٢ . ملكة الانتباه

- ٦٣. طقوس التطهير المقدسة
- ٦٤. الحظيرة التي توفر الطعام
- ٦٥. تكريم الجمر
- ٦٦. الحظيرة
- ٦٧. الخوف
- ٦٨. الذعر
- ٦٩. الفزع
- ٧٠. الأسد ذو الأسنان الفتاكه
- ٧١. إضرام النار
- ٧٢. إطفاء النار
- ٧٣. النراع الناحلة
- ٧٤. العائلة الملتممة الشمل
- ٧٥. الإنسال
- ٧٦. تأجيج المشاحنات
- ٧٧. المشورة
- ٧٨. تهدئة الخاطر
- ٧٩. إصدار الأحكام
- ٨٠. صنع القرارات

وي يكن أن نلاحظ أن هذه التواميس تشمل أغلب جوانب الحياة بوجوهاها الإيجابية والسلبية، وقد كان هذا مقصوداً للإشارة إلى السيطرة على كل ما في الحياة.

#### ٤) لوح القدر (لوح المصائر):

يشكل هذا (اللوح المحفوظ) أقدار ومصائر العالم والناس من قبل الآلهة وتحديداً من قبل الإله انليل الذي يحتفظ به تحت أقفه، وبالرغم من أن الآلهة مصدر السلطة وهي القادرة على منحها وحجبها من تريده من البشر، إلا أن لوح المصائر يبقى هو الاساس الذي كتب فيه مصائر العالم.

وقد جرّب أحد شياطين العالم الأسفل (في أسطورة سومرية الأصل أكديّة الصياغة) وهو الطائر العملاق (زو) أن يسرق الواح القدر من الإله إنليل .. فما كان من الكون إلا أن بدأ يغرق في العلماء

«عندما مضى إنليل ليستحمل في الماء الصافي

وخلع تاجه فوضعه على العرش

خطف الواح الأقدار فاغتصب السلطة والملك والسيادة

ثم طار زو حيث اختفى في جباله

فساد الوجرم وعم الصمت

إنليل أبو الآلهة، قد شلت حركته

فالحرم المقدس قد سرقت هيبيته وضاعت روعته ،

(الواح ب. ت ١٨٣).

وقد خلدت بعض الأختام الأسطوانية هذه الحادثة (شكل ) حيث قدم (زو) للمحاكمة بعد أن قبض عليه الآلهة نورتا ابن الإله إنليل .

### ٣. التعددية والتفريد والتوحيد

#### في العقيدة الدينية السومرية

لاشك أن التعددية Polytheism هي التي غلت على العقيدة الدينية السومرية وطبعتها بطبعها الخاص الذي صار من سمات جميع ديانات الشرق الأدنى القديم .. ولذلك ساد الفكر السومري الایمان بعده كثير من الآلهة . ولكن هذه الآلهة لم تأت دفعة واحدة بل أن جذورها امتدت إلى فترات الكالكوليت حيث بدأ الانقلاب الذكوري وترسخ الثالوث الالهي بعد ان كان توحيداً انشوياً في النيوليت ، ومن هذا الثالوث ظهرت شجرة الآلهة السومرية .

ونرى أن الآلهة الأولى هي (نمر) التي يعني اسمها ماء الأم وربما كان اسمها القديم (ن) الذي يعني في اللغات المقطعة الأم . ثم الله-(آن) الذي يمثل الإله الذكر الأب الذي

أحيلت سلطاته أولاً إلى الإله (إنكي) الذي يجمع بين صفات الأم والأب. ويبدو أن انقلاباً ذكورياً حاسماً حصل مع الإله (إنليل) الذي أصبح يمثل السلطة والقوة والملوكيّة. وكان هذا مدعاه لأن تتشكل عشرات الآلهة من الأم والآب والابن وتظهر شجرة كبيرة للآلهة ويصير كل الله مسؤولاً عن قضية.

لكن التعددية السومرية وهي تتفرع لا تخلي من آثار تفريدية Henotheism وتوحيدية Monotheism . فقد أشار السومريون بذلك إلى أن الإله (آن) هو رب العالم بأكمله ، ورب الناس أجمعين وهي اشارة توحيدية واضحة . وأن الإله (إنليل) هو رب السومريين حصرأً (ذوي الرؤوس السود) فهو إله سومر القومي وهذا ما نرى انه اشارة تفريدية واضحة ، ولذلك ثليل للاعتقاد أن العقيدة الدينية السومرية حملت التعددية بأرجحية واضحة ولكنها حملت أيضاً التفريدية والتوحيدية معاً .

ولكي ندلل أكثر على كلامنا هذا نقول أن العبريين الذين أخذوا من السومريين الإله إنليل وأسموه بأحد رموزه (الحمامة السماوية) التي تسمى عند السومريين (اياهو) وهو الإله (يهوه) ، هؤلاء هم الذين ارتبط بهم التفريد ولكن جذوره الحقيقية كانت عند السومريين وصفات (يهوه) هي تماماً صفات (إنليل) .

كذلك نرى أن التوحيد الذي نزه الله عن التعدد جاء من الإله (إيل) الذي أخذ من الإله (آن) بدليل أن عالمة (آن) هي عالمة إيل .

ونرى أن هذا الموضوع يحتاج إلى وقفات تحليلية علمية دقيقة تعتمد على النصوص الحرفية السومرية التي ستقدم لنا حلولاً كثيرة ..

#### ٤. الأرواحية Animism

وهي عقيدة تصور أن كل الأشياء والظواهر في الكون تأتي من وجود روح حية فيها ، وأن هذه الروح لها قوة مؤثرة على ما يحيطها وعلى الإنسان وهي قوة روحية عاقلة ومفكرة ومدببة ، والشكل الأساس لظهور هذه الروح هو في مفهوم (الإله) .

وقد أخذ السومريون الأرواحية من العقائد السحرية التي كانت سائدة قبلهم واستمرت معهم . فالأرواحية عقيدة سحرية تقف مع الفتنية والطوطمية في مستويات مختلفة من زاوية النظر لأن ما يجمع الثلاثة الإيمان بوجود قوة power وراء الأشياء

والظواهر ودليلنا على وجود الأرواحية عند السومريين تصورهم لقوى الشر والشياطين والعفاريت إلى جانب الآلهة، وذلك لأنهم كانوا بحاجة إلى تفسير الجانب السلبي من الطبيعة . فاستحدثوا له الأرواحية الشيطانية . ومن جهة أخرى تحفل العقيدة الأرواحية بتصور حيوي نشط للعالم والكون والظواهر كونها ترى العالم كقطعة فسيفاسية من الأرواح المتصلة المترابطة المؤثرة بيقاع منسجم وعميق .

## ٥. التشبيهية Anthropomorphism

وهي النظر إلى الآلهة وكأنها بشر ، وإساغ صفات وميزات الإنسان على الآلهة فهي تأكل وتشرب وتتزوج وتسكن البيوت وتغصب وتفرح ... الخ ، بل أن صور الآلهة على الرقم الطينية وغيرها كانت تشبه الإنسان تماماً . ورغم أن الآلهة تسكن السماء ولكن إليها ييوتاً على الأرض مثل الإنسان وهي المعابد التي تبدأ اسماؤها جميعاً بكلمة (إي ، E) التي تعني البيت بالسومرية .

وقد دلت الأساطير السومرية التي درسناها على هذه الحقيقة ، وكان من الصعب الوصول إلى تجريدات مطلقة للألهة ، الأ بعض التأملات والتراويل التي تلمح فيها تزية الآلهة عن حاجات الإنسان الدنيا .

ولكي يتميز الآلهة عن الإنسان (رغم أوجه التشابه الكثيرة) كان لا بد من اللجوء لفكرة الخلود التي أصبحت صفة الآلهة وفكرة الموت الختمي التي أصبحت صفة الإنسان . ومع ذلك حدثتنا بعض الأساطير عن محاولات خلود الإنسان وتشبيهه بالآلهة ، وموت الآلهة وتشبيهها بالأنسان . وقد كان الملك والكافن الأعلى هما أقرب الناس للتتشبه بالآلهة ، بل إن بعض الملوك السومريين حاولوا تأليه أنفسهم بعد أن ورثوا هذه العادة من الأكديين .

وهناك من الطقوس الكثيرة التي تشير إلى تشبيه الإنسان بالآلهة وبالعكس ومنها حلقة الزواج المقدس ، حيث يأخذ الملك دور الإله وتأخذ الكاهنة العليا دور الإلهة . وأن نواميس الطبيعة والعالم مرهونة بذلك الاتصال الجسدي بينهما لأنهما ، ببساطة ، آلهة وقد تصور الناس آلهتهم وفق ما رغبوا أن يكونوا « أو أنهم أردوا الاهتداء إلى المجهول اعتماداً على المعلوم ، فقد وجدوا كيف تجري الأمور في العالم الأرضي ، وكيف يحكم الملك

ويضبط الأوضاع من خلال القوانين والمراسيم التي يصدرها، كما أنهم لاحظوا أساليب تنظيم الحياة الاقتصادية وأهمية الوسائل المعتمدة، فتصوروا أن الأمور تجري كذلك في عالم الآلهة، بل إنهم رأوا أن هذا العالم هو الذي عمد إلى إيجاد العالم الكوني، وخلق الإنسان وجعله في خدمته» (سیدا ١٩٩٥ : ١٧٠).

## ٦ . الإنسان

عرفتنا الأساطير السومرية أن الإنسان خلق من قبل الآلهة لكي يقوم عنها بالأعمال الشاقة ولكي يخدمها ويكون عبداً لها .

وفي الفلسفة الدينية العميقه للسومريين أن الإنسان هو إله ولكته إله ضعيف أو عاجز أو ميت ولذلك فإننا نشاهد الإنسان الذي خلقه الإله إنكى والإنسان الذي خلقته الآلهة ننماخ كأنه مصابين بنقوص وأمراض كثيرة حالت دون أن يكونا سوين . فالإنسان إذن إنه ناقص مريض عاجز ميت . ولذلك فإنه لا يتمتع مثل بقية الآلهة بالخلود ،

وإذا كانت الآلهة تتناقل عن بعضها بالولادة دون مرجعيات ، فإن الإنسان صنع من إله مقتول أو من طين أو من طين وماء أو من كلمة صاغها الإله في فمه أو لأن ثم اطلقها . وهكذا يكون الإنسان مربوطاً كلياً بالآلهة فهو لا يستطيع فعل شيء دونهم ، كذلك فإن هذا الكون الواسع لا يمكن مجابهته دون آلهة تستطيع إدارته وتعاون الإنسان في التعامل معه .

ثم إن الالوهية كانت تبدو في الإنسان كما لو أنها عقله الذي يجعله يميز بين الصواب والخطأ «إنها بعد الآخر للإنسان ولا تكون حقيقة إنسانية بدونها ، فهي القوة الجسدية والروحية معاً . وقد عبر أحد الطلبة السومريين عن مفهوم الالوهة في سومر القديمة وأوضح كيف أنها فعل وعي حي في الإنسان خلال خطاب يخاطب به معلمه لشكره فقال يخاطبه : أنت إله . وحيث أن الله يصنع الإنسان فأنت إلهي لأنك صنعت في الإنسان» (الحوراني ١٩٧٨ : ١٥٥) .

كان السومريون يرون في كل صفة غير جسدية وغير مرئية أو محسوسة قوة لاهوتية ، هكذا يرى الحوراني ، وهذا صحيح إلى حد بعيد فالقوى الكونية كانت قوى

إلهية، وكذلك الإنسانية الخارقة التي يصعب تفسيرها بسهولة فقد كانت بنظرهم نوعاً من القوة اللاهوتية داخل الإنسان فكانوا يعطوها بحسب محسوبة للبشر مثل كلگامش الذي كان ثلاثة إلهاء، وربما الملك دموزي الذي الله بسبب صلته بالإلهة إنانا وصارت له أفعال خارقة. ولذلك نعتقد أن الملوك الأكديين الذين ألهوا (مثل سرجون الأكدي وابنه نرامسين) كان ذلك بسبب أفعالهم الخارقة والعظيمة لأن فيهم جزءاً وهياً بازعاً غير مرئي، ولم يكن المقصود بذلك عبادتهم، ولذلك وضعت علامة الألوهية (دنغر) أمام أسمائهم.

إن علامة الألوهية (دنغر بالسومرية، إيل بالأكادية) كانت علامة موحدة تدل على الألوهية أيهما وجدت وتوضع أمام أسماء الآلهة . . وفي هذا الاجراء ما يدل على تحرير الألوهية واعتبارها صفة مطلقة لقوة عظمى تسير الكون والعالم والإنسان. وكان السومري يرى أن هذه القوة توجد في السماء وأن الإله (آن) هو الرب الواحد المطلق عند السومريين وهو يعيش في السماء السابعة بعيداً حتى عن الآلهة الآخرين الذين يتقدون إرادته وأفعاله، فهو إله العالم والوجود والكون، أما إنليل فهو إله الهواء ولكنه إله سومر القومي حصرأ.

«إن اندماج فكرة الألوهية بالعلو والسماء في الذهن القديم - حيث كانت اشاره الألوهية تعني العلو والسماء - كذلك هذا الاندماج هو ذو دلالة هامة على العلاقة التي تعبّر عن ذاتها بالمشاعر اللاهوتية المشدودة نحو المطلق الكوني . وهي ذاتها التي أشار لها بيلاardi شاردین حين قوله: «الإله هو المجموع الكوني في كل إنسان» (الحوراني ١٩٨٧: ١٥٧).

وعلامة الألوهية في أصلها أيضاً تشير إلى الجهات الأربع وما بينها، أي إلى ثمانية جهات، وهذا يعني أن الإله الأعظم رغم كونه في السماء فهو موجود في كل مكان. وكذلك تشير إلى الضوء اللامع في الفضاء المددهم الواسع أي إلى النجمة باعتبارها نبضاً في الظلام، فهو روح وقلب الامتناهي وهكذا وسعت هذه العلامة عدة معانٍ (السماء، الاعالي، الجهات، الضوء النابض في الظلام).

الإنسان إذا مات ذهب باتجاه عمودي نحو الأسفل إلى القبر ثم العالم الأسفل

وسبقت روحه هناك إلى الأبد . أما الإله إذا ذهب إلى العالم الأسفل فإنه يذهب بحركة دائيرية يجوب فيها العالم الأسفل ثم يخرج منه ربما ليعود هو أو البديل عنه بحركة دائيرية .

## ٧. الفقه السومري

الفقه في أبسط تعريف له هو «العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسبة من أداتها التفصيلية ، أو هو هذه الأحكام نفسها . والاحكام جمع حكم وهو اثبات أمر لآخر إيجابياً أو سلباً مثل قولنا الشمس مشرقة أو غير مشرقة والماء ساخن أو غير ساخن .. والمراد بالاحكام هنا ما يثبت لأفعال المكلفين من وجوب أو ندب أو حرمة أو كراهة أو إباحة أو صحة أو فساد أو بطلان ، ، (زیدان ١٩٦٤ : ٦) .

لقد اطلق مصطلح الفقه على مثل هذه الأحكام في أزمان متأخرة ، ولكن الفقه موجود منذ أقدم العصور ، فقد ولد من النواهي والمحرمات والتابو والحلال ، وقد ارتبط بالأديان أولأ ثم ظهرت الشرائع المدنية السومرية والبابلية المعروفة ودمج بها .

لقد كان الإنسان السومري إنساناً متدينًا ورعاً خشوعاً وكانت المحلات والمحرمات دينية في أصلها ، ولذلك يمكن التعرف على أحكام الفقه السومري من خلال معرفتنا للكثير من جوانب الأخلاق والتشريع والأعراف الدينية المعروفة لهذا الدين . ورغم وجود الكثير من مفردات الفقه السومري متاثرة في النصوص والشائع والأحداث إلا أنها سنركز على أهمها وأكثرها شيوعاً :

## الزواج

تسمى البنت المراهقة قبل الزواج بالسومرية (كي سيكيل تور) ومقابلها بالأكديية (بتولتو) أي البتول أو العذراء ، أما البنت البالغة فاسمها (كي سيكيل) .

وعبر السومريون عن الزواج بمصطلح (نامدام شي ، بآن توکو) وبالاكديية (أنخازوا) أي (أخذ) ، وكان من المستهجن الزواج من البنات الصغيرات رغم تحبيذ السومريين للزواج المبكر ولكن في عمر مناسب . وكانت خطوات الزواج تبدأ بأخذ رضي والد البنت ثم والدتها خصوصاً عندما يكون الزوج صبياً (گوروں gurus) عند أول ظهور الشعر في وجهه . وكان والد الخطيب في العهد السومري الحديث (سلالة أور) يؤدي القسم باسم

الملك امام، القضاة وعدد من الشهود ويقول (عسى أن يتزوج ابني ووريثي الشرعي فلان من فلانة ابنة فلان). وكان القاضي كاهناً دينياً (انظر عقراوي ١٩٧٨ : ٥٨).

وكانت موافقة والد الفتاة ووالدها امراً أساسياً، ثم يتم التعاقد شفاهياً أولاً واقامة وليمة وعند ذاك تصبح المرأة زوجة شرعية ويعزز ذلك تقديم المهر والهدايا التي سماها السومريون (نگدي - de - a) وتتضمن مواد غذائية كالحبوب واللحوم والزبد والتمر والفاكهة وتحمل إلى بيت العروس في اطباق وتسمى بالأكديية (هربيه) وما زال فلاح الجنوب العراقي يسمون مهر العروس الأول (هربيه).

أما عقد الزواج الرسمي فيسمى بالسومرية (كا.كيسدا Ka.kesda) الذي يقابله بالأكادية (ركساتم) فهو أمر ضروري جداً ولا يتم الزواج بدونه مطلقاً وربما كان يدونه الزوج وتحتفظ به الزوجة لضمان حقوق أولادها الشرعيين وهو يسجل على رقيم طيني صغير.

وهذا نموذج من العقود المكتوبة باللغة السومرية والتي تعود إلى عصر الملك سمسو إيلونا (١٧٤٩ - ١٧١٢) ق.م :

«(انليل - أدسوا) كاهن الاله انليل ابن (لوكانل أزيدا) تزوج من (اما - سوكال) ابنة (نن - اب - مانسي) أعطت (اما سوكال) إلى (انليل ادسوا) تسعة عشر شيئاً من الفضة .  
وإذا ما قال (انليل أدسوا) لزوجته (اما سوكال) في المستقبل (انت لست زوجتي) عليه ان يرد لها تسعة عشر شيئاً ويعطيها مهرأ يعادل نصف مثنا من الفضة . أما إذا قالت (اما سوكال) لـ (انليل ادسوا) زوجها (انت لست زوجي) فإنها سوف تخسر التسعة عشر شيئاً وتدفع إضافة إلى ذلك نصف منَّ من الفضة ، ، (عفراوى ١٩٧٨ : ٦٥).

ويشير هذا العقد إلى أن المهر المادي تدفعه الزوجة و تسترجه مع مؤخر الصداق (نصف من الفضة) اذا طلقتها زوجها، اما اذا طلقته هي فتخسر المهر وتدفع مؤخر الصداق له.

وكان هناك قيل عهد اورو كاجينا تقليد بزواج المرأة من أكثر من رجل في نفس الوقت، لكن هذا المصلح الاجتماعي حرم ذلك وجعل المرأة تتزوج من رجل واحد فقط والآلام جمت.

ويبدو أن الزواج كان يتم من قبل كاهن يقوم بسكب الزيت على رأس الزوج والزوجة عليهما أن يدفعا للكاهن مبلغًا معيناً.

وهناك أحكام شرعية تفصيلية للزواج من أرملة الأخ ومن زوجة الأب (الضيزن) وإقتناء المخواري والمرضعات والتبني، وأحكام الوراثة وأحكام نسخ الزواج والخطوبية والزواج الناقص والزواج بالعاشرة والزواج بالشراء والزواج بارادة منفردة .

### الطلاق

كان الطلاق أمراً معروفاً منذ عصر فجر السلالات وكان الطلاق يعني تنازل الزوج أو الزوجة عن حقوقهما مع فراق الآخر . وقد ذكر أوركاجينا في اصلاحاته انه قبل عهده كان الرجل الذي يريد أن يطلق زوجته فعليه ان يدفع خمس شيكولات من الفضة للحاكم (الإنسى) وشيكلاً واحداً الى كبير الوزراء ، وهذا يعني أن الرجل كان يأخذ موافقة المسؤولين قبل الطلاق .

وكانت الزوجة تطلق زوجها ولكن في حالات نادرة ومحددة . وكان الطلاق يسمى عند السومريين (تاگ Tag) ، ولم تمنع القوانين السوميرية الزوج من طلاق زوجته التي انجحت اطفالاً ولكنها وضعت في طريقه بعض الصعوبات للموازنة بين إرادته وبين مسؤوليته في سبيل ضمان عيش زوجته المطلقة وأولادها ، فمثلاً تنص المادة (٥٩) من قانون أشنونا على أنه (إذا طلق رجل زوجته بعد أن ولدت منه اولاداً ، وأخذ زوجة ثانية فسوف يطرد من بيته وتقطع علاقته بجميع ما يملك ، وليذهب إلى من يأويه) . وكان طلاق الزوجة العاقر على العكس من ذلك سهلاً ومقبولاً .

وكانت الزوجة تطلق زوجها اذا استطاعت أن تثبت سوء سلوكه معها وانصرافه عنها إلى امور محرمة ، وهذا نص سومري يثبت ذلك «بعد أن قدم الزوج هدايا الزواج وسكب الزيت (أي قام بمراسيم الزواج) قدمت الزوجة (عشتارومي) شكوى إلى قضاعة المدينة تهم فيها زوجها بممارسة عادة اللواط . وبعد ان استطاعت هذه الزوجة ان تثبت للحكام بأنها قد شاهدت زوجها وهو يضاجع رجلاً آخر . أصدر القضاة حكمهم باسم الملك . فحلقوا رأس الزوج ، وثقبوا أنفه ، وأخذلوه في مسيرةٍ تشهيرٍ به . استعملت الزوجة مهرها من ممتلكات زوجها وتركته » (Hallo 1964: 95).

## **التبني**

كان التبني أمراً مألوفاً في الحياة السومرية وكانت له أحكام وقوانين تنظمه ، ويبدو أن أكثر الدوافع التي كانت تدعو للتبني هو عدم قدرة الزوجة على الإنجاب ، أو عندما لا يكون للشخص قريب يقوم بمراسيم دفنه عند وفاته لأن هذه المراسيم كانت تقرر راحته ومرتبته بعد الموت (أي في العالم الأسفل) . وهناك دافع ديني أهمها تكريس الطفل المتبني للخدمة في أحد المعابد . وهناك التبني لغaiات إقتصادية وغير ذلك . وهناك شروط للتبني أهمها منع اسم الرجل للطفل المتبني والإشراف علي تربيته وتعليمه وغير ذلك .

## **الإرث**

كان الارث ينقسم إلى نوعين هما توزيع ممتلكات الشخص في أثناء حياته (الهبة) . أما النوع الآخر فيسمى (التركة) أي توزيع ممتلكات الشخص بعد وفاته ويسمى بالسومرية ابيلا (Ibila) وتسمى حصة الوريث الواحد في ميراث أخيه هالا (ha- Ia) وهناك تفاصيل كثيرة تخصن البنت والزوجة وغير ذلك .

## **الزنا**

كانت الأعراف والاحكام السومرية تعاقب من يرتكب الزنا بقسوة فقد كانت المرأة المتزوجة التي تمارس الزنا تعطي الحق لزوجها بالزواج مرة أخرى وتلقى في الماء . وكانت هذه العادة كريهة اجتماعياً ، وكان من عادة السومريين إذا عرفوا زانياً وزانية ألقوهما في الماء بعد أن يوثقا معاً . أما إذا عفا الزوج عن زوجته فالمملوك وحده هو الذي يعفي عن الشريك ، أما إذا انتهت المرأة بالزنا فقسمها يجعلها بريئة .

## **٨. المؤسسة الدينية**

عرفنا هيكل المؤسسة الإلهية وطبقاتها . ولا بد الآن عن معرفة المؤسسة الدينية على الأرض . ويقسم الباحثون هذه إلى (الكهان والمعابد)

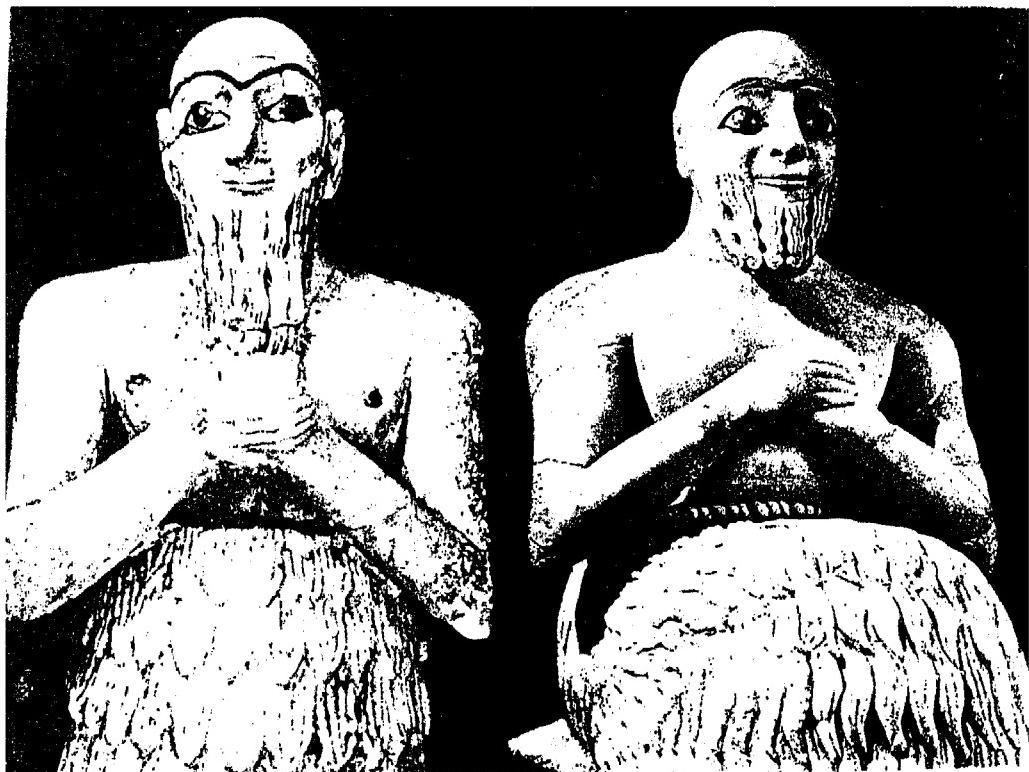
### **أ- النظام الكهنوتي**

كان الكاهن في الحياة الدينية السومرية يمثل الصلة بين الإنسان والإله ، ونرجح أن الكهنة ظهروا في عصور مبكرة في حضارة وادي الرفدين ، وربما كان ظهورهم مع عصر

الكالكوليت الذي كان المعبد أهم مظاهر أي ان الكهنة ارتبطوا بالمعبد وكانوا يتزعمون المجتمع على أساس دينية وسحرية وقدرات خاصة وكانت العصور الحجرية تعج بهم ويطلق عليهم الباحثون اسم (الشامان) .

في مزهرية أوروك من العصر شبه الكتابي ظهرت صور لرجال عراة يقدمون الأضاحي وهولاء هم الكهنة وكانوا غير مختوبيين .

وهناك ما يشير بوضوح إلى أن الملوك الأوائل كانوا كهنة ثم انفصلت وظيفة الملك عن الكاهن . لقد كان الحاكم أو الملك الأول يسمى بالسومرية باتيزي أو إنسى ثم انفصلت هذه الوظيفة إلى : الملك (لو غال Lugal) والكافن أين (En) .



شكل (٨٢)

تماثلان للكافن نيني والحارس أبيخ  
ماري النصف الأول من الألف الثالث ق.م

وكان الكاهن (اين) يمثل أعظم الكهنة ويقع في قمة الهرم الكهنوتي السومري، ونحن نظن ان الكلمة (عين) أو (العين) العربية هي من بقايا تلك الكلمة السومرية حيث الأعيان هم سادة البلاد وأعلامها. أما الكاهنة التي تقابل (اين) فتسمى (إيتتو) أي الكاهنة العليا (Nin - Dingir) أما الراتب الكهنوتي تحت هذا المنصب فتنقسم إلى :

#### أ- المرتبة العليا : وتتضمن ثلاثة درجات

١ . الدرجة الأولى (السانكا) وهم الكهنة الأعلون وتضم الـ (ماخ) وهو الكاهن الأعلى أو الكبير وهو كاهن يتم ترشيحه وسط شروط خاصة جداً ويعد تكريسه حدثاً كبيراً، ولكل واحد من آلهة المدن السومرية كاهن أعلى خاص.

٢ . الدرجة الثانية : وهم كهنة القدس والمسؤولون عن بوابة المعبد ويسمون كهنة الـ (اوريكالو) أي الحرس .



شكل (٨٣)

كاهن سومري يمسك اثناء ويؤدي طقساً

٣. الدرجة الثالثة : وهم الكهنة المتخصصون ، أي أن كل مجموعة منهم تقوم بأعمال متخصصة بنمط معين يلزمها الاستعداد الشخصي والموهبة الخاصة لادائتها على الوجه الأكمل وينقسم هؤلاء الكهنة إلى عدة مجاميع أو أنواع :

١. المنظفون وهم الذين يعملون في بيت الوضوء وهو حوض ماء يستعمل للوضوء لنظافة المعبد .

٢. المطهرون (الماشماشو) : وهم الكهنة الذين يسخون بالزيت الملك أو من يراد مباركته .

٣. المعبدون (رامكو) وهم الذين يستعملون الماء لغسل الجسد كله .

٤. الماسحون (باشيشو)

٥. المعزمون (أشيبو) وهو المعزّم وطارد الأرواح الشريرة وأخذ المعزّم دور الطبيب النفسي الذي يلازم دور الطبيب السريري . وكان المعزّم يسمى نفسه رجل الله (إنكي) لأن الله إنكي هو الله السحر ولذلك يستعين المعزّم به لطرد الأرواح الشريرة والتصدي للسحر الأسود . وكانت مدينة أريدو الموطن الأول لكهنة الأشيبو وقد وردت على لسانهم جمل تؤكد ذلك مثلاً (أنا الأشيبو طارد الأرواح الذي خلق في أريدو) ومعلوم أن أريدو هي مدينة الإله إنكي .

٦. العرافون (البارو) وهم المتنبئون والذين يقرأون الفأل وكانت مرتبتهم رفيعة اعلى من المعزمين ، والكافن المتنبئ يجب أن يكون من أصل شريف ونسب قدیم وأن يكون آباءه وأجداده من الكهان ، وهي امور لم تكن تُشرط في الكافن المعوذ .

وكان هؤلاء العرافون يقرأون الفأل من خلال وسائل عديدة أهمها عرافة الاحداث وبشكل خاص الكبد Hepatoscopy ، وسكب الزيت في الماء Lecanomancy وقرعة ما يتربّك من خطوط وتصاعد الدخان Lebanonomancy وقراءة خطوط الدخان .

٧. مفسرو الأحلام (الشائيلو) وهم الكهنة المتخصصون بقراءة الأحلام وتفسيرها ويذكر أن النساء كن الأكثر تخصصاً بهذه الكهانة وان (الشائلة) كانت تمارس كهانتها خارج المعبد .

٨. كهنة طقوس الأسرار المقدسة (زاكيكو) وهم كهنة من رتبة خاصة .
٩. المتدربون (ماري أو ماني) .
١٠. النادبون (الغالو) وهم الكهنة المختصون بأناشيد وغناء الرثاء والعزاء في حالات الموت والدمار والكوارث . ولهم أدوات موسيقية خاصة بهم .
١١. المنشدون (النارو) وهم الكهنة المختصون بأناشيد الفرح كالزواج وطقوس رأس السنة والاحتفالات الخاصة ذات الطابع الديني المفرح .
١٢. الزمارون (زاميرو) وهم الكهنة الموسيقيون المختصون بالآلة المزمار والذين يؤدون عزفهم في مناسبات دينية خاصة .



شكل (٨٤)

كافن أو متعبد سومري قديم من عصر العبيد  
ربما يمثل (كورليل)

**بـ. المرتبة العادمة :** وتتضمن ثلاث درجات أيضاً وتشمل كل أنواع الكهنة أي رجال الدين الذين لا يتميزون بأعمال خاصة وهم :

**١ . الكهنة الخصيّان** وهم الكهنة المتذوروں إلى المعبد والذين لا يحق لهم الزواج مطلقاً وهم على نوعين (آسينو، كوركارو) .

**٢ . الكاهنات :** بالإضافة إلى ما عرفناه من نساء كاهنات متميزات مثل الكاهنة العليا و(إانتو) والكاهنة الشائلة (مفسرة الأحلام) هناك عدد كبير من النساء اللائي كن ينخرطن في سلك الكهنة ، فبعضهن متذورات إلى الآلهة . وكان قسم منها يعيش في ابنيّة خاصة تسمى بالأوكديّة (gagu) ويتفق العلماء على أن أصناف الكاهنات التي سنذكرها بدأت منذ العصور السومرية الأولى وسنذكر اسماءها بالسومرية والأوكديّة .

وقد كان يطلق على الكاهنات تسمية خاطئة هي (كاهنات البغاء المقدس) على اعتبار ان مكانهن الخاص (كاگو) كان يشير إلى كلمة (بيت الدعارة) فقام الباحثون باطلاق فرضية خاطئة هي ان الكاهنات يمثلن الـهـة الحب (انانا) ولذلك فإنـهن يمارسن البغاء المقدس .

لقد بات واضحـاً أنـكلمة كـاـگـوـ مشـتـقةـ منـالأـصـلـ السـوـمـريـ (a - gi - ga) (كاـگـيـاـ) ايـ (الـبـيـتـ المـغلـقـ وـرـبـعاـ (الـسـجـنـ) وـعـنـدـماـ تـحـرـىـ الـبـاـحـثـوـنـ حـوـلـ طـبـيـعـةـ هـذـهـ الأـيـنـةـ وـجـدـوـاـ انـهاـ تـشـبـهـ (الأـدـيرـةـ) وـهـذـاـ هوـ المـصـطـلـحـ الدـقـيقـ لـهـاـ ،ـ وـلـذـلـكـ إـنـ النـسـاءـ الـلـاتـيـ يـدـخـلـنـ (الـدـيرـ) أوـ (الـكـاـگـيـاـ) يـتـصـفـنـ بـالـعـفـةـ وـالـسـمـعـةـ الـعـالـيـةـ وـالـحـشـمـةـ .

وسنرى أنـالـكـثـيرـ منـأـصـنـافـ الـكـاهـنـاتـ مـثـلـ (إـانتـوـ،ـ لوـكـرـ) لاـ يـجـوزـ لـهـنـ الزـوـاجـ والإـنـجـابـ وهوـ ماـ نـلـمـسـهـ إـلـىـ الـآنـ عـنـ الـرـاهـبـاتـ الـمـسـيـحـيـاتـ ،ـ وـيـبـدـوـ لـنـاـ أـنـ مـرـدـ ذـلـكـ مـرـتـبـ بـسـبـبـ مـثـولـوـجيـ (اسـطـورـيـ) عمـيقـ يـخـصـ الـآـلـهـةـ (نـمـاخـ) الـتـيـ جاءـ فـيـ اـسـطـورـةـ خـلـقـ الـانـسـانـ انـهـ مـعـ آـنـكـيـ خـلـقـتـ وـهـيـ فـيـ حـالـةـ سـكـرـ الـمـرـأـةـ الـعـاقـرـ وـقـدـ قـرـرـ إـلـهـ آـنـكـيـ مـصـيرـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ بـأـنـ جـعـلـهـاـ تـعـمـلـ فـيـ خـدـمـةـ الـآـلـهـةـ ،ـ وـلـذـلـكـ تـقـرـرـ مـنـ هـذـهـ اـسـطـورـةـ أـنـ يـقـومـ بـخـدـمـةـ الـآـلـهـةـ فـإـنـهـ لـأـبـدـ يـكـونـ عـاقـرـاـمـاـ أـصـبـحـ ضـمـنـ الـعـرـفـ الـدـيـنـيـ أـنـ لـاـ تـتـرـوـجـ الـكـاهـنـةـ وـلـاـ تـنـجـبـ (حتـىـ وـلـوـ كـانـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ الزـوـاجـ وـالـإـنـجـابـ) تـمـسـكـاـ بـهـذـهـ الـحـادـثـةـ الـاسـطـورـيـةـ .ـ وـيـنـسـحـبـ هـذـاـ أـيـضاـ عـلـىـ الـكـهـنـةـ الـخـصـيـانـ الـذـيـنـ ذـكـرـنـاـهـمـ قـبـلـ هـذـهـ الـفـقـرـةـ وـالـذـيـنـ خـلـقـهـمـ إـلـهـ آـنـكـيـ .ـ

وقد يكون في الإسم السومري للكاهنة العليا (ايتتو) وهو (Nin-Dingir) أي (السيدة الإلهة) ما يفسر أيضاً حالة عدم زواج وإنجاب هذه الكاهنة لأنها كانت تعتبر بصف الألهة وأن لها قدسية خاصة تمنعها من الإتصال بالبشر . . وربما لأنها كانت تعتبر بثابة زوجة الإله .

أما أصناف الكاهنات السومريات فهو كما يلي :

أ) **السيدة الإلهة (Nin - Dingir)** وتسمى الأكديية (ايتتو) وهذا النوع من الكاهنات لا يقع ضمن المراتب العليا أو العادمة للكهنة بل يحتل أرفع وأسمى وأقدس رتبة ، ولها مكانة دينية واجتماعية كبيرة جداً توازي طبقة الملوك . وتكون مثل هذه الكاهنة عادة إبنة أو اخت ملك .

وكانت هذه الكاهنة تعتبر قرينة الإله وزوجته ولها غرفة في أعلى زقورة المعبد وفيها سرير واسع ومزخرف ، وكانت هذه الكاهنة هي المرشحة لطقوس الزواج المقدس . وبالإضافة لذلك كانت تقوم باستطلاع الفأر والعرفة . وهناك ما يؤكّد أن جميع الملوك السومريين والساميين والغيلامين قد وهبوا بناتهم لهذه الوظيفة .

ب. **الراهبة (لوكر Luker)** وتسمى بالأكديية (ناديتو Naditu) أي النادية ، وهي المرأة التي نذرها أبوها للخدمة في معبد أحد الآلهة وكان لكل إله نادية مثل نادية نورتا ونادية نانا وغيرهم وكانت الراهبة تقوم أحياناً بدور الكاهنة العليا في الزواج المقدس وربما كانت الوظيفة الأساسية لها وظيفة إدارية ، وكان هناك ما يشير إلى أنها قد تقوم بطقوس تقديم قربان (البكتو Piqitti) الذي يقام في نهاية الشهر القمري عندما يهبط القمر إلى العالم الأسفل ، وأصبح هذا القربان بشير إلى تقديم القرابين للموتى . . وكانت الراهبة تقوم به لأجل الراهبات الميتات قبلها ويتضمن الطقس تقديم (اللحم والخبز والبيرة) .

وكانت الراهبة منوعة من الزواج والإنجاب ولذلك كانت تعيش حياةً طويلة لتجنبها مخاطر الولادة وأنها تعيش حياةً منعزلة بعيدة عن الأوبئة والامراض .

ج. **القديسة (نوكل Nu.gig)** وتسمى بالأكديية (قديشتو Quadishtu) أي القديسة ، وتعني كلمتها بالسومرية (الخلالية من الأمراض) وقد ترجمها بعض الباحثين بـ « المعبد وكان متজنياً وسبب لبساً وسوء فهم كبير في معالجة أمر الكاهنات السومريات

وكاهنات العراق القديم بعامة. لقد عالج الكثير من الباحثين هذا الموضوع بغالطة كبيرة كان الأساس فيها ما ترجمته عالم الآثار (Jensen) للمكان الخاص الذي تسكنه كاهنات الناديتو وهو (gagumi) فقال انه (المأمور brothel) وكان من الطبيعي ان يتبع ذلك الاعتقاد بأن هذا الصنف من الكاهنات كان من البغایا وان هناك عمليات جنسية تجري داخل المعبد طيلة أيام السنة. (انظر f 106 : Harris, 1964).

ولكن ترجمتها الدقيقة كما أسلفنا هو (الدير) الذي يقلب الفهم كلّياً.  
ويذكر ان لقب gig Nu كان يطلق على عدد من الالهات مثل (انانا، نمامخ، نسيينا).



شكل (٨٥)  
آلهة وكهنة وكاهنات من سومر  
معبد تل اسمير (أبو) النصف الأول من الألف الثالث ق.م

د. المندورة (نوبار Nu. bar) وتسمى بالأكديّة كُلماشيتو Kulmshitu ومعناها المندورة او المكرسة Votareess وتحدر المندورة من العوامل الغنية ولها الحق بالزواج ، ولم تكن المندورة تعيش في المعبد بل في بيت أبيها حتى الزواج .

هـ. المرافقة (سوكي ge Su.) وتسمى بالأكديّة شوكيتو Sugetu وهي الراهبة غير المندورة او المرأة السجينة ، ولم تكن مكرسة او مندورة لإله معين ويدو أن لها علاقة بالمشاركة باحتفالات الزواج المقدس وكان لها الحق بالزواج ، أو بانجاح الاطفال لصالح الكاهنة النادية المحرومة من الإنجاب .

وـ. الحاجبة (سال زكروم Sal. zikrum) وهو نفس الاسم الأكدي - وقد ترجمتها البعض الى (المرأة الرجل) (أو الخشى) وهي راهبة لها علاقة بالمعبد وغير مندورة الى إله معين ويدو أنها تقوم بجلب أو توفير من يقوم بالخدمة في القصر والمعبد عن طريق التبني .

هذه هي أصناف الكاهنات السومريات الالائي لهن علاقة بالمعبد والآلهة والطقوس الدينية أما ما يسمى بالبغى فهي امرأة عاديه كانت تمارس فن الحب والجنس وليس لها بالمعبد أية صلة من قريب او بعيد ، وقد أتى الصاق هذه الصفة بالkahenات من ثلاثة مصادر :

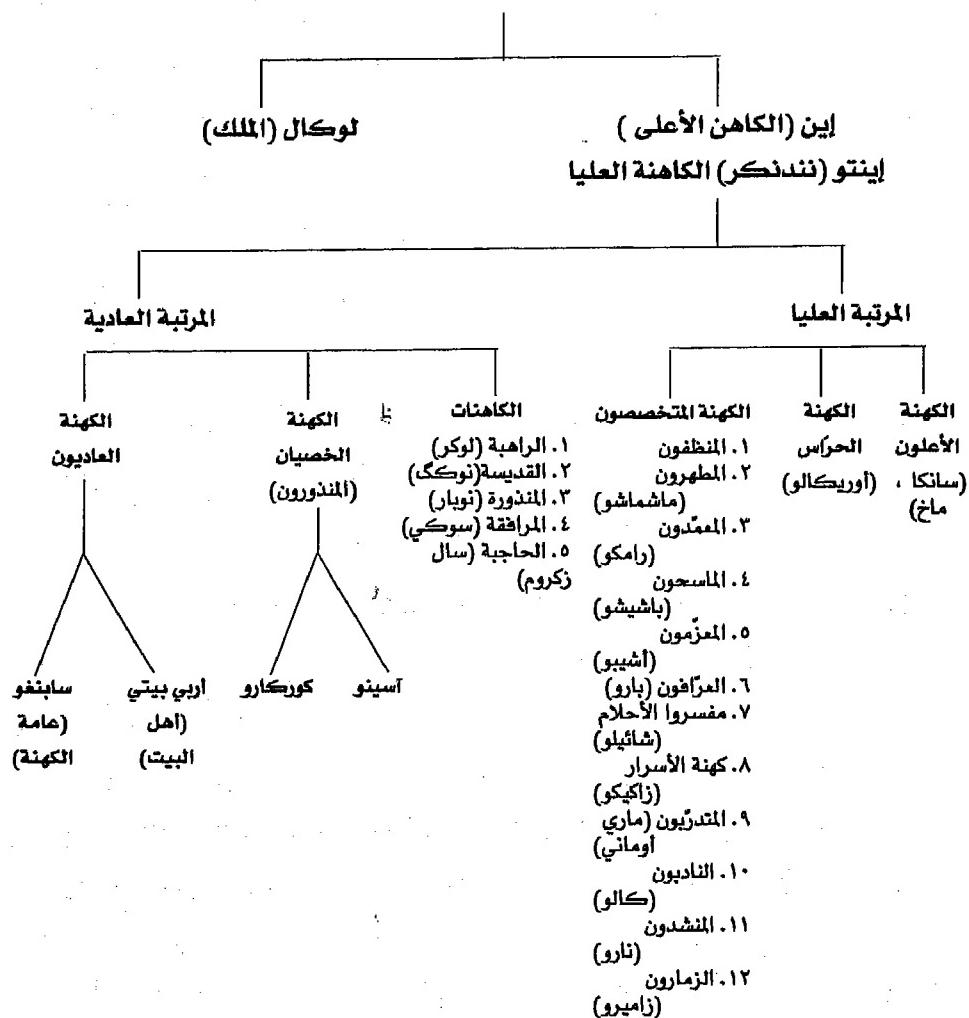
١ . ما قاله هيردوتس من أن على الكاهنات البابليات أو النساء البابليات جميعاً ممارسة البغاء ولو مرة في العمر . وقد كان هيرودوت قد ذكر في كتاباته أن هناك نساء في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد متاثراً بالبيئة الإغريقية التي كانت تختزن المرأة وتجبر المرأة على أن تكون موسمًا قبل الزواج .

٢ . ترجمة جينسن لدير عزلة النadies ترجمة خاطئة (الماخور)

٣ . الزواج المقدس الذي هو طقس مقدس يجري بين اعظم الكاهنات (إيتتو) والإله المثل بالملك ، وقد وجد بعض الباحثين الغربيين في هذه الممارسة نوعاً من البناء عمماً على كاهنات العراق القديم . واعتبروا البغي التي تلجأ الى المعبد وكأنها تمارس هنا الفعل في المعبد .

البغى بالسومرية اسمها (Kar. kid) وتقابلها في الأكديّة كلمة (حريمتو Harimtu) التي تقابلها في العربية كلمة الحريم والحرمة ونرى بقائها في الجنوب العراقي الشعبي بمعنى (الخارمة) أي المرأة التي لا نفع منها غير المدبرة وربما غير الشريفة ، «ويظهر من دراسة

## إنسي (باتيزي) الكاهن الملك



مخطط (١٠)  
هيكل المؤسسة الدينية السومرية وأصناف الكهنة السومريين

النصوص المسمارية بأن البغايا كان يمارسن البغاء أما في بيوت خاصة بهن أو في حانات بيع الخمور . تعرف حانات بيع الخمور بالسومرية (E. Kurunna) والأكادية بـ (Astamma) وكانت مثل هذه الحانات المكان الاعتيادي الذي تردد إليه البغايا في وادي الرافدين تدار عادةً أمامن قبل صاحب الحانة (في الأكادية Sabtu) أو صاحبة الحانة (Sabitu) والتي تعرف بالسومرية na - Kurun - Mi ، (عقاروي ١٩٧٨ : ١٩٧) .

٣. الكهنة العاديون : وهم الصنف العادي أو التقليدي من رجال الدين والذين لا يتلکون خصوصية كهنوتية مميزة وتجد منهم نوعين :

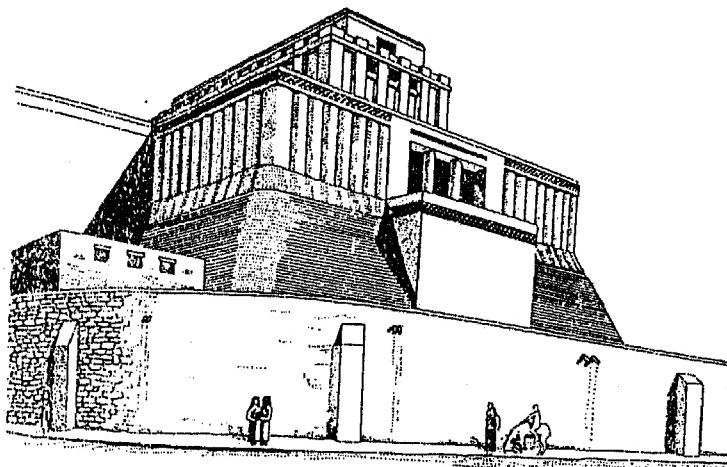
أ- سابينغو أي عامة الكهنة .

ب- أرببي بيته أي الداخلون إلى المعبد أو الذين لهم الحق في الدخول إلى المعبد بشكل دائم وكأنهم (أهل البيت) .

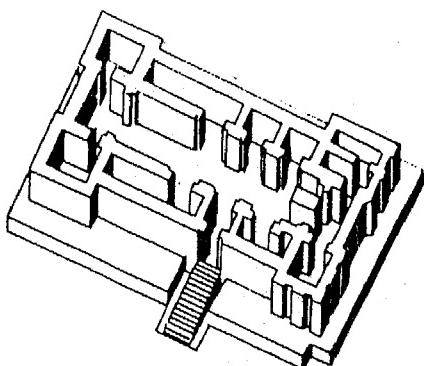
### ب. المعابد السومرية

بدأ ظهور المعابد في وادي الرافدين مع الانقلاب الكلوكيتي ، ويدلّانا نرى المعبد بصورته البسيطة في جنوب العراق القديم .. حيث كان المعبد نواة ظهور المدينة في المركز وطرد القرية إلى المحيط .

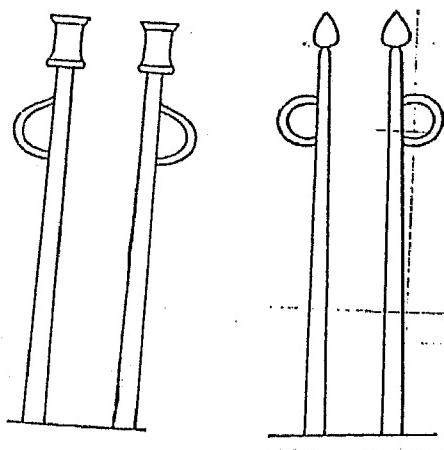
إن أول المعابد ظهر في أريدو (الطبقة السادسة عشر) وهو يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، وقد كانت هذه المدينة منذ القدم مخصصة للإله إنكي ، وهو «معبد ذي تخطيط مثير للإعجاب بالرغم من بساطته . إنه أقدم معبد مشيدتم اكتشافه حتى الآن ويضم عناصر استمرت حتى أزماننا عبر آلاف كثيرة من السنين والحضارات . فهو يحتوي على حرم مستطيل يبدو عليه بأنه كان مقسماً إلى منطقتين بجدران فاصلة . وفي أحدى النهايات يوجد مذبح صنع لكي يحتوي على منصة من اللبن ، فهنا يتوفّر لدينا ، كما هو في الواقع ، مخطط لكنيسة مسيحية غوذجية فيها مجاز مدخل والصحن والهيكل الذي يضم مذبحاً . ولقد كان معبد سليمان يضم تماماً ذات الترتيب الثلاثي : الرواق ، والمكان المقدس ، وقدس الأقداس . وعلى هذا فإن اثنين من أعظم الاديان العالمية التوحيدية قد أعادوا انتاج هيكل بناء المعبد العراقي » (بارو ١٩٧٩ : ١٠٠) .



شكل (٨٦)  
إعادة بناء معبد أوروك المبكر



شكل (٨٨)  
معبد سومري معاصر التصميم  
من الطبقة السادسة في أريدو  
(مرحلة العبيد ٤٠٠٠ ق.م.)



شكل (٨٧)  
رمز بوابة المعبد  
١. حوالي ٢٤٧٥ ق.م  
٢. خلال العصر الأكدي وما بعده ويرمز  
كذلك إلى بوابة السماء وبواحة العالم الأسفل  
رسم : علي محمد آل تاجر

ثم وسّع هذا المعبد الصغير فأصبح وسطه محلاً مقدساً للعبادة محاطاً بعدد من الغرف الإضافية . والمحراب الذي تواجهه منضدة النذور يوضع على أحد الضعلين القصبيين ، الجدران مشيدة بالأجر الطيني وعلى طريقة الدخلات والطلعات المتعاقبة على أبعاد متساوية ، وقد شيد المعبد كله على دكة أو مصطبة يصعد بها بمجموعة من السلالم المؤدية إلى مدخل المعبد . وقد رمز لبوابة المعبد بالعود المزدوج الذي يشبه الرمح (شكل ٨٧)

ويكمنا أن نقدم إحصائية أولية بالمعابد السومرية المهمة على ضوء التاريخ السومري :

#### ١ . معابد مرحلة الأصول (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م

١- المعبد الأول في أريدو الطبقة ١٨

٢- معابد أريدو من الطبقات (٩ - ٦).

٣- معابد أريدو من الطبقات (٦ - ٤).

٤- معبد كارا الطبقة (٨)

#### ٢ . معابد مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م

١- معابد إنانا في الوركاء

٢- زقورة آنور

٣- معابد أريدو ذات المصطبة العالية في الطبقات (٥ - ١).

٤- معبد خفاجي للاله سين (نانا)

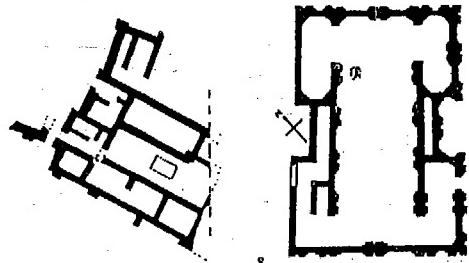
٥- معبد كورا الطبقة (٨)

٦- معبد تل براك ذو المدخل المزدوج

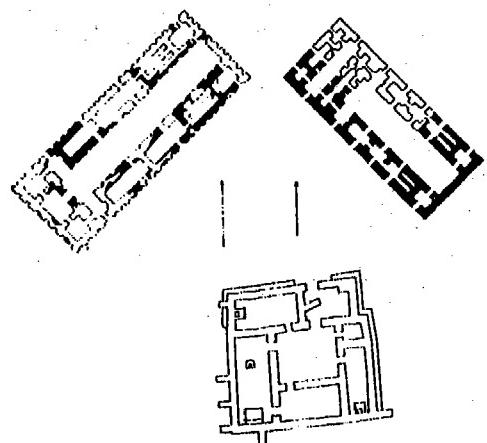
#### ٣ . معابد مرحلة دول المدن السومرية (٣٠٠٠ - ٢٤٧٠) ق.م

١- معبد ننخرساك في تل العبيد

- ٢- معبد أليل في نفر
- ٣- معبد أبو في اشنونا
- ٤- معابد خفاجي وهي ثلاثة (البيضوي، نتو، سين).
- ٥- معبد شارا في تل أجرب.
- ٦- معبد عشتار في آشور
- ٧- معابد ماري وهي ستة (إنانا، نخرساڭك، اوتو، عشتارات، نبي زازا، الزقرة).
- ٨- معابد مرحلة سلالة أور الثالثة (٢١٢٤ - ٢٠٠٦ ق.م) وامتازت بظهور زقورات (اور، أريدو، نفر، أوروك) وظهرت أيضاً المنازل السفلية خصوصاً في أور وهي أشبه بالمعابد السرية، ستناول نوذجاً من كل مرحلة بشرح مبسط، وقد أتينا على ذكر المعبد الأول في أريدو لأهميته التاريخية لأنّه أول معبد يشاد على وجه الأرض ويحمل المواصفات الأساسية للمعبد.



شكل (٨٩)  
معبدان من تبة كاورا  
الأول هو المعبد الشمالي في  
نهاية فترة العبيد  
الثاني هو المعبد الواقع شمال  
شرقي نينوى (٤٥٠٠ ق.م.).



شكل (٩٠)  
معبد إنانا في أوروك  
الأول من الطبقة السادسة  
٣٢٠٠ ق.م.  
الثاني من الطبقة الخامسة  
٣٤٠٠ ق.م (المعبد الصخري)

شكل (٩١)  
المعبد المربع (معبد أبو) في تل

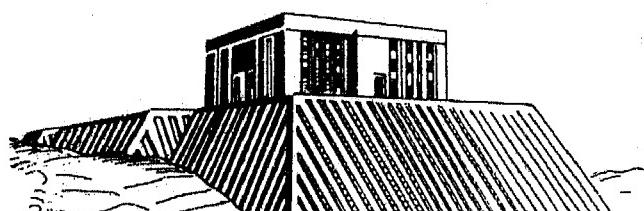
آسمرو ٢٧٥٠ ق.م

### معبد إنانا في أوروك

وهو معبد يمثل المرحلة الثانية من التاريخ السومري ، ويسمى (أي . annal E- ) (إنانا) يعني (بيت السماء) وقد كان مخصصاً لعبادة الإلهة إنانا باسمها القديم الأول (إينين) ، ويعتقد أنه كان في نفس الوقت معبد الإله دموزي .

ولهذا المعبد ميزتان معماريتان مهمتان الأولى هي أن مخططة الأرضي كان يشبه الصليب الذي تحيط به جدران مختلفة (انظر شكل ٨٦)

وقد يكون هذا نصحاً لا واعياً من بناء المعبد، حيث أن إنانا عند نزولها إلى العالم الأسفل تعلق على عمود بعد أن تقرر اختها موتها .. ثم ان دموزي زوجها يموت كل عام في العالم الأسفل (وللتذكرة مقارنات دموزي وإنانا مع السيد المسيح) .. أما الوجه الثاني للصلب وهو الأساس فهو انه كان رمزاً للخشب وإنانا ودموزي هما خير من يمثل الخشب . الميزة المعمارية الثانية هي الزخرفة الفسيفسائية المذهلة لأنصاف الأعمدة المشببة على الجدران ، وذلك عن طريق تثبيت عشرات الآلاف من المخاريط الطينية الصغيرة بعد تغطيتها في ألوان مختلفة حتى تصبح رؤوسها أما حمراء أو سوداء أو برتقالية باهته «وذلك دون ريب إختراع سومري بكل تميز ولغرض تنوع الجدران الداخلية والأعمدة الضخمة يلقون في غلاف الطين آلافاً من المخاريط المدببة الصغيرة ذات اللوان سوداء وحمراء وبضاء بطريقة لا تظهر منها سوى رؤوسها حيث تُولف أشكالاً متكسرة ومتقطعة ومترعرجة من معينات ومثلثات تغطي سطح الجدار ب مختلف الألوان . ويكون التأثير العام لذلك أشبه بالطنافس التي تتألف - بدلاً من أن تسجع بأصوات ملونة - من عدد لا يحصى من الحبات الصغيرة المصنوعة من التراب» (بارو ١٩٧٩ : ١١٥).



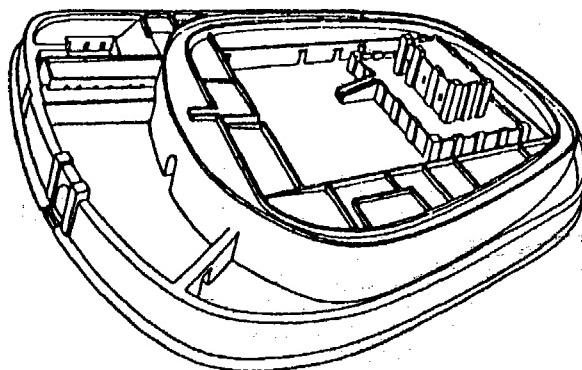
شكل (٩٢)  
ذِكْرُوْرَةَ آنَّا فِي أُورُوكَ

ويبدو أن المعبد كان شيداً فوق منطقة محيطة بساحة مركزية ومخازن وأماكن للأصاحي وجميع هذه المرافق والمعبد محيطة بسور. ويرى الباحثون الالمان بشكل خاص ان لهذا المعبد زقورة وأنها كانت تتألف في البداية من طبقة واحدة.

### **المعبد البيضوي في خفاجي (توتوب)**

يثل هذا المعبد ثوذاً فريداً لمعابد مرحلة دول المدن السومرية . تبلغ مساحة المعبد حوالي (٨٠٠٠) م٢ ، وأهم ما يميزه أنه محاطُ بسورين بيضويين يقع بينهما (بيت الكهنة). وتشتمل بناء المعهد على دكاكين ومخازن وقدس قدس في النهاية الأولى .

كان مدخل هذا المعبد سلماً يقع بين درجين . وتظهر خلوةٌ متميزةٌ . وكذلك ما يسمى بالطريقة المزدوجة التي كانت سائدة في النمط المعماري لهذا العصر ويبدو أن المعبد كان مبنياً على مصطبة عالية وما زالت الزقورة غير شائعة كثيراً في هذا العصر رغم وجودها .



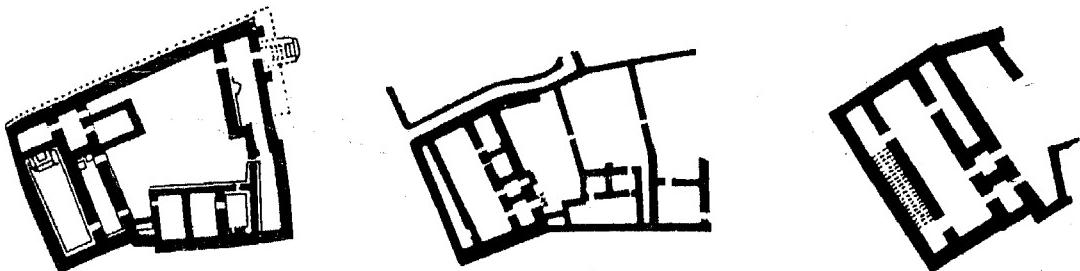
شكل (٩٣)  
المعبد البيضوي في خفاجي

### **زقورة أور (معبد إله القمر تانا)**

كانت الزقورة ابتكاراً سومرياً عظيماً لفن عمارة المعابد وقد كانت لكل من أور والوركاء ونفر ولارسا وأريدو زكوراتها الخاصة بها «وقد شيدت كل هذه الزكورات التي تتتألف من ثلاثة إلى سبعة طوابق من الأجر (غير المشوي من الداخل والمشوي من سطحه

الخارجي). فهذه النصب تذكرنا لأول نظرة بالأهرام المصرية. وبصفة خاصة بما عرف بهرم (سقارة) المدرج» (بارو ١٩٧٩ : ٢٥٤) ويبدو أن الزقورات السومرية كانت حافزاً لبناء الأهرام المصرية، رغم أن الأهرام اخذت خصوصيتها المصرية وإنها كانت بمثابة القبور العملاقة وليس المعابد.

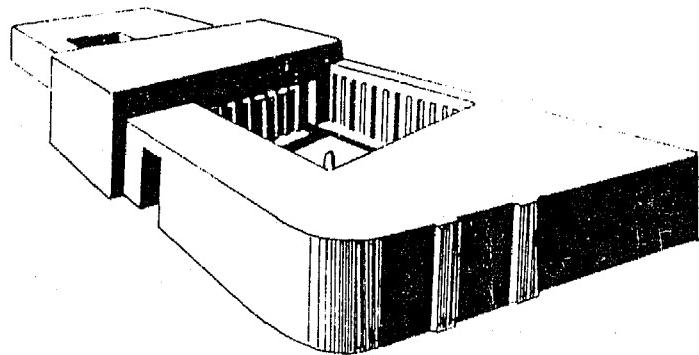
إن زفورة أور التي بناها الملك (اورغمو) ذات ثلاثة طوابق وتعلو الطابق الأعلى غرفة الإله (نانا) وقد وجهت زوايا المعبد الأربع نحو الجهات الأربع، ورتب التغليف على شكل طلعات ودخلات «أما السلالم الذي يهبط بعماد في اتجاهه مع الضلع الشمالية الشرقية فمن المحتمل أن يؤدي قديماً إلى الطبقة العليا التي شيدت عليها المعبد العالي الحقيقي . وأما السلمان الجانبيان فإنهما يرتبان عند الطبقة الأولى . بالسلم الرئيس الذي يؤدي بشكل منفصل إلى الطبقة الثانية من الزفورة (مورتكات ١٩٧٥ : ١٩٥).



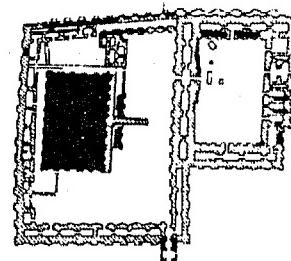
شكل (٩٤)

معابد الله القمر(سين)

١. الطبقة الأولى خفاجي قرب دياري ٣١٠٠ ق.م
٢. الطبقة الرابعة خفاجي ٢٩٠٠ ق.م
٣. الطبقة الثامنة خفاجي ٢٧٠٠ ق.م



شكل (٩٥)  
معبد الإلهة نني زازا في ماري ٢٤٠٠ ق.م



شكل (٩٦)  
معبد زقوررة نانا في أور  
سلالة أور الثالثة ٢١٠٠ ق.م

## ٩. الحكماء السبعة (أبكالو)

أفردنا لمبحث الحكماء السبعة فقرةً منفصلة لإيماننا أن هؤلاء الكهنة لا يشكلون مرتبة كهنوتية معروفة، ولكنهم في نفس الوقت يتلکون أهمية استثنائية في الماضي السومري وبوجهه الديني بشكل خاص.

الحكماء السبعة هم (أبكالو) وأحياناً يلفظون بـ(افكالو) سومرياً ولكن المصطلح الأكدي لهم هو بُلووكو (Pulukku). ويشير الأصل السومري لهم أنهم خبراء العرافين، أما المصطلح الأكدي فيعني حضراً (مراقبو النجوم) ومن هذا المعنى اشتقت كلمة (الفلك) فهي قريبة من بولوكو وكذلك كلمة (الأفك) اي الكذب التي تشير الى فئة الديجالين من العاملين في قراءة النجوم.

وقد أظهر نص مكتوب باللغتين السومرية والأكدية أسماء هؤلاء الحكماء السبعة الذين عاشوا قبل الطوفان، ويعتقد أن كل واحد منهم عاصر أحد ملوك الطوفان .. وكان هو مصدر الحكمة والدين آنذاك (انظر Reiner 1961 : ٤).

ويأتي ذكر الحكماء السبعة في اللوح الأول من ملحمة كلكامش :

«اعلُ فوق أسوار أوروك  
وامشِ عليها متاماً  
تفحصن اسس قواعدها وآجر بنائها  
أفليس بناؤها بالآجر المخمر؟  
وهلاّ وضع الحكماء السبعة اسسها ،

. (ياقو ١٩٨ : ٠٠ ٧٤).

ويطلق على الواحد منهم ايضاً لقب (متاكو Muntakku) ويعطي معنى المستشار. ويوحي كذلك بكلمة (النطق) وهي جزء من الحكمة فهم (المنطقيون) ايضاً. وكذلك اسمهم السومري Apkallu اي الافكل وتشير الى جذر سومري أقدم أبكال Abgal. وهناك مصدر يذكر أسماءهم الصريحة كما يلي :

١ . أدابا : ومعنى اسمه الحكيم أو العاقل أو العارف وهو كاهن التطهير لمدينة أريدو والذي صعد إلى السماء ، وتذكره أحد القصص الأكادية تفصيلاً ، بحيث انه كاد يحصل على طعام وشراب الآلهة فيكون بذلك خالداً إلا انه رفضأخذ هذا الطعام والشراب وخسر الخلود ، وأدابا شخصية سومرية عاشت في أقدم عصور ما قبل الطوفان . وتختلط شخصيته بشخصية أخرى هي (أوان Uan) وهي الشخصية التي ذكرها المؤرخ البابلي برعشا (Bersous) بصيغة (أوانيس Oannes) ، ولكن أوان أو أوانيس هذا على ما ييلو كائن اسطوري نرى أنه الإله الذي نسبه وقد أخذ اسمه الأكدي أو البابلي (أيا) وصيغة يونانية (أيانيس) بدليل أن برعشا يذكر بأنه كان يلبس ملابس سميكة وهو رداء الإله إنكي الذي كان يلبسه رهبانه وكهنته وتذكرهم النصوص المسماوية على أنهم صناع (Um-mianu) وهي تسمية قد تكون مصدر (أوان) .

٢ . نوبير كال نون كالدم : وهو الحكيم الثاني وكان حكيم إمبركار الذي جلب عشتار من السماء ووضعها في معبدها في أوروك (أي أنا)

٣ . بير كال نون كال : وهو الحكيم الثالث القادم من كيش والذي أغضب الإله أدد في السماء ، فقام هذا الإله بحبس الأمطار ثلاثة سنوات وماتت خلالها النباتات .

٤ . بير كال أبسو : وهو الحكيم الرابع الآتي من مدينة (أريدو) والذي أغضب الإله إيا أو إنكي في الـ (أبسو) .

٥ . لونانا : وهو الحكيم الخامس الذي طرد التنين (اوشنگالو) من معبد عشتار (لينكار نونا) .

أما الآثنتان الآخران فيصعب قراءة إسميهما (انظر Reiner : 1961: 4) ولكن هناك مصدر آخر يذكر اسماعهم السبعة بصيغة مختلفة وييلو ان لهم عدة ألقاب وهم حسب هذا المصدر (انظر Dalley 1989: 327) :

### ١ . أدابا Adapa

٢ . أوان دوغا U- an - duga

٣ . اينمي دوغا En- me - duga

٤ . اينمي كلاما galamala En- me -

٥. اينمي بلوكا En- me - buluga

٦. ان إنليليدا An- Enlilida

٧. اوتو ابسو Utu - abzu

ويبدو أن اسطورة الحكماء السبعة السومرية انتشرت في كل العالم القديم فالفرس والهنود والصينيون والاغريق، كل على حدة، لهم حكماء سبعة شادوا لهم حضارتهم القديمة وعلّموهم فنون الحكمة والعمارة.

وتشير أو تلمح كلمة أبگالو السومرية إلى معنى المخلوقات المركبة أو العفاريت التي تعمل تحت إمرة أبسو المياه العذبة العميقة أو مياه الانهار، والتي تقع تحت سيطرة الإله إنكي. وتصور هذه المخلوقات بجسم انسان ورأس سمكة وهو الزي الذي يشير الى كهنة الإله انكي لاحقاً. وهذا يعني انهم (رسل) أو مبعوثو أو حكماء الإله إنكي سيدهم أو سيد الحكمة.

أن ما يلفت انتباها في حكاية الحكماء السبعة هو تحديهم للآلهة رغم انهم استلموا الحكمة منهم «وهذا يعني أن حكمتهم كانت تدخلًا في شؤون وأنظمة الطبيعة، التي هي من اختصاص الآلهة حسب العقيدة اللاهوتية البابلية. وهذا التدخل، برأينا المعاصر، لم يكن سوى العمل للتحكم ببعض مساراتها، وهو ما نعتبر عنهاليوم باسم الاختراعات العلمية، التي ليست سوى الإفادة من مسيرة الطبيعة ذاتها. وإن مجرد ذكر تحدي هؤلاء الحكماء للآلهة ذكرًا محايدها، دون نقدمة أو شماتة يوضح القيمة الاجتماعية التي كان يتمتع بها الحكماء، والتي تجعله في مواجهة مباشرة مع غموض الطبيعة وجبروت آلهتها، وليس في وضع المنبوذ أو المرفوض لخطيبة تردد» (الحوراني ١٩٩٤ : ١٢).

إن ظهور الحكماء السبعة مع ملوك ما قبل الطوفان يشير من وجهة نظرنا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن الملوكية عندما نزلت من السماء فلا شك أنها نزلت من آن الذي كان قد سلمها إلى أنليل وهو المسؤول عن الملوكية أو السلطة. أما الحكمة فإنها خرجت من البحر وأخرجها كائن بحري أسطوري هو الإله (إنكي أو (إيا) نفسه إله الماء والحكمة .. وبهذا المشهد يتکامل ظهور الآلهة الثلاثة على الأرض من خلال عثرين لهم من البشر هم (الملوك والحكماء).

إن تلازم السلطة مع المحكمة في نظر السومريين هي من الأمور الأساسية لكي يحكم الإنسان على الأرض . ونحن نرى دور الحكماء السبعة في ترسير وتعظيم الدين السومري وال عمران السومري معاً كان أساسياً .

## ١٠. العود الأبدى

ترتكز فكرة العود الأبدى على أن ما يحدث في العالم وما نفعله مرتبٌ بحدث أولي ظهر في أقدم الأزمان وأننا نحاول تكرار نموذج مثالي أسطوري ويتبع ذلك رفضُ حديث للزمن التاريخي وعودة دورية لزمن الأحوال الميثية إلى (الزمان الكبير) .

ورغم أن العلامة مرسيا إلياد عالج بكثير من الدقة شواهد حضور فكرة العود الأبدى عند الأقوام البدائية ، لكن الأمثلة الرافدية والسمورية منها بشكل خاص كانت هي أساس هذه الفكرة ومنبعها .

ونحن لا نتحدث هنا عن فلسفة العود الأبدى عند اليونان أو عند هيغل أو عند نيشة بل إلى الأصول السمورية لفكرة العود الأبدى وكيفية ممارستها طقسيًا وفعلياً .

يرى السومريون أن العالم الذي نحن فيه ما هو إلا صدى أو تكرار لنموذج سماوي إلهي سبق ظهور عالمنا الأرضي والأنساني ، أي أن هناك نموذجاً أو مثالاً إلهياً نعمل نحن على إعادة التشبّه به دائماً ففي أقدم وثيقة حلمية تتعلق ببناء معبد في لكتش يرى كوديا في حلمه أن الإلهة (ندابا) أظهرت بناء المعبد على لوح جاء فيه ذكر النجوم النافعة وأحد الآلهة يطلعه على رسم الهيكل . وقد كان لأغلب المدن السمورية والبابلية ماذج سماوية برجمة فمدينة سبار نموذجها السرطان ونينوى نموذجها الدب الأكبر وأشور نموذجها القوس . وقد أمر الملك سنحاريب ببناء مدينة نينوى على حسب (الخطة المرسومة منذ الأزمنة السحيقة في هيئة السماء . والمثال لا يسبق التصميم الأرضي في الزمان وحسب ، وإنما هو يوجد في أقليم مثالي (سماوي) في الأزل أيضًا (انظر إلياد ١٩٨٧ : ٢٤) وكان العراقيون القدماء قياساً على أصل سومري يرون أن لدجلة نموذج سماوي هو النجم (عنونيت) وللفرات نموذجاً هو (نجم السنونو) . وهذا ما نلمحه في بقايا المعتقدات السمورية عند الصابئة حيث (نهر يردن) هو النهر السماوي لدجلة والفرات .

وهناك نص سومري يحدثنا عن (إقامة أشكال من الآلهة) ، حيث توجد ألوهة الماشية والحبوب .

إن العالم الذي نحن فيه لا يكتسب شرعية أخرى غير الشرعية التي ترتد إلى النموذج فوق الأرضي الذي جاء هذا العالم على مثاله. أي أن الإنسان يبني طبقاً للنموذج، ولا تقتصر النماذج السماوية على المدينة والمعبد وحسب، وإنما تشمل كل أقليم يسكنه وما فيه من أنهار تروي أراضية وحقول تغدو بالغذاء . . الخ، إن مخطط مدينة بابل يرينا المدينة في وسط إقليم دائري واسع يحيط به نهر «عامر» تماماً كما تمثل السومريون الفردوس من قبل (انظر الياد ١٩٨٧ : ٢٨).

وتشكل رمزية المركز واحدة من أوجه فكرة العود الأبدى التي تظهر من خلال الجبل أو المكان المقدس حيث تتلاقي السماء والأرض والذي يوجد في مركز العالم، وهكذا كان الاعتقاد بمدينة نفر التي كانت مركز العالم حيث انفصلت السماء عن الأرض في منطقة (أوزموا) فيها ولذلك تعتبر هذه المنطقة أشبه برباط الأرض والسماء أو (سرة الأرض) حيث خلق الإنسان لأول مرة في (أوزموا). ويرد اسم (دوكو) وهو (التل المقدس) عند السومريين ليشير إلى مجتمع الآلهة (الأنونا) عنده وربما وأشار حقيقةً إلى جبل حمرین .

وتفتقر رمزية المكان أيضاً في كل معبد أو قصر يشاد من قبل الملوك السومريين ولذلك كانت الزقورات والمعابد تحمل أسماء تشهد على تمثيلها للجبل الكوني (جبل البيت، بيت جميع البلاد، جبل العاصف، صلة ما بين الأرض والسماء . . الخ وتقول المدونة الحلمية للملك گوديا أن حجرة الإله التي بناها الملك كانت شبّهها بالجبل الكوني. وقد كانت الزقورة تحديداً جبلاً كونياً. أي صورة رمزية للكون، فالأدوار السبعة تمثل السموات السبع الكوكبية أو هي ملونة بألوان العالم (انظر الياد ١٩٨٧ : ٣٤-٣٣).

وقد تردد إسم سومير و Sumeru للجبل المركزي الذي كان يعتقد به أقوام الاورال (الألطائيق) باعتباره المكان الذي يتدلّى فوق قمته نجم القطب. وهو لاء الأقوام يرتبطون بذاكرة لغوية مشتركة مع السومريين ولهم صلات أصل مع سومر.

وكانت طقوس الزواج المقدس في سومر مناسبة لاحياء ذكرى كوسموغونية كانت تقوم بها الآلهة، ولذلك كانت استعادة هذه الذكرى في مهرجانات صاخبة تمثل إحياءً طقسيًا لبداية الخلق الكوني والزواج الألهي، وقد انسحبت هذه الفكرة تماماً على أعياد

رأس السنة الجديدة عند السومريين فقد كان «المغزى الإجمالي لهذه الاحتفالات، ومغزى كل عنصر من عناصرها المكونة لها واضحًا وضوحاً كافياً» : وفي أثناء قطع الزمان الذي تشكله السنة، لا نشهد إيقافاً فعلياً لفترة زمنية معينة وببداية لفترة أخرى وحسب، وإنما نشهد أيضاً إبطالاً للسنة الماضية والزمن المنصرم. وهذا ، من جهة ثانية، هو معنى التطهيرات الطقسية : حرق، ومحو للخطايا والذنوب التي اقترفها الفرد والجماعة في مجموعها، لا مجرد تطهير . إن التجديد هنا معناه الولادة الجديدة » (الإد ١٩٨٧ : ١٠٣) .

لقد كان عيد الأكيتو السومري عوداً دوريًا أبداً لبدء الخلقة، ولحظة شروع في بناء عالم جديد وكانت طقوس غياب دموزي أو نانا (القمر) أو دامو أو غيرهم من الآلهة غياباً مؤقتاً مناسبةً للطرد السنوي للخطايا والأمراض والعفاريت التي سببت مثل هذا الغياب وهي - في الأساس محاولة - ولو مؤقتة - لإعادة إنشاء للزمن الميشي والبدئي ، الزمن التقى ، زمن لحظة الخلق كل سنة جديدة فهي عودة بالزمان إلى بدايته، أي تكرار لولادة الكون . «وكذلك كان يحتفل بالعيد المسمى بـ (عيد المصائر) ، (زكمك) في الاطار نفسه الذي كان يُحتفل فيه بـ (أكيتو) في (عيد المصائر) حيث كان يتم تعين دلالات كل شهر من أشهر السنة الثانية عشر ، وهذا يعني خلق الأشهر الاثني عشر القادمة ، ، (الإد ١٩٨٧ : ١٠٧) .

لقد أصبحت كل هذه المداليل العميقة أساساً عملياً لفكرة وفلسفة العود الأبدي التي ظهرت بوضوح في المعتقدات اليونانية العرفانية كالفيثاغورية والرواقية ثم الغنوصية . ولنلمح كذلك جذور فكرة العودة الأبدي في الدورات الكونية الكبرى (السار) عند السومريين والبابليين حيث ينقسم الزمن إلى دورات فلكية تنتهي بحوادث عظيمة كالطوفان أو الحراق .

وقد شكلت هذه الأفكار أساس الفكر اليوناني حيث أصبحت «فكرتا العود الأبدي» و(نهاية العالم) دوريآ ذات حظوة كبيرة عند اتباع الفيثاغورية الحديثة التي اقتسمت مع الرواقية قبول المجتمع الروماني كله لها ، في القرنين الثاني والأول قبل المسيح . لكن اعتناق اسطورة (التكرار الأبدي) واسطورة (نهاية العالم) كان يمثل موقفين فلسفيين يسمحان لنا أن نستشف من خلالهما موقفاً معادياً للتاريخ بعيد الرسوخ ، وتأكيداً لإرادة اللوقاية من التاريخ (الإد ١٩٨٧ : ٢١٥) .

## ١١. جذور الهرمية والغنوصية

نرى أن الدين السومري كان ديناً شرقياً أصيلاً بالمعنى العميق للكلمة ، فقد عكس هذا الدين بيئة الشرق القديم تماماً ، وضمّ بذور الكثير من العقائد والاتجاهات التي ظهرت لاحقاً.

لم يكن نشوء الهرمية والغنوصية مرافقاً لتلاقي الفلسفة اليونانية بالشرق وظهور النزعة الهيلنسية ، بل كانت الهرمية والغنوصية من التيارات الشرقية القديمة . . بوجود عدم وجود هاتين التسميتين .

وهناك من يرى أن الهرمية ترجع إلى سومر ، فالأصل البابلي للهرمية والذي يقول أن هرميس كان بابلياً ورحل إلى مصر وبنى الأهرام هو كلام غير دقيق تماماً لأن المقصود ببابل هنا هو سومر ، فالأهرام بنيت قبل ظهور بابل وبعد ظهور سومر وتستمد الهرمية أصولها من ديانة الأسرار السومرية ومن السحر السومري ومن فكرة الأصول التي تكمن في سومر قبل مصر . ونرى أن الهرمية نشأت قبل الطوفان في سومر ، وأن أحد ملوك ما قبل الطوفان كان بلا شك هو هرميس الذي انتقل تحت هذا الاسم أو غيره إلى مصر ثم انتقل إلى اليونان ثم ظهرت الهرمية كتيار هيلنستي نشط قبل الميلاد بقرن أو قرنين . . ثم وجدت لها طريقاً في الأديان الموحدة الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) تحت مسميات عديدة .

أما الغنوصية (gnosticism) التي ترجمت إلى (العرفان) والتي يدعي أصحابها المعرفة الكاملة لطبيعة الله وصفاته . وهي نوع من المعرفة العليا والنور الروحي الذي تصل إليه النخبة المصطفاة . والغنوصية كتيار واضح ظهر مع سيمون الساحر ثم على يد ثلاثة من الفلاسفة الغنوصيين الذين عاشوا في أواسط القرن الثاني هم بازيليدس وفالنتينوس ومرقيون وركز هؤلاء على حقن الفلسفة بالأساطير وبناء هيكل مثولوجية داخل العقل الفلسفي ، وعلى هذا النحو نرى الغنوصية ، التي تخضّت من جهة أولى عن خرافات وحكايات اسطورية تتسع لجميع الصور الدينية التي تسكن عقل الشرقي ، ومن جهة ثانية عن عبادات ومارسات تطهيرية ترامت أنصافها وأثارها على امتداد الإمبراطورية الرومانية ، نراها لا تعقد إلا صلات غير مباشرة بتاريخ الفلسفة ، ، (برهانیه ١٩٨٢ : ٣١٠)

وتکاد الغنوضية والهرمسية تشكلان تؤاماً شرقى النبع أثارت مياهه حجارتان الأولى جاءت من الأديان التوحيدية وبشكل خاص اليهودية والمسيحية . والثانية جاءت من الفلسفة اليونانية التي وفدت إلى الشرق مع الإسكندر المقدوني .

وهكذا تطعمت الأديان الموحدة والفلسفة اليونانية بوشاحي الغنوضية والهرمسية ، لكن أصولهما العميقة تكمن في سومر .. وتحديداً في ديانة دموزي الشعبية والتي بدأت بالإنحسار والتواري مع مجيء الحضارات السامية ، ولكنها كانت تذهب إلى الأعمق بالاتجاه الأسرار والباطن .

إن طقوس وأسرار التموزية وما نتج عنها من عرفان ذوقي في معرفة الآلهة ، وفي الإنسان الأول ، ونزول الإنسان إلى الأسفل ، أو صعوده إلى الأعلى واتصاله بالآلهة .. كانت جزءاً من الدين السومري ذات يوم .

ولعل أقرب الديانات التي ما زالت حية والتي تمثل الغنوض السومري والهرمسية السومرية هي الديانة الصابئية المندائية التي تمثل في جوهرها الدين السومري ، وفي أسرارها الغنوض السومري ، وفي هيكلتها البناء الهرمسي السومري . وستكون لنا وقفة مطولة مع هذا الموضوع في الكتب القادمة (انظر الماجدی ١٩٩٧ ب)

## ١٢ . الاسکاتولوجیا السومریة

### ( عقائد الموت والخلود )

يتسع مفهوم الاسکاتولوجیا كثيراً ليتناول عقائد موت الكون والعالم والآلهة والإنسان .. وقد ناقشنا بعض جوانب عقائد موت الكون والعالم وأفكار العود الأبدی والسار السومري في الفصل الأول ضمن مثولوجیا الخلیقة . لكننا ستتناول هنا الأوجه المختلفة لعقائد الموت والخلود والروح والعقارب والثواب والعالم الأسفل .

### خلود وموت الآلهة

عرفنا أن الخلود كان من نصيب الآلهة وكانت الحكمة في ذلك هي « أن الآلهة مسؤولة عن إدارة الكون بجميع مظاهره المعقدة التي تفوق بكثير عوالم البشر ومن هنا فلا بد من أن تتتفوق الآلهة على البشر بقدراتها وبخلودها وإنما فإن الكون يكون عرضة

للفرضى والدمار حين موتها وهو أمر لا يستساغ حدوثه » (حنون ١٩٨٦: ٤٤) ولذلك كانت مادة أجساد الآلهة من الضوء وأجسامها عملاقة ، ولكن التشابه بينها وبين الإنسان شكلاً ومضموناً في السلوك والتصرف والتفكير ، ربا ، كان واحداً من الأسباب التي جعلها تتعرض أحياناً إلى القتل والموت ، فضلاً عن تعرضها للإنتهاك والمرض والإحتجاب .

لأنه تخلل الأساطير السومرية ، كما هي الأساطير الأكديّة والبابلية ، بموت الآلهة أثناء خلق الكون أو الآلهة فإذا هبّت التي هي مصدر كل الكون والآلهة تظهر فيما بعد في أسطورة خلق الإنسان وأمّا للإله إنكي ، بينما ثارت الآلهة تيامت وأبسوا ثمو وكنگو في أسطورة الخليقة البابلية .

لكن هناك لوحاً مكتوباً بالأكديّة ترجع أحداه إلى العصر السومري أو ما قبله تشير إلى أن آلهة ، الانوناكى طلبت من الإله إنليل بعد خلق الكون أن يسمح لها بذبح عدد من الآلهة المسماة (لامكا) التي كانت تعتبر آلهة البنائين وقد تم ذلك في منطقة (اوسموا) في مدينة (نفر) ليخلق الإنسان من دمائه .

أما الموت السنوي المؤقت للآلهة فقد كان هناك أربعة آلهة ذكور تعرضوا للتزول إلى العالم الأسفل والموت فيه وهم :

١. دموزي إله مدينة أوروك جنوب سومر على أثر نزول إنانا إلى العالم الأسفل و اختيارها له بديلأً عنها بسبب عدم مبالاته وحزنه أثناء موتها المؤقت .

٢. ننجشزيدا (جشيدا) في جنوب سومر ويرتبط اسمه بدموزي فهو يقضي جزءاً من العام في العالم الأسفل ثم يصعد إلى السموات ، ويعتقد أن الإله ننجشزيدا الله خصب أيضاً ، وقد جاء رمزه كشعبان مطابقاً لشخصيته لأن الشعبان يغير جلده كل عام ، ولأنه يخرج من جحور عميقة في الأرض أي من العالم السفلي .

٣. دامو : إله مدينة إيسن في وسط سومر ، وإله مدينة جرسو أيضاً حيث يذهب إلى العالم الأسفل وت بكى عليه أمّه (نيني - سنا) إله إيسن ، وهو إله الشفاء في إيسن . وتراتيل البكاء عليه تشبه تراتيل دموزي .

٤. ليل (LIL) : إله مدينة أداب في وسط سومر ، وهو إله غامض ، أمّه الإلهة ننخرساج وأخته أجيمما التي تقوم بالتماس العذر له بتراتيل خاصة تشبه تراتيل گشتـن أنا :

، أخاه ، انهض من قبرك ، أمك تنظر إليك  
أمك تنظر ساج تنظر إليك

تستمع إلى شفتوك الحلوتين

تستمع إلى فمك الحلو  
يا ولد ، لا تدع أمك تجلس وتبكي

لا تدع تنظر ساج تجلس وتبكي

لا تجلب لها الخراب ، انهض من قبرك

ليل .. لا تجلب لها الخراب

انهض من مرقلتك ..

يقول ليل :

خلصيني ، يا أختاه خلصيني

أجيما ، خلصيني ، يا أختاه

لا تعقيني .. خلصيني يا أختاه

لم أعد قادرًا على الرؤية

يا أمي يا نمامخ لا تعقيني

لم أعد قادرًا على الرؤية

قبري غبار العالم الأسفل

أنا نائم بين الأشرار

نومي عذاب وأنا بين الأشرار

أختاه ، لا أقدر على النهوض من قبري »

(Thoro and Dangan 1922 : 175 )

٥. ساتران إله القضاء في مدينة دير شمال سومر ولا يعرف سبب ذهابه إلى العالم الأسفل .

٦. ننكر سو إله مدينة بخش في جنوب سومر حيث تقوم الإلهة (بابا) بانقاده من العالم الأسفل .

٧. تشباك إله مدينة أشنونا .

٨. أبو إله مدينة أشنونا .

هؤلاء الآلهة تعرضوا للموت المؤقت كأنعكاس خصب الأرض وخرابها المتلاحق في فصلي الصيف والشتاء فهو موت دوري ومحسوب .

أما الآلهة التي تعرضت للموت في حالات خاصة غير متكررة فقد شملت الإله إنليل عندما طرده الآلهة وبنته ننليل ، وهناك أسطورة سومرية حول إشكرو ، تذكر إختفاء هذا الإله وكيف أن والده الإله إنليل جمع آلهة الأنوناكي لاستعادته وقد تطوع الشعلب لاستعادته من العالم الأسفل (أنظر 339 : Tallqvist 1938) وأسطورة إنكي وننخرساج في دلون وتعرض إنكي للموت .

### موت وخلود الإنسان

الموت هو الأمر الطبيعي عند الإنسان أما الخلود فأمر نادر جداً وقد ذكر لنا التراث السومري خلود بعض البشر منهم (زيوسدرا) الذي خلص البشرية من الطوفان ، والملك السومري (إينميدير أنا) الذي استدعى إلى السماء وتسلّم هناك أسرار فن العرافة (البارو) وربما يكون قد منح الخلود ، وقد فشل أدبًا في الخلود ، ومنح (اتانا) القدرة على الإنجاب فقط .

ونرى أن الموت فرض حتى على الملوك المؤلهين مثل شولكي وخلفاؤه ملوك أور الثالثة ، وفرض الموت حتى على گلکاماش الذي كان ثالثه من الآلهة ولكن ثلثه البشري قاده إلى الموت ولم يكتبه من الحصول على الخلود .

### الروح ومصيرها بعد الموت

اعتقد السومريون أن الإنسان مكون من عنصرين مختلطين هما :

الجسد الذي يرجع أصله إلى الماء والصلصال (الطين) وهو العنصر المرئي ، والروح التي يرجع أصلها إلى الآلهة التي نفخت في الإنسان هذه الروح من أنفاسها ، والتي لا تُرى .

وقد اعتقد السومريون أن الموت يرجع جسد الإنسان إلى الطين عندما يدفن في القبر ولا يعود له وجود (إلا ما يتبقى منه من عظام ) . أما الروح فلأنها من الآلهة فإنها تذهب إلى العالم الأسفل وتحبس فيه إلى الأبد .

أطلق السومريون إسم (GIDIM) على روح الميت وشبحه والتي تعني مخلوق الظلام ، وكذلك يمكن إطلاق كلمة آدم (IDIM) وإيدم (EDIM) أي المظلوم التي اشتقت منها الكلمة الأكديية (ادمو ، اطموم) وقد استقرت كلمة (خدم) على أن تكون رديفة لـ (شبح) وانسحب هذا حتى على الآلهة فكانت أرواح (أشباح) الآلهة مثل برموزها الحيوانية في الغالب (إنليل : حمار الوحش ، آن : الذئب ، تيامت : الجمل)

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن خلود الروح بعد الموت يتوقف على سلامه الجسد الذي كانت فيه ولذلك اعتنوا بتحنيط الأجساد لضمان خلود الروح ، أما السومريون فلم يقيموا علاقةً بين حالة الجسد والروح بعد الموت بل رأوا أن طقوس الغسل والدفن الصحيح والأصحي هي الأساس في راحة الروح (وليس خلودها) بعد الموت في العالم الأسفل ولكنها مع ذلك تبقى إلى الأبد حبيسة العالم الأسفل .

إن الروح تدل على الحياة التي كانت تعني عند السومريون بكلمة (ZI) وهي حرفيًا هبوب الرياح ولذلك فإن كلمتي (روح ، ريح) في العربية لهما علاقة وثيق لأنهم خرورج الروح على شكل آخر الانفاس . وفي الغالب تصوروا أنها على شكل طائر يخرج من صدر من الميت ويتجه بإتجاه الأفق غرباً حيث مغيب الشمس إذا كان الميت غير مدفون ، أو تنزل من القبر إذا كان مدفوناً ، بإتجاه العالم الأسفل وأول من تقابله الروح في العالم الأسفل هو نهر العالم الأسفل (ايلوروكي) (خبر) وملاحة الذي يحملها بقارب ، وقد عثر في مقابر مرحلة جمدت نصر على قوارب فضية وقيرية للقيام بهذا العمل .

بعد ذلك تدخل الروح في أول بوابة من بوابات العالم الأسفل وكان ذلك يتم بواسطة وضع روح الميت في عربة تجرها الحيوانات ، وقد عثر على عربات مع حيواناتها

في المقابر الملكية في أور وكيش ، وكان حاجب البوابة الأولى اسمه (نيتي) أو (نيدو) هو الذي يشرف على هذه العملية . ثم تبدأ باجتياز بوابات العالم الأسفل السبعة جميعها .

المرحلة الأخيرة هي وصول الروح ( وهي على شكل الإنسان نفسه ولكن مزودة بأجنحة ) إلى العالم الأسفل حيث تعيش هناك مع بقية الأرواح ، وتقرر منزلتها على ضوء أمرين أولهما عدد الأبناء الذين انجبوthem في العالم الأعلى فكلما كثر الأبناء ارتفعت منزلتها وثانياً سلامـة طقوس وأضحـيات الموت .

وفي العالم الأسفل تُمنع روح الإنسان من ارتداء ( النعال ، اللباس ) وتُمنع من وضع العطور ومسك السلاح وإحداث الأصوات العالية . وهناك بعض الأرواح التي لأصحابها مقام كبير في العالم الأعلى يمكن أن تخوض بامتيازات عديدة قد تصل إلى دخول قصر العالم الأسفل الذي يسكن فيه إليها العالم الأسفل الكبيران ( نركال ، ارشيكيـكال )

ومعروف أن الذين يقتلون ظلـماً والذين ليس لهم قبور تبقى أرواحـهم داخل العالم الأسفل قلقـة وغير مستقرة وقد تخرج نتيجة لذلك خارج القبر إلى عالم الأحياء وتسبب لهم الأذى والإزعاج وهي الأرواح التي يحاول طردها الكهنة لأنها تسبـب الأمراض والمشاكل لسكنـة العالم الأعلى .

أما أهم الأرواح التي أصبحـت في مقام الأرواح الشفـيعة للبشر فهي أرواح السومريـن ( ايـانا ، لوـكـالـبـنـدـا ، كـلـكـامـشـ ، اوـرـنـتوـ ) .

### **الحساب والعقاب والثواب بعد الموت**

ليس هناك ما يشير إلى أن الميت في العالم الأسفل يلاقي الحساب ومن ثم العقاب والثواب على ما قام به من أفعال في العالم الأعلى ، ولا تشير النصوص السومـيرـية إلى ذلك ، لأن السومـريـن كانوا يعتقدـون أن الموت بـحد ذاتـه أمسـى عقوـبة لـلإنسـان وليـس هـنـاك من ضـرورة لـمحاسبـته عن أـعـمالـهـ فيـ الدـنـيـاـ ، ولـكـنـ استـعـطـافـ الآـلـهـةـ وـالتـقـرـبـ إـلـيـهـاـ عنـ طـرـيقـ الأـضـاحـيـ وـالـتـعـاوـيـدـ وـالـصـلـوـاتـ كانـ اـمـراـ مـحـبـاـ يـبـدوـ لـنـاـ مـنـ خـلـالـهـ بـأـنـ هـذـهـ الآـلـهـةـ كـمـاـ لـوـ أنهاـ سـتـحـاسـبـ أوـ تـقـيـمـ سـيـرـةـ المـوـتـ .

وعلى العـكـسـ منـ ذـلـكـ كانـ المـيـتـ فيـ الـاسـكـاتـولـوجـياـ الـمـصـرـيـةـ يـتـعـرـضـ لـحـسـابـ عـسـيرـ وـلـعـقـابـ وـثـوابـ .

وهكذا يكون الميت سواء كان خيراً أو شريراً دون حساب و «لا يحمل وزر خططياته» معه إلى العالم الأسفل وأما تبقى يتتحملها ورثته وأفراد عائلته ولم يكن وجوده هناك يتأثر بما اقترفه وأما بحسب مكانته في عالم الأحياء وبما تقدمه له عائلته وورثته من قرابين وما تقدمه لروحه من شعائر جنائزية ، ، (جنون ١٩٨٦ : ١٤٥) .

### هل هناك جنة ونار في الفكر الديني السومري ؟

ليس هناك جنة ونار (فردوس وجحيم) في الفكر الديني السومري على غرار ما تعرفنا عليه في بعض الأديان المتأخرة والموحدة بشكل خاص ، فالموت هو الموت ، لا الخلود ولا جنة ولا جحيم فيه ، لكن الروح كما قلنا تبقى خالدة في العالم الأسفل اسيرةً إلى الأبد فيه . والجسد يبلق في القبر ويتحول إلى تراب .

هناك من الباحثين من يحاول المطابقة بين الجحيم بمفهومه المسيحي والنار أو جهنم بمفهومه الإسلامي مع العالم الأسفل السومري وهذه مغالطة كبيرة لأن الجحيم أو جهنم يقعان في السماء عند المسيحية والإسلام .. وأنهما ينبعان من مفاهيم الحساب والعقاب والثواب في هذين الدينين ، اللذين لا أثر لهما في الفكر السومري .

وكذلك هناك من يطابق بين الجنة (الإسلامية) والفردوس (المسيحي) مع العالم الأعلى السومري أو مع (دلون) و (عدن - ادنو) السومريين وهذه مغالطة ثانية لأن مفهومي الدين الإسلامي والمسيحي حول ذلك مختلف كلباً.

أما العالم الأعلى السومري فهو عالم الآلهة الذي يتربع الاله آن على قمته (في السماء السابعة) ويقف على بوابة آن الآلهين دموزي وننكشزيدا كحارسين ، ولا يصل البشر إلى هذا المكان مطلقاً إلا في حالات استثنائية كما حصل مع (آدابا) و (إيتانا). ودلون مكان حقيقي يقع في الخليج العربي وهو على الأرجح البحرين ويسبب من الحياة الهائمة والجميلة هناك فقد وصف هذا المكان على أنه مكان يشبه الفردوس حيث لا أمراض ولا بكاء ولا شيخوخة ، وكان كل هذا يجري في إطار وجود الآلهة (وليس البشر) في هذا المكان - راجع اسطورة انكي وننخرساج في دلون .

ولم يصل إلى هذا المكان واحدٌ من البشر سوى (زيوسندا) وهو الملك الحكيم الذي انقذ البشر من الطوفان فمنحته الآلهة الخلود ووضعته في دلون . وليس هناك ما يشير إلى أن هذا المكان يشكل الجنة أو الفردوس السومريين بالمعنى الديني المعروف .

اما (عدن) فهي كلمة عربية بذرها القديم سومري هو (Edin) بمعنى السهل، الأرضي الزراعية السهلية) وتظهر لنا وثيقة سومرية من عصر فجر السلالات حوالي ٢٤٥٠ ق. م أن (أدن) كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوب مدينة (أوما) أو (جوخة حاليا) وغربي مدينة لگش وهي المنطقة التي كانت سبب صراع طويل بين هاتين المدينتين. ويبدو أن هذه المنطقة كانت تحفل بالبساتين والمزارع الزاهية وانها كانت مليئة بالأنهار والفاكهة والشمار ولذلك وصفت وكأنها فردوس .

ثم أننا نجد ما هو مشترك بين الكلمة السومرية (إدن) والكلمة العربية (جنة) ويد أن الكلمة (إدن) كانت جذر جنة ولكن هذه الملاقة الشكلية اللغوية لا تعطينا المسوغات للمطابقة بين (ادن) السومرية والجنة الاسلامية ، إذ ربما هناك لقاءً من هذا النوع بين (عدن) العربية والجنة الاسلامية وكلاهما متطور عن المفهوم السومري ولا يطابقه.

### **الحساب والعقاب والثواب في الحياة**

هل يوحى عدم الحساب والعقاب والثواب بعد الموت في العالم الأسفل بعدم وجود عدالة الهيبة سومرية نعم اذا لم يكن هناك بديل عن ذلك . ونقول ان الحساب والعقاب والثواب اشياء كانت تجري في الحياة الدنيا ، وليس في الآخرة السومرية .

كان السومريون يطلقون على الخطيئة الدينية مصطلح (نيكيك Nig.gig) ومصطلح (سيبيدا Se bi. da) وكانت في الأكادية اكييو اي الكبيرة وخطاو اي الخطيئة .

اما الخطيئة السياسية والأخلاقية فكان السومريون يسمونها (نامتاگك Nam. Tag) يقابلها بالأكادية آتو وارنو اي الاساءه .

وكان الانسان مهيئاً دائماً للخطيئة وارتكاب الشرور ، عن وعي أو دون وعي ، وهناك انواع كثيرة جداً من الخطايا مثل معصية الآلهة واذى الناس واحتراق نواميس الاخلاق وعدم القيام بواجبات الانسان تجاه الله .

وكانت الخطايا مدخلاً لأن يتخلى الله عن الانسان ، وعند ذاك يفقد الانسان التوازن ويصبح مهيئاً للکوارث والويلات والاضطرابات والمرض وربما الموت .

ان الخطيئة ادن هي مصدر العقاب .

اما الحياة السوية الفاضلة فكانت مصدر الثواب .

وكان الآلهة يتزمون ويعهدون بحماية الإنسان من كل سوء اذا قام بطاعة الآلهة واداء القرابين وبناء المعابد وكان متوازناً في حياته مع الآخرين دون شرور أو خطايا . فإنه يمنح السعادة ويتجنب الألم . وقد قادت فكرة الحساب والعقاب والثواب في الحياة الدنيا السومريين إلى التمسك بالحياة ومباهجها من ناحية وإلى الالتزام الأخلاقي والديني من جهة أخرى . . وكان هذا التوازن له دور كبير في تشكيل النظرة الصافية للحياة والدين عند السومريين .

ويبدو أن الظلم والحياة الشريرة التي مرت المجتمعات البشرية القديمة هي التي قادت مع الزمن إلى ابتكار فكرة الحساب والعقاب والثواب في الحياة الآخرة لتوعد الظالمين بالدمار وتوعد المحسنين بالثواب مما يجعلهم جمياً ينتبهون لهذا الوعيد قبل موتهم فيحسنون سلوكهم .

### **تكوين عالم الموت (العالم الأسفل)**

يقع العالم الأسفل تحت مياه الأعماق (أبسو) التي تقع تحت قرص الأرض وهو عالم مغلق يشكل تقريراً قعر النصف الكروي السفلي من الكون وكان هذا العالم يسمى عند السومريين باسماء كثيرة منها .

١. كي . ماخ Ki. Mah وتعني حرفيأً (الأرض الكبيرة) وتشير إلى القبر .
٢. كي . گال Ki. Gall وتعني حرفيأً (الأرض العظيمة) . تشير إلى العالم الأسفل كله .
٣. أرالي Arali وهي تسمية شعبية للعالم الأسفل .
٤. أبسو Apsu وهي تسمية لمياه الأعماق وتشير للعالم الأسفل
٥. كي گال داماال Kigall. Damal وتعني الأرض الفسحة
٦. كورنوكي أو كورنوكيا Kurnugi , Kurnugia وتعني أرض اللاعودة
٧. كي سد Ki. sud الأرض البعيدة .
٨. كي باد Ki. pad الأرض الخصبة

- ٩ . كورساكك Kur. sag أرض الموتى
- ١٠ . كورآشي أرّاكى Kurashiararki أرض النحيب
- ١١ . عدن edin وتعني الصحراء أو السهل
- ١٢ . كي آريا Ki aria وتعني القراء
- ١٣ . كور Kur وتعني الجبل أو المكان المقرر .
- ١٤ . ايكور E. kur وتعني البيت الجبل .
- ١٥ . ايكور باد E. Dumuzi وتعني بيت دموزي .
- ١٦ . ايدموزي E. Dumuzi وتعني بيت دموزي .
- ١٧ . اوروگال - وتعني المدينة العظيمة
- ١٨ . كأنزي آر ar Ka. an zi ar وتعني (كتزير) البوابة الأولى للعالم الأسفل  
هذه هي أغلب الأسماء السومرية للعالم الأسفل وهو عالم الموت ومعظمها يشير  
إلى عظمة هذا العالم وبُعده وعدم العودة منه .
- أما مداخل هذا العالم فيعتبر القبر أهم مدخل إليه ، والجهة الغربية من أرض وادي  
الرفدين حيث مغيب الشمس . وهناك بوابات خاصة تؤدي إليه مثل بوابة الوركاء  
(اوروك) . . وتعتبر الحفر العميق في الأرض مداخل لذلك العالم . كما ويجد الإشارة  
إلى هناك ما يشبه السلم الذي يوصل بين العالم الأعلى والعالم الأسفل لتنزل عليه الآلهة  
وبالعكس كما اشارت لذلك اسطورة نركال واريشكيگال .
- ويكون العالم الأسفل في نظر السومريين من ما يلي :
- ١ . نهر العالم الأسفل (اي - لو - رو - كي) اي النهر الذي يعبر منه الإنسان وفيه  
مراكب وملاح لنقل ارواح الموتى .
  - ٢ . اسوار العالم الأسفل السبعة وابوابها التي يحرسها سبعة آلهة من الدرجة  
الثانية .
  - ٣ . قصر اريشكىگال واسمه (اي - گالكينا) اي قصر العدالة وهو قصر مصنوع من  
اللازورد .

٤. قصور الارواح المهمة من الملوك الكهنة.

٥. الغبار الذي يغطي كل شيء.

أما سكنه هذا العالم فهم كما يلي

١. الإلهين العظيمين الحاكمين (نرگال ارشكىگال)

٢. الآلهة الأبناء والأحفاد لهما وهم (ننازو ، ننجشزيدا ، دامو ، خندرساج) وأزواجهم من الآلهات .

٣. الآلهة الاتباع لهما مثل (ثتار ، گشتان آنا ، خمط تبال)

٤. حجاب العالم الاسفل السبعة وهم حراس البوابات السبعة :

١. نيتى

٢. كشار

٣. انداشرما وزوجته ننداشرما

٤. انرلا

٥. انديگا وزوجته نندىگا .

٦. انديشا

٧. انگيگي

٥. الآلهة الذين ينزلون إلى العالم الاسفل بشكل دوري (دموزي ، دامو ، ساتران ، ليل).

٦. آلهة لا نستطيع تفسير وجودهم (سموگان ، شلباية ، انل وزوجته).

٧. الملوك والكهنة الكبار لسومر وسبق ذكرهم

٨. الشياطين بكل اصنافهم

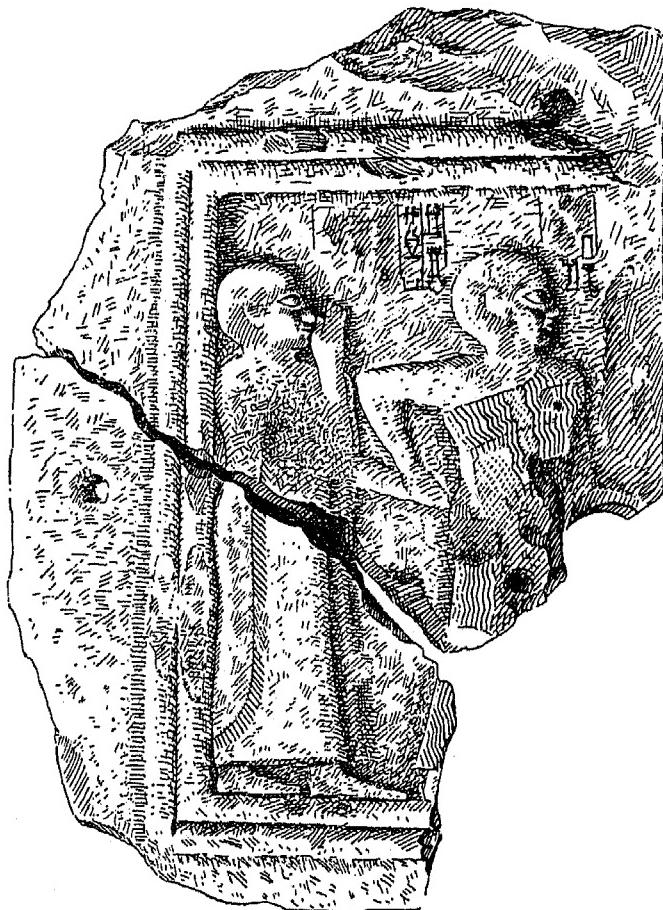
٩. أرواح الموتى .



## الفصل الرابع

### الطقوس السومرية

(دراسة في الطقوس والشعائر الدينية السومرية)





الطقوس السومرية هي الشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت وتعبر عن بعض جوانب المثولوجيا وتكتسبها صفة الديومة والإتصال مع اللاهوت .

إن الطقوس السومرية بالقدر الذي تشكل امتداداً للكثير من الطقوس القبل تاريخية فإنها لا شك تعبر عن النظام الديني السومري الجديد الذي أسست ملامحة في غضون الألف الرابع قبل الميلاد .

وتحدر الطقوس السومرية من ماضٍ بعيد ، ربما ابتعد إلى عشرات الآلاف من السنين ، فالطقوس كانت السبيل الأبسط والأوضح للأديان التي سادت عصوراً قبل التاريخ وكلما توغلنا في القدم أصبحت الطقوس بأشد بساطة .. وأصبح الدين طقسيّاً أكثر من أن يكون لاهوتياً أو مثولوجياً .

ولعلنا نلمس الطقوس وهي تتضح بشدة في السحر الذي هو دين بدائي أكثر مما هو مرحلة متعارضة مع الدين ، والسحر هو مثال غنوجي لسيطرة الطقس في النظام الديني على حساب اللاهوت والأسطورة .

لقد كان أجداد السومريين في سامراء ، على سبيل المثال ، يمارسون طقوساً عديدة ، استطعنا التعرف على أحدها من خلال نقش خزفي ، ذلك هو طقس الإستسقاء أو إنزال المطر الذي كانت تقوم به أربعة نساء يتقابلن في موقع كأنها الجهات الأربع للكون ويقمن بشر شعورهن إلى هذه الجهات فيتحرك الهواء في منطقة رقصهن ، وتقوم فكرة هذا الطقس على أن الهواء إذا تحرك في هذه المنطقة من العالم فإنه سيتحرك في العالم كله ويجلب

الغبوم التي تجلب معها المطر اعتماداً على المبدأ السحري الأول الذي هو مبدأ التشابه الذي يقول بأن التحكم في جزء من الظاهرة يستدعي التحكم بالظاهرة كلها . ولا يعتمد هذا الطقس على عقيدة دينية مركبة بل على اعتقاد بسيط مفاده أن الإلهة الأم أو المرأة الساحرة هي التي تستطيع ، دون الرجل ، ان تقوم بهذا الطقس ، وهذا جزءٌ من العقيدة النيوليثية بالإلهة الأم التي كانت سائدة آنذاك . ولم يكن الأمر بحاجة إلى مثولوجيا مركبة فحضور الإلهة الأم مثلثة بالساحرة وبالعقارب الثمانية التي تؤطر الطبق الحzewي يشير إلى الإلهة الأم ويتجزأ عن حركة الساحرات الأربع شكل الصليب المعقوف (السواستيكا) الذي كان يرمز به الإنسان للخصب .

السحر اذن طقسٌ أولٌ مع وشاح عقائدي ومثولوجي بسيط . «فإذا قارنا مثل هذا الطقس السحري بطقوس الخصب في الديانات ذات المعتقدات والأساطير الغنية المركبة ، أدركنا مدى بساطة الفكرة الكامنة وراءه فالساحر هنا لا يقرب الذبائح إلى الآلهة العليا ولا يصلّي لها ولا يقود دراما طقسية معقدة لإحلال الخصب . وإنما يقوم بالتأثير على ظاهرة الطبيعة من خلال تلك القوة الغفلة التي تسري في كل شيء ، والتي من شأنها تحويل الإجراء الطقسي إذ يجري في هذا الجانب إلى فعل حقيقي يتم في الجانب الآخر» (السواح ١٩٩٤ : ٦٣) .

وعلى هذا الأساس يتخفى السحر في نسيج الدين من خلال الطقوس بشكل خاص ، ولا نلمحه بشكل بارز إلا في تلك الطقوس التي نسميها طقوس الأسوار أو الطقوس السرية التي تحكي بوضوح عن السحر والعرافة والتنجيم .

إن هذا لا يعني أن السحر يختفي من الطقوس الدينية اليومية والدولية بل هو موجود فيها بشكل أو باخر طالما كانت طقوساً يمارسها المتبعدين بآياته وصدقه .

وتتشعّش الطقوس وتعتقد ، ليس بوجود السحر أو مظاهره فقط ، بل كلما كانت الأساطير مركبةً معقدةً وغنية .. وتهبط الطقوس نحو البساطة ؛ كلما مالت الأساطير إلى التوحيد والتفريد والتجريد . ولذلك يمكننا الحكم على الطقوس السومرية والقول بأنها كانت طقوساً شديدة الغنى والتركيب لأن هناك نظاماً مثولوجياً غنياً ومتعدداً كان يقف خلفها وكان يشدّها إلى لاهوت غني ومركب أيضاً .

## ١. الطقوس اليومية

كان السومريون شعباً متدينأً بالمعنى العميق لهذه الكلمة، وكانت تسير هذا الشعب خشيتـه من الآلهـة وتحسبـه من ارتكـاب الخطـيـة ، وتوـازـنـه العـقـلـانـي والأـخـلـاقـي أـمـام مـتـطـلـبـاتـ النـفـسـ وـمـتـوـفـرـاتـ الطـبـيـعـةـ .

كـانـ الطـقـوـسـ الـدـيـنـيـةـ الـيـوـمـيـةـ بـثـابـةـ الدـلـيلـ الـذـيـ يـقـدـمـهـ السـوـمـرـيـ عـلـىـ تـقـواـهـ أـمـامـ الآـلـهـةـ وـالـكـهـنـةـ وـالـنـاسـ وـاـمـامـ نـفـسـهـ قـبـلـ ذـلـكـ كـلـهـ .

ولـيـسـ المـقصـودـ بـالـطـقـوـسـ الـدـيـنـيـةـ الـيـوـمـيـةـ الطـقـوـسـ الـتـيـ يـمـارـسـهـاـ السـوـمـرـيـ كـلـ يـوـمـ بـلـ الطـقـوـسـ الـدـيـنـيـةـ الشـائـعـةـ وـالتـقـليـدـيـةـ .

### الوضوء والاغتسال

كان الوضوء السومري طقساً لازماً وواجبـاً لـيـسـ لـلـقـيـامـ بـالـصـلـاـةـ فـقـطـ بـلـ لـمـارـسـهـ أـيـ مـرـسـومـ دـيـنـيـ وـكـانـ يـصـحـبـ الـوضـوءـ كـلـامـ أـوـ قـمـتـامـ دـيـنـيـ مـخـلـفـةـ ، وـيـبـدـوـ أـنـ الـوضـوءـ كـانـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ غـسـلـ الـأـيـديـ فـقـطـ . وـيـبـدـوـ أـنـ الـبـرـكـةـ أـوـ الـخـوـضـ الـطـقـسيـ الـذـيـ كـانـ يـسـمـيـ (أـبـسوـ)ـ وـالـذـيـ كـانـ فـيـ اـغـلـبـ الـمـعـابـدـ السـوـمـرـيـةـ وـضـوـحـاـ فـيـ (أـرـيدـوـ)ـ وـفـيـ (لـكـشـ)ـ هـذـاـ الـخـوـضـ كـانـ مـتـصـلـاـ بـقـنـوـاتـ مـيـاهـ جـارـيـةـ خـارـجـ الـمـعـبدـ (انـظـرـ 1932 Burrows)ـ ، وـيـذـكـرـنـاـ هـذـاـ الإـجـراءـ بـأـحـواـضـ التـعمـيـدـ فـيـ (منـديـ)ـ الـدـيـانـةـ الصـابـئـةـ الـمـنـدـائـيـةـ .

ونـعـتـقـدـ أـنـ الـوضـوءـ كـانـ يـجـزـيـ وـفـقـ شـعـيرـةـ دـيـنـيـ لـلـتـقـرـبـ مـنـ الـآـلـهـ (إنـكيـ)ـ الـذـيـ هوـ إـلـهـ الـمـاءـ وـالـحـكـمـةـ . وـخـالـقـ الـأـنـسـانـ وـانـ مـسـ مـيـاهـهـ بـجـسـدـ الـإـنـسـانـ وـيـدـيـهـ كـانـ يـعـنـيـ بـثـابـةـ إـعادـةـ خـلـقـ مـطـهرـ لـهـذاـ الجـسـدـ .

### الصلـاةـ

لـيـسـ هـنـاكـ ماـ يـثـبـتـ أـنـ الـصـلـاـةـ السـوـمـرـيـةـ كـانـتـ تـمـارـسـ بـشـكـلـ يـوـمـيـ مـنـظـمـ وـعـلـىـ أـوـقـاتـ مـعـيـنةـ ، وـيـبـدـوـ أـنـ الـصـلـاـةـ السـوـمـرـيـةـ لـمـ تـكـنـ ثـابـةـ النـصـ بـلـ كـانـتـ نـوـعـاـ مـنـ النـصـوصـ الـدـيـنـيـةـ الـاـبـتـهـالـيـةـ الـمـرـفـوعـةـ لـإـلـهـ مـحـمـدـ ، وـكـانـ الـأـنـسـانـ يـرـدـدـهـاـ مـتـىـ مـاـ كـانـ فـيـ الـمـعـبدـ أـوـ أـمـامـ تـمـثالـ إـلـهـ فـيـ الـبـيـتـ أـوـ الـقـصـرـ أـوـ فـيـ أـيـ مـكـانـ آـخـرـ .

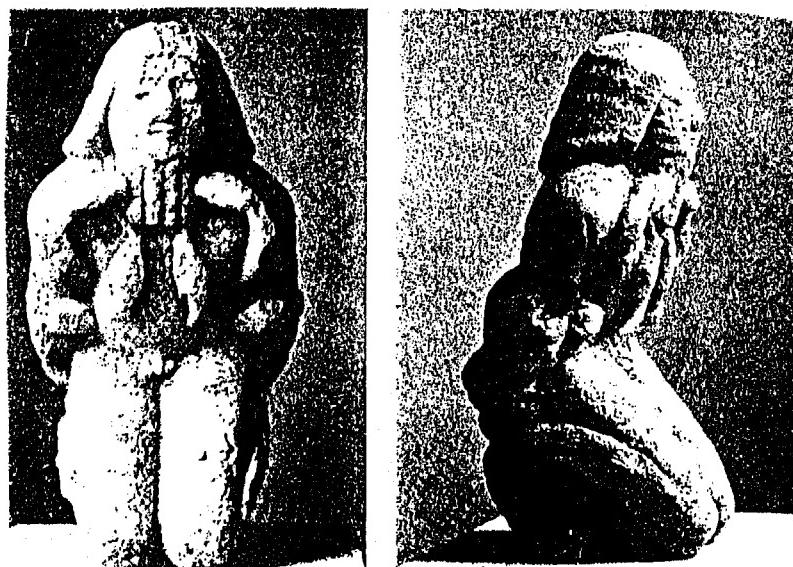
وـتـخـتـلـفـ الـصـلـوـاتـ (Prayers)ـ عـنـ التـرـاتـيلـ (Hymns)ـ فـيـ أـنـهـاـ تـضـرـعـاتـ

وتوسلات للإله ولا تؤدي مع الموسيقى ، أما التراتيل فهي مدائح وتعظيمات للإله وكان الكثير منها يؤدى على آلات موسيقية .



شكل (٩٧)

الطحان ايدي ناروم وهو يصلى  
(النصف الأول من الألف الثالث) ماري



شكل (٩٨)

متعبد سومري وهو في حالة ركوع

وكانت الصلاة تؤدي أما بصحبة كاهن أو منفردة يؤديها العابد لوحده أمام تمثال إلهه.

وهناك صور لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفهم فوق بعضها عند أداء الصلاة خشوعاً وتقديساً للإله.

لقد رافقت الصلاة شعائر طقوسية وقد وصفت هذه الشعائر باتفاقان في مقطع عند نهاية الصلاة، حيث تخاطب الشخص المصلحي أو الكاهن الذي يقدم واجباً بحركات وأشارات واهتمام بما يقدمه من قرابين حسب الزمان والمكان. «لقد ظهر في الصلوات موضوع عن رئيسيان، ناطقان بالكلمات الكنوتية ومقدمان تجربة ذاتية للمتعبد باسلوب أسطوري وهذا الموضوع عن هما الطلبات والشكراً ولكن الصلوات لا تتضمن إشارة لتفصيل موضوع رئيسي محدد ، مثل موضوع الفرد وعلاقته بغيرائز روحية أو أدبية وك موضوع الموت والبقاء بشكل شمولي أو موضوع الاتصال المباشر بالإله » ، (أوبنهايم ١٩٨١ : ٢١٩).

## الصوم

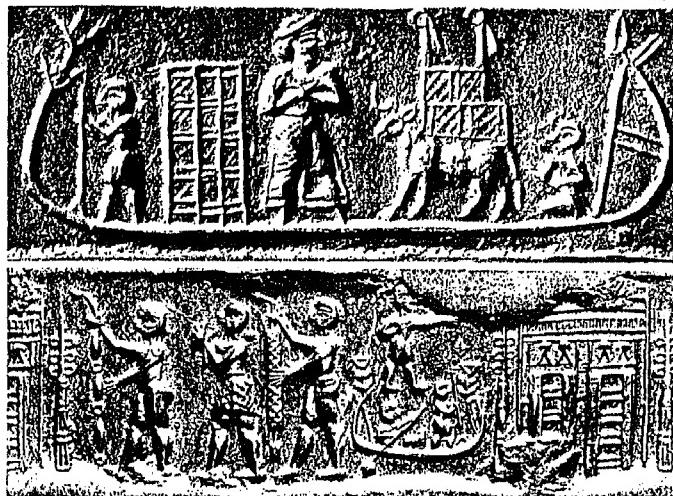
كان الإمتناع الديني عن تناول بعض الأنواع من الأطعمة نوعاً من الصيام وكان السومريون يمارسون هذا الإمتناع . وقد كان الكهنة (ربما لأسباب إقتصادية بحتة ) يوصون الناس بالإمتناع عنأكل نوع من اللحوم أو الفاكهة أو الخضار .. وكان ذلك يجري لوقت محدد ويغلف بمبررات دينية أو مثولوجية .

## التراتيل

كانت التراتيل طقوساً لأنها كانت تؤدي بطريقة طقسية ووفق ضبط موسيقى في الكثير من الأحيان ، وكان السومريون يسمون التراثيل بالـ (SHIR) وربما في هذه الكلمة ما يشير إلى الشعر رغم أن كلمة شعر بالسومرية هي (سر SIR) ، ويقابل كلمة تراتيل بالأكادية ZAMARU (أما كلمة شعر بالأكادية فهي (شورو SHIRU) . وكانت التراتيل متفاوتة الطول وهناك منها ما هو غير ديني خصوصاً التراتيل الموجهة للملوك .

وتختلف التراتيل عن الأدعية والتعاونيد في كونها ، أناشيد طقسية روحية يشحنها التأمل في صفات الإله والتبرك بقواه ومناشدته الحب والاتصال .

أما الأدعية فتقوم على أساس التوسل بالإله ومطالبته بشيء محدد كالصحة أو النجاح أو رفع الظلم وغيرها . في حين تبدو التعاويذ نوعاً من النصوص الطقسية التي تطرد الشياطين باستحضار الآلهة وتطرد الأذى باستحضار الروح الخيرية للإله .



شكل (٩٩)  
متعبدون ذاهبون إلى معبد الإلهة إنانا

وتنقسم التراتيل السومرية إلى قسمين أساسين هما التراتيل الكهنوتجية والتراثيل الملكية .

تتضمن التراتيل الكهنوتجية مدائح تقديس وتحميد للألهة السومريين العظام منهم بشكل خاص ، أما الملكية فقد نظمت بحق الملوك وتحميد أعمالهم إلا أنها لا تخلو من المديح والاطراء على إله معين لا سيما إله عاصمة الملك أو الإله المسئب لدعاوى المديح .

وكانت التراتيل بصورة عامة تتكون من أبيات منظومة كلّ بيت ينقسم إلى شطرين ، يوزن متتشابه ومعنى متقارب ولكل منها رفعتان صوتيتان أو ثلاث رفعتات لغرض الغناء وكثيراً ما تزداد هذه الارتفاعات الصوتية فتبلغ الستة رفعتات في شطر واحد ، ولكن يعقب

كل رفعتين صوتيتين إنخفاض صوتي واحد أو إنخفاضان وبعض الأحياناً ثلاثة خفضات صوتية .

وكانت التراتيل تؤدي وفق الحان معنية معروفة على ضربات الموسيقى بين دق الطبول ونقر الدفوف ، وألحان القيثار تتعالى منها نغمات العذاري من راقصات المعبد .  
(انظر فالكنشتاين ٩٥١ : ١٩٢) .

### التطهير

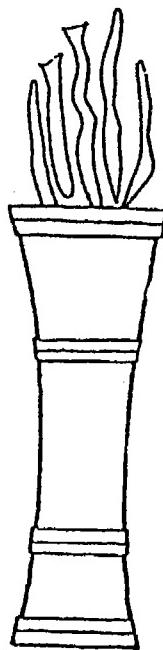
كان التطهير عند السومريين (ومن ثم عند البابليين والأشوريين) يجري بعدة طرق هي احراق البخور وسكب السوائل كالماء والزيت والحرق والدفن والاغتسال والأضاحي .

وكانت فلسفة التطهير تجري على أساس أن الإنسان محاط بالشرور والأرواح الشريرة ، وكذلك المكان ، ولكي يتصل الإنسان أو المكان بال المقدس فلا بد من مواد دالة على الآلهة لكي تطهر هذا الإنسان وذاك المكان من الشرور والأرواح الشريرة ، وكان الماء والزيت يمثلان الإله إنكي ، والنار تمثل الإله نسکو والسكاكب والأضاحي والقربابين تمثل الإله شول شاكا إين الإله ننگرس و كان الدفن يشير إلى الإله دموزي ، أما الحرق فيشير إلى الإله اليجibil (كيبيل) لعلاقته بالنار والعالم الأسفل معاً .

### إحراق البخور

كان طقس إحراق البخور طقساً يومياً يجري في المعبد ، وكان الكهنة المطهرون هم الذين يقومون به بالدرجة الأساسية ، ولكن كهنة من أصناف أخرى كانوا يقومون به مثل الكاهن المعزم (اشبيو) فقد كان إحراق البخور يلازم التعزيم وذلك لاعتقادهم بأن مادة البخور (وخصوصاً الحرمل) كانت تقوم بطرد الأرواح الشريرة لأن مادة البخور عندما تملأ المكان فإنها تحاصر هذه الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والشبابيك خصوصاً أن البخور يشبه الشياح التي كان يعتقد أنها شكل الأرواح الشريرة .

وكانوا في المعابد يقيمون مذبح بخور وهو دكة عالية يوضع عليها ما يشبه المقد وهي هذه المقد تطرح مادة البخور كطقوس يرمي أو مرافقة لطقوس أخرى أو أنهم يستعملون المقد المقدس (شكل ١٠٠)



شكل (١٠٠)

الموقد المقدس ويرمز كذلك بالإله نسکو او ننكشريدا  
رسم: علي محمد آل تاجر

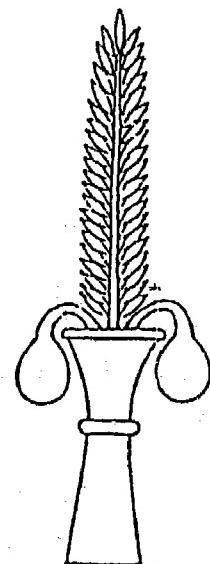
وكان هناك أوعية خاصة بالبخور يمسكها الكهنة باليديهم عندما يقومون  
بعمليات التعزيم .

### سكب السوائل

لم يكن البخور لوحده هو الوسيلة الوحيدة للتطهير وطرد الأرواح بل كان سكب  
السوائل (الماء والزيت بشكل خاص) هو السبيل إلى ذلك أيضاً، وكان سكب الزيت يتم  
بشكل خاص عند الزواج حيث يسكب على رأس العروس، وربما كان يصاحب ذلك نوع  
من الاغتسال ويأتي ذكر هذا الطقس في إصلاحات أوركاجينا الذي خفض ضرائب الحاكم  
عندما يقوم بهذا الطقس، ولا شك أيضاً أن سكب الزيت والمسح به كان يجري عند  
تنصيب أو تتويج الملك وكان هناك إناء خاص لسكب الماء المقدس (شكل ١٠٢)



شكل (١٠٠)  
طقس سكب السوائل



شكل (١٠٢)  
إذاء سكب الماء المقدس  
رسم: علي محمد آل تاجر



شكل (١٠٣)  
كاھنان بينهما الإذاء المقدس

## **طقس فتح فم الآلهة وغسله**

كان هذا الطقس يجري على أساس أن التماثيل الجديدة للإله تمنح الحياة بهذا الطقس ، وكان طقس غسل الفم يجري بعد أن توضع جرتان مملوئتان بالماء المقدس في مكان التمثال وقطعتان من القماش حمراء ويبيضاء إلى جانبه ، ثم تقدم الأضاحي إلى ذلك الآلهة ويرافقها غسل فمه بواسطة أعشاب كالأثلج وبسبعة اعواد من الارز وقطعة قماش وملح وصمعن الارز ودهون واحجار كرية وزبد ودبس ويتم ترديد بعض العبارات الطقسية الخاصة بذلك ، ثم يقود الكاهن بيد الآلهة ك بشأً ويخرج معه (من مكان صنع التماثيل) ويدتهبون إلى شاطئ النهر حيث يوضع التمثال على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة وتقدم هنا الأضاحي مرة ثانية وتسكب البيرة مع الطعام ويسليخ جلد الكبش وقد يوضع في الجلد سمكة وسلحافة من الذهب والفضة وفأساً برونزيه وملقطاً نحاسياً وترمى هذه الأشياء كلها داخل جلد الكبش في النهر ، وتردد عبارات طقسية في ذلك وتقدم سكينة من البيرة واللبن والدبس ويبدأ غسل فم الآلهة مرة ثانية ، وينقل التمثال بعد ذلك إلى بستان ووجهه نحو الغرب أمام الكاهن الأعلى وتقدم أضاحي أخرى وتتلى الأدعية وتقرأ الأقداح بالماء ، ثم يوضع التمثال في المعبود المقرر وبذلك تكون هذه الطقوس بمثابة عمليات حقن التمثال الذي صنعه الحرفي (النحات أو النجار أو الفنان) بالحياة والروح التي يصنعها الكهنة (انظر الأحمد ١٩٨٠ : ٥٦ وكذلك انظر ٤٨-٩: Heidel 1942).

## **طقس إطعام الآلهة**

كان الكهنة المسؤولون عن تماثيل الآلهة يقومون بهذا الطقس يومياً حيث يتضمن تقديم مختلف أنواع الأطعمة إلى الآلهة ويبدو أن هناك وجوبين من الطعام كانتا تقدمان لتماثيل الرئيسية ، ويعتقد أن الأولى وجبة الظهر والثانية وهي الثانوية قبل إغلاق المعبود .  
ويبدو أن الكهنة كانوا يقدمون الطعام للآلهة من التقدمات التي كانت ترسل إلى المعبود من أحسن الحقول الزراعية والبساتين وقطعان الماشية والأغنام والماعز وكانت أيضاً مصدراً للغذاء الكهنة والإداريين العمال في المعبود .

ويبدو أن مائدة كانت توضع أمام تمثال الإله عليها عدد من الأواني التي تحتوي على الماء والسوائل والشراب والشريائح والفاكهه . . وفي الغالب كانت هذه المائدة تقدم إلى الملك بعد ذلك لكي يتبارك بها أو ليتم الإيحاء بالصلة بين الإله والملك .

## طقس الفوهو (البديل)

تدور فكرة هذا الطقس حول امكانية انتقال الشر (الذي يعاني منه الشخص أو الذي سيعاني منه) من هذا الشخص الى شخص آخر وكان هذا الطقس السومري يعتمد في اساسه على تورجيات (طقوس) دموزي وأساسها المثلوجي .

ولأن الأساس الذي يقوم عليه هذا الطقس سحري فإنه يلتجأ إلى مبدأي السحر (الاتصال أو التشابه) .

فإذا كان الفوهو يجري عن طريق الاتصال فإن الشخص المصاب بالشر يختار هو أو كاهنه من سيكون بدليلاً عنه في حلول هذا الشر ويحتك به مباشرة مع طقوس وتعزيمات خاصة وكان هذا نادراً .

ولكن الطقس غير المباشر (التشابه) هو الذي كان شائعاً فقد كان يستخدم لهذا الغرض دمية من العجين أو الطين أو الشمع أو الخشب وكانت تمثيل العدو الذي يراد نقل الشر (المرض مثلاً) اليه وكانت تبقى بجانب المريض نفسه ثم يلقى بها في الماء مع رقية تعزيمية اسمها (غبوريو) (انظر بوتيرو ١٩٩٠ : ١٨٦) .

وكان أحياناً يستخدم الحيوان كبدليل حيث يقوم المريض باصطحاب عزبة معه في فراشه طيلة الليلة التي تسبق اجراء الطقس، ثم في اليوم التالي كانوا يحفرون حفرة كالقبر يمدد فيها المريض مع عزبته الصغيرة، وكانتا يقومون بذبح صوري للمريض بسكين من خشب وذبح حقيقي للعزبة بسكين من معدن .

ثم يقومون بمعاملة جثة العزبة بقدسيّة خاصة حيث تُغسل وتُطهر وتوسّع بقطع ثياب المريض نفسه .

بعدها يقوم الكاهن بتلاوة صلاة الحداد ويقرر فيها موت العزبة ولكنها يعني المريض (مع مرضه بالطبع) ثم تنظم وجبات طعام جنائزية تقدم للإلهة أرشكىگال اكراماً لها وتهدّتها لخاطرها .

ثم تقام طقوس دفن الميت (العزبة) وكأنها المريض وبذلك يرمي لدفن المريض الذي أصبح الآن معافي .

كانت هذه الطقوس تجمع بين الاتصال (الاحتراك بالحيوان) ثم التشابه (والذبح المترافق والثياب المتبادلة ومعاملة الجثة وإعلان الموت وغير ذلك).

وإذا كان السومريون (قبل سلالة أولى) قد عرروا دفن حاشية الملك لأسباب تتعلق بطقوس ما بعد الموت، فإن طقس الفوه هو تطور لاحقاً ليكون بدليلاً عن هذه الأضحيات البشرية. أي أن الملك عندما كان يشعر من خلال الفؤول المقدمة له بأنه سيموت أو أن خطراً ما سيئبه كان فإن الكهنة كانوا يقومون باختيار (سخلو) أي بدليل عنه أيام ظهور ذلك الخطير وكان البديل يقوم فعلاً بحكم البلاد وليس ملابس ورموز الملك. أما الملك الحقيقي فيتواري تماماً ريشما يزول الخطير. وكان مصير البديل في الغالب الموت لكنه يذهب بالشروع المحدقة بالملك إلى العالم الأسفل. وقد تطور هذا الطقس الديني الأساسي كثيراً في الدولتين البابلية والآشورية حتى ان طقوس تكريس الملك البديل كانت تجري بدقة وانتظام (كوزبيو) وكانت تقام أيضاً طقوس الموت والدفن بعد اعدام البديل (تكليمتو)

وكان البديل في بعض الأحيان يمسك بالحكم ويرفض الموت ويعزل الملك الحقيقي ويستلم الحكم بدله.

### الأضاحي

تراوحت الأضاحي الطقسية السومرية بين أن تكون بالدرجة الأساس أضاحي نباتية وحيوانية، أما فكرة الأضاحي البشرية السومرية التي تحدث عنها السير ليونارد ووللي (L. woolley) بعد أن اكتشفت في أور في منطقة المقابر الواقعة جنوب زقورة الإله (ننا) مجموعة من المقابر الملكية. حيث وجدها بعد أن دخل إليها بمرات مائة وهي مغطاة بحصان و هناك هياكت بشري يترواح عددها بين (٣ - ٧٤) شخصاً، وكان قسم من تلك الهياكل البشرية لنسوة يرتدين الملابس الحمراء ويتزين بالحلبي والاحجار الكريمة و يحاذب بعضهن قيئارات ذهبية. أما الهياكل الأخرى فكانت لرجال مسلحين و رجال مديين إلى جوانب عربات كانت تجرها الشيران. وقد اعتقد ووللي بأن هذه العربات استخدمت لنقل رفاة الملك و نفائه، وكان مشهد الدفن يدل على مراسيم و طقوس احتفالية (انظر Woolley 1963).

وقد فسر وولي هذه الظاهرة بأن ماشية الملك كانت تدفن معه في طقوس احتفالية تتضمن له بعد الموت حياةً هائمةً . ولكن قلة ظهور مثل هذه المقابر في سومر ووادي الرافدين جعلها محل ريبة ، وقد فسرها كريير باللجوء إلى النص السومري (موت جلجماش) بأن القبر كان يعتبر بثابة (المطهر) أو (القصر المطهر Purified palace) وإن الملك الميت كان يصطحب معه عدداً كبيراً من حاشيته ومن التذور والهدايا . وهذا ينسحب على مقابر أور التي أتت بزمن محدود بعد وفاة كلگاماش . أي أن هذا الطقس (الاضاحي البشرية الجماعية) كان طقساً ملوكياً معمولاً به في تلك العصور ، ولكنه انقرض بعد الآلاف الثالث قبل الميلاد .

أما الأضاحي النباتية فكانت تقدم بكتارة إلى المعابد لإطعام الآلهة والكهنة ومنها الفاكهة. والحيوانية كانت تتالف من الشيران والماشية والماعز والغزلان والأسماك والخنازير وانواع الطيور، ويذكرنا عقد صلة بين القرابين الحيوانية والرمز الحيواني للإله فالإله آنيل كان يقدم له الثور لأن رمزه هو الثور الإلهة نانشة الأسماك ونورتا الحيوان وهكذا.

## ٢. طقوس المناسبات

إذا كانت الطقوس السابقة تجري بشكل شبه يومي عند المتعبدين أو الكهنة فإن طقوس المناسبات كانت تجري وفق أحداث محددة تمر بالانسان وأشهر هذه المناسبات هي (الولادة البناء، الزواج، الموت).

### أ. طقوس الولادة

كان حمل المرأة حدثاً مهماً، وكان يُحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب كان، وهناك عدد من التعاوين والصلوات التي تقدم للمرأة الحامل (أريتو Eritu) وكانت هذه المرأة تقدم خلال حملها تقدمة للفريته الشريرة (لاماشتو) خلال أشهر الحمل حتى تضمن ولادة سهلة وطفلاً كاملاً. وكانت الولادة تجري عادياً أو تقوم بها القابلة (شازو zu-Sha-) التي غالباً ما كانت تأتي إلى بيت الحامل حين تحين ساعات الولادة (Aladu) وهي تردد الصلوات وال التعاوين لتسهيل الولادة ومن أحدي هذه الصلوات (عسى أن تلد هذه المرأة التي تعاني الأم المخاض بسهولة كما ولدت البقرة السماوية (كيمي سن) وعسى أن لا تؤخر عمل القابلة).

ويبدو أن الولادة كانت تجري على مصطبة من اللبن تحضرها القابلة التي أخذت هنا دور كاهنة أو دور الإلهة ننتو إلهة الولادة والمساعدة في الانجذاب وربما اورورو وهما وما صورتان من صور الإلهة السومرية الأم ننخرساج.

وكذلك تقوم القابلة بتعصيب رأس المرأة أثناء عملية الولادة وكذلك تقوم باحضار بعض الأدوية والعقاقير. وتقوم القابلة بعد الولادة بقطع حبل السرة وإثبات حدوث الولادة وتأييد نسب الطفل إلى الأم وكانت الأم تعتبر نجمة بعد الولادة لمدة ثلاثة أيام. وكانت تقوم برضاعة طفلها بنفسها أو بواسطة المرضعة.

ويطلق الاسم على الطفل بعد الولادة مباشرة لأن الاسم كان بمثابة الخلق أو الولادة أيضاً.

وقد عرفت الإلهة (گاتم دوك) كمربيه للأطفال وهي الإلهة ننخرساج أيضاً التي عرفت بأنها مرضعة الملوك والأمراء، وكان الأمير إياتتم يفخر بأنه سقي من الحليب الظاهر لها (انظر عقراوي ١٩٧٨ : ١٥٥ - ١٦٢).

## ب. طقس البناء

كان بناء البيوت والمعابد والقصور يجري أيضاً وفق طقوس معينة وكانت هذه الطقوس في المراحل السومرية تجري على أساس وضع أشياء في أسس المعابد والمباني ضد العناصر الشريرة كالتعاويذ والتمايل ورموز الآلهة والسمار الحجري المعروف الذي كان يوضع في هذه الأساسات منقوشاً بالتعاويذ والرموز.

وكانت تدفن عند عتبات البيوت الحروز وتماثيل الآلهة والعفاريت والحيوانات لحماية أصحابها من الشر، ومن الجائز وضع مثل هذه التعاويذ والاشكال عند واجهات البيوت أو على الأبواب مثل رمز الـعين أو رمز الإلهة سبيتو (العيون السبعة) الدرء الشر.

وقد تطورت طقوس البناء في مرحلة لاحقة وأخذت ترافقها الأضاحي.

ويأخذ بناء المعبد بعداً روحاً خاصاً عند السومريين لأنه قرينٌ بالحياة المزدهرة عندهم، ولعل حلم گوديا ببناء معبد الآلهة ننگرسو الذي يخاطبه في منامه يشير إلى ذلك :

«بتأسيس بيتي، سوف يأتي الفيض

الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك

الأقنية سوف تفيضُ عن حوافيها من أجلك

في الروابي التي لم يرتفع إليها ماء

سوف يرتفع الماء من أجلك

وسومر سوف تسكتب كثيراً من الزيت من أجلك

وسوف نزن لك الكثير من الصوف

في اليوم الذي تملأ فيه مصطيبي

في اليوم الذي تضع يدك الأمينة على بيتي

سأضع قدمي في الجبل

حيث تقيم ريح الشمال

وكإنسان ذي قوة هائلة ، ريح الشمال  
 من الجبل ، المكان الظاهر  
 سوف تهب رأساً نحوك  
 (لأنه) بعد أن أكون اعطيت نسمة الحياة للناس  
 سوف يقوم رجل واحد بعمل أكثر من عمل رجلين .  
 في الليل ، نور القمر سوف يضيء من أجلك  
 في النهار ، الشمس الساطعة سوف تشع من أجلك  
 البيت سوف يبني من أجلك في النهار  
 وسوف يرتفع عالياً في الليل ،

(كريير ١٩٨٦: ٥٢-٥٣).

وكان يعتبر تهديم المعبد اشارة شؤم او خطر قادم .

### ج. طقوس الزواج

تستمد طقوس الزواج عميقها الديني ، عند السومريين ، من ظهيرها اللاهوتي  
 والمثولوجي الخاص بطقوس الزواج المقدس الذي كان بمثابة الاحتفاء بالقوى المخصوصة  
 والإنسان والحيوان ، ولذلك كان يجب ان يكون هذا الاحتفاء جزءاً من احتفاء الآلهة  
 ببعضها وإعلان زواجهما المقدس ، وقد كان لعلاقة الآلهة إنانا دموزي مثل هذا العمق  
 فاتخذت مثالاً نموذجياً علياً لهذا الزواج المقدس . وإنانا التي كانت عبادتها في أحدى  
 كبريات المدن السومرية ، وهي مدينة ايريك منذ حوالي ٣٠٠٠ ق . م أو أقدم من هذا  
 التاريخ ، هي التي أورحت بذلك حيث لم يمض زمن على هذا التاريخ «حتى راح بعض  
 الكهنة ورجال المفكرون وذوو المخيلة في مدينة ايريك يعتقدون فكرة تدخل الإطمئنان  
 والبهجة على القلب ، وهي ان ملوكهم قد اصبح عاشقاً وزوجاً للإلهة إنانا ، وبذلك  
 يشاركتها قوتها وقدرتها على الأخصاب التي لا تقدر بثمن ، كما يشاركتها خلودها ، هذا  
 مذهبنا في كيفية ظهور طقس الزواج المقدس الذي يضم دموزي ، الذي يعتقد أنه كان أحد

حكام ايريك المرموقين، والهتها انانا الشهوانية الشهبية التي تحظى باحترام عميق» (كريير ١٩٨٦: ٨٩).

وبالفعل تحول طقس الزواج المقدس من الآلهة الصرفة (انانا ودموزي) الى الآلهة والملوك (انانا والملوك) وقد ناقشنا ذلك في علاقة انانا بالملوك ثم تحول نهائياً إلى طقس بين الملك كمثل لدموزي والكافنة العليا كممثلاً لانانا.

ولكن آثار الزواج المقدس الإلهي والملوكي انعكست إيجابياً على طقس الزواج بصورة عامة . فقد كان الزواج يبدأ بالاتفاق الشفوي والعقد العرفي المصاحب ببراسيم وطقوس معينة مثل تلاوة بعض العبارات المقدسة من قبل العروس ، وربما كانت هذه العبارات مشابهة لبعض العبارات الإلهية ، فمثلاً كانت عشتار تخاطب كلكامش وتقول له :

«تعال يا گلكامش وكن عريساً لي

تعال وامنحني ثمرتك

فتكون انت زوجاً لي وأكون أنا زوجة لك»

ويؤدي الزوج القسم ، وترت الزوجة له ، ويقوم برفع قلنسوة عروسته ويفضعها على رأسه كدليل على احترامه لها ، وكانت هناك طقوس اغتسال للمرأة ثم سكب الزيت على رأسها ، وكان من طقوس الزواج ان يقدم الزوج وأهله بعض النذور وال حاجيات الشفينة الى العبد .

وفي يوم الزفاف تقام وليمة تقدم فيها الماكولات التي جلبها العريس الى بيت العروس ، وكان يقام بسكب الخمر على الأرض أو على جسد الضاحايا تكريماً للآلهة ويسمى هذا الطقس بالسكب أو كرم Kirrum .

كانت هذه الطقوس الفرعية للزواج تجرى تحت رعاية الكهنة وكان للمعبد دور هام فيها .

#### د. طقس الموت

اذا كنا قد تحدثنا عن الفصل الثاني في مثولوجيا الموت من خلال أساطير العالم

الأسفل ، وفي الفصل الثالث عن عقائد الموت من خلال اللاهوت الخاص بالموت فإن صورة اسكتاتولوجيا الموت (عقائد ومثولوجيا وطقوس) لا تكتمل إلا بذكر الطقوس والشعائر الخاصة بالموت كالدفن والشعائر الجنائزية السومرية .

## ١. مواضع الدفن وأنواع القبور

لا يبالغُ إذا قلنا أن أول بدايات ظهور الدين عند الإنسان كان متصلةً مع تصوراته عن الموت واداته لطقوس وطرق الدفن أهميةً ما ، فمنذ أن بدأ الإنسان بدفع موته بقصد وعناية انعطفت تاريخ المعتقدات الدينية وقد حصل ذلك في عصر الباليوليت الأوسط (انظر الماجدي ١٩٩٧ : ٣٨ - ٤٠).

وفي سومر أصبحت طقوس الدفن واختيار المدافن جزءاً حيوياً من العقيدة الدينية . وكانت أماكن الدفن عند السومريين تتراوح في درجتها وأهميتها بين الدفن تحت أرضيات البيوت أو في القصور الملكية أو المدافن الكبيرة .

فقد مورس الدفن تحت أرضيات البيوت في دور الوركاء ونفر منذ عصر فجر السلالات ، وفي مدينة كيش منذ عصر فجر السلالات الأول سواء كانت تحت أرض غرف الأحياء أو الغرف المشيدة خصيصاً للدفن وكان القبر يحتل زاوية الغرفة . ويسمى قبر البيت بـ (Ki Makh) وهو مصطلح سومري يعني حرفيًا الأرض العظيمة وكان الملوك يدفون في القصور الملكية كنوع من الامتياز الخاص بهم ، أما في المقابر المخصصة للأموات فقد كان يجري أما داخل المدن السومرية في قبور مفردة كالذى حصل في (نفر) او بصورة مقابر منتظمة كما هو الحال في (اور) . وهناك مقابر موجودة خارج المدن كما في نفر وأريدو .

وهناك أيضاً الدفن في الأماكن المقدسة وهو ما مارسه السومريون من عمليات دفن كبير في مدينة (دلون) حيث كانوا يعتبرونها أرضاً مقدسة للآله إنكي وهو شفيعهم بعد الموت فقد وجدت في دلون (البحرين حالياً) مقابر لمائتين الآلاف من السومريين .

وهناك أيضاً الدفن في الأضرحة المستقلة الخاصة بالملوك كما في أضرحة ملوك سلالات اور الثالثة حيث دفعوا تحت مزارات خاصة تحتوي على العديد من الغرف التي كانت

تمارس فيها الشعائر الجنائزية وتقدم النذور للملوك الراقددين ، في أضرحتهم (انظر حنون ١٩٨٦ : ٢٢٣ - ٢٣٣).

أما أنواع القبور وطرق الدفن فقد كانت تتفاوت كثيراً بين ما هو مخصص للعامة وما هو مخصص للملوك والامراء والحكام ، فقد كانت قبور العامة على شكل قبور بسيطة كحفر دخل الأرض وبعمق غير ثابت ، وقد كان هذا النوع هو الأكثر شيوعاً.

وهناك القبور المشيدة باللبن والأجر التي بدأت بالظهور منذ عصر العبيد ثم ظهرت في أريدو وكانت تحفر بشكل حوض ضيق منتظم ومبطن بالأجر الذي شيد منه السقف أيضاً وقد عثر عليها في أريدو وكيسن ونفر ، وكانت القبور بشكل عام موجهة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وكان لبعضها أراضيات مرصوفة بالأجر كما أن بعضها منها كان مغطى بالأجر . النوع الثالث من القبور العامة هي الأقبية وهي اشبه بالاتفاق تحت الأرض كالتي وظهرت في أور .

كان جثمان الميت قد يوضع في حصران تلف على جسد الميت وثبت بدبابيس ، وكانت حصران القصب هي التي تستخدم انطلاقاً من مبدأ مثولوجي يخص الطوفان فقد كان كوخ القصب الذي سكن فيه زيوسدرارا (بطل الطوفان) هو المثال الأعلى لأنفاذ الإنسان من الشر .

وكان تابوت القصب هذا أما يطرح في الحفرة مباشرةً او يوضع على أرضية من الأجر المرتفعة قليلاً ويغطى بحصير قصب يغطي بقطع أجر .

كما أن التوابيت الخشبية كانت تستعمل لدفن الموتى في مقابر أور وشريواك ، واستخدمت الجرار الفخارية وخصوصاً للأطفال الذين يوضعون كما موضعهم في الرحم ، وكان هذا المبدأ يستند الى اعتقاد مثولوجي له علاقة بخلق الإنسان من الطين وعودته الى رحم الطين في شق أرضي .

وقد عشر في نفر على جرار مزدوجة حيث يوضع جثمان الميت في جرة كبيرة ويوضع جزءه الخارج عنها في جرة اخرى مقابلة وتغلق الفوهةان المقابلتان للجرة بالطين ، واستعملت السلال أيضاً للدفن .

وكانت طرق الدفن تختلف في الاتجاه وفي وضع الميت وترتيب جسده واعتاد

السومريون على دفن العديد من حاجيات ولوازم وحلي واسلحة الموتى معهم وكان هناك تركيز على الأواني الفخارية للطعام والشراب وبعض الأختام والحجر المرقش .

وكانت تدفن بعض التماثيل الصغيرة مع الموتى ويمكن اعتبارها تعاوين تساعده على حماية الميت من الأذى (انظر حنون ١٩٨٦ : ٢٥٠) .

النوع الثاني من القبور هو القبور الملكية التي لم تصل منها سالمة سوى اضراحة ملوك اور قبل عصر فجر السلالات التي اكتشفها ليونارد وولي وملوك سلالة اور الثالثة (الثلاثة ملوك فقط) .

اما مقابر ما قبل عصر فجر السلالات التي وولي بانها تعود الى (٣٥٠٠ - ٣٢٠٠) ق. م والتي قدر حديثاً تاريخها الى حوالي ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠ ق. م اي قبيل سلالة اور الأولى لمؤسسها الملك ميسانيدا فقد عشر فيها على ما لا يقل عن (١٦) قبراً ملكياً .

ويشكل عام يتكون كل قبر من هذه القبور الملكية من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي ، نقش على ختم اسطواني قربه اسمه عليه في بعض الحالات ، وهناك مجموعة من هيائكل الرجال يبدو أنهم من الخدم وهيائكل لنساء يحمل بعضهم تاجاً من الذهب ، وهناك عدد كبير من الأواني واللقى والخرز والاسرجة والتعاونيد والحلي الشخصية والاختاجر . وقد يصل عددها الى حوالي ٤٠ شخصاً . وهناك في بعض القبور عربات ملكية ربط الى كل منها ثلاثة ثيران او حمير مع حوذتها والسائن أمامها وهناك قيثارات موسيقية .. وغير ذلك .

وهناك تفسيران وضعهما الباحثون لظاهرة القبور الملكية في اور وهما :

١. تفسير ليونارد وولي مكتشف المقبرة وخلاصته أن ما وجد في هذه المقبرة ما هو الأنموذج للتضحية باتباع الملك وحاشيته ودفهم مع الملك حين وفاته . أما الطريقة في ذلك فهي ان تنزل جثة الملك الى الضريح وينزل معه اتباهه وحاشيته ويستقرن على الأرض أو على رفوف موضوعة على الجدران وبعد أن يقتلو الحيوانات الموجودة معهم في القبر يبدأون بتناول السم من قدر مليء به ، وفي هذه الأثناء يكون الموسيقيون مستغرين بالعزف على القيثارات ومن المحتمل ان تكون هناك ترانيم جنائزية خاصة يرددوها المضحي بهم ، وجين يسري مفعول السم بأجسامهم يضطجعون كل في مكانه ثم يدخل أحد الأشخاص

ويرتบ الجثث ومحفوظات القبر ويخرج لتبدأ عملية ردم الحفرة ببراحل متعددة وضمن احتفال ديني خاص بالمناسبة . ويرى وولي أن سبب دفن اتباع الملك معه راجع إلى اعتبار الملك شبه إله وإنه حين يموت ينبغي أن يدفن معه اتباعه ليتقلوا معه إلى العالم الآخر حيث يواصل حياته الأخرى فيه (انظر المرجع السابق ص ٢٦١ وانظر ٦٠ : ١٩٦٥ ) .

وما زال رأي ليونارد وولي صامداً أمام الزمن لدقته وعلميته ، خصوصاً أن عمليات الموت الجماعي والتضحية الدينية الجماعية ما زالت تظهر حتى في عصرنا هذا بشكل دراميكي حيث يكون الشخص المشابه للملك زعيم تلك الجماعة الذي يجتنبهم إلى الموت والتضحية الجماعية أملأً في عالم آخر أكثر سعادة .

٢. تفسير انطوان مورنكات الذي يذهب إلى أن هذه التضحيات البشرية هي جزء من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس الذي كان يقام سنوياً ويلعب فيه الملك دور الاله دموزي في حين تقوم الكاهنة العليا أو الملكة بدور الإلهة إناثاً ثم يُسمَّان مع اتباعهما ويدفنان في احتفال ديني ثم يخرج جسد الملك من سقف الضريح بينما تبقى قرينته في القبر . وهذا رأي معارض تماماً للرأي السابق وتنقصه الأدلة العلمية الدقيقة على ذلك .

ويبدو أن عادة التضحية البشرية شملت عصر فجر السلالات السومرية أي إلى حوالي (٣٠٠٠ ق. م) ثم انقطعت بعد ذلك ، ونرجح أن تكون هذه الطقوس السومرية القديمة حافزاً لتشكل فكرة الخلود المصرية وما رافقها من طقوس حفظ الجثث والتحنيط للفراعنة المصريين القدماء حتى أنها اخذت بعد آدبينا مصرياً عميقاً ، أي أنها كانت عادة سومرية انقطعت في وادي الرافدين في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد واستمرت بعد هذا التاريخ في مصر القديمة .

أما قبور ملوك أوّر الثالثة فلا تحتوي على جثث بل على أختام ملكية وتماثيل صغيرة وهي أضرحة معقودة بالأجر ، وقد أقيمت فوق سراديب الدفن مزارات أو معابد جنائزية تحتوي على العديد من الغرف على غرار محطات المعابد المألوفة .

وهذه القبور أشبه بالبيوت ولكنها مخصصة للدفن وليس للسكن .

## ٢. الشعائر الجنائزية السومرية

كان السومريون قد ورثوا التقاليد الحضارية للدفن شعائر الموت من التراكم

الحضارى الذى ساد في جنوب وادى الرافدين منذ الألف الخامسة قبل الميلاد ، وكانوا يعتبرون اقامه مثل هذه الشعائر دليل رفعه حضاريه ولذلك فانهم كانوا يصفون بـ مارتو (الأمورين) كما في الاسطورة او الحكاية التي يسأل فيها أحدهم عن هوية مارتو فيقول:

« من يكون مارتو هذا .. وهو الراعي الذى لا يبت له

والذى يأكل اللحم نيتاً

والذى حين يموت سترمى جثته في العراء ولا يدفن

فلم اذا تريدين الزواج منه ،

(كرير ١٩٧١ : ٣٠).

وكان الشعائر الجنائزية في سومر تقام من أجل إرضاء آلهة السماء وألهة العالم الأسفل معاً حتى يعتنى بالميت وللجم غضبها وتقسم هذه الشعائر إلى ثلاثة أقسام :

١. طقس الكسبا : وهي الطقوس التي تقدم فيها مختلف الأطعمة إلى أرواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف ويقدم الزيت والبخور والثيد الأبيض والفاكهه .

وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة الأطعمة والاشربة هذه وتوضع عليها وترتب مقاعد حول المائدة ويترك مقعد واحد فارغ لروح الميت الذي اقيمت الوليمة لأجله وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية كرسى الروح (كشن گوزاديما) ويسمى بالأكدية (كسو أطيما) وكانت القرابين الجنائزية تقدم أمام تماثيل الملوك بصفة خاصة .

٢. طقس المي نقو : وهي طقوس سكب الماء لإرواء ضمأ الميت وكان الماء يسكب عبر أنبوب فخاري ينزل من سطح الأرض الى العالم الأسفل ، فقد عثر فقد عثر في أحد الأبنية العائدة الى الملك السومري شولكي ، ثانى ملوك سلالة اور الثالثة ، على أنابيب فخارية تحت الأرض الى الأسفل بصورة عمودية ، كذلك عثر في الأضرحة الخاصة بالملوك في أور على منافذ خاصة لهذا الغرض .

٣. طقس الشومازكارو : وهو طقس (ذكر الاسم) والمقصود منه تطمئن الميت بأن ذكره ما زالت قائمة بين الأحياء وأن نوعاً من البقاء من خلال الاسم يتحقق له .

وكان هناك تقليد آخر يوفى بهذا الغرض وهو إطلاق اسم المتوفى على الوليد الجديد . وكذلك ذكره المتصل في طقوس الحداد .

وكان عدم دفن الميت وعدم اداء هذه الطقوس تؤدي الى صعود روح الميت بهيئة شبحٍ موذٍ من العالم الأسفل إلى عالم الأحياء.

أما طرق اقامة هذه الطقوس الجنائزية فكانت تقام بريقتين الأولى أما من قبل عائلة الميت وتشترك فيها بشكل خاص النساء القربيات من الميت وكان يطلق على من يقيم هذه الشعائر بالسومرية سواء أكان من أقارب الميت أم من غير أقاربه (لوساك ايترار Lusag En tar) أما الطريقة الثانية فكانت تتم بتكليف بعض الأشخاص والكهنة الموكول لهم اداء تلك الشعائر فيقومون بتلاوة التعاويذ التي تعمل على تحسين حالة روحه في العالم الأسفل ومنهم كاهن الـ(ماخ) وكهنة الـ(كالو).

وكانت الطقوس الجنائزية تقام بعد الوفاة مباشرةً أو / وفي أوقات محددة ومختلفة ولفتره طويلة بعد موته الشخص. وكان اقامة هذه المواعيد شهرياً في اليوم التاسع والعشرين من الشهر وهو اليوم الذي يختفي فيه القمر كلّياً (محاق) ويسمى bubulu حيث تجتمع فيه أرواح الموتى ويقوم الأحياء بتقديم القرابين والشعائر وكان يسمى (يوم وليمة الموتى) أو (يوم الكابة) أو (يوم الندب).

أما الموعد السنوي لأقامة الشعائر الجنائزية فكان يحصل في شهر آب حيث تقدم القرابين بصورة جماعية وترفع المشاعل لأرواح الموتى وتبدأ مع بداية هذا الشهر وتبلغ ذروتها في اليوم التاسع منه.

### ٣. شعائر الحداد والحزن

كان الحداد شعيرة أو طقسًا لأنه كان يخفف من التوتر الذي كان يعاني منه أهل وأقارب الميت من جهة ، وطمأنينة وراحة للميت بسبب عدم نسيانه من جهة أخرى .

وكان هناك عدد من الكهنة الذين يؤدون هذه الشعائر وهم كهنة (كالا - ماخ) أي (الكافن العظيم) وكهنة الـ(كالا) أي النادبين وكهنة الـ(كالا - تور) .

وكان كاهن الكالا يعزف أما على طبل هلهلاتو Halhallatu او على القيثارة أثناء ندبة واناشيد الحزينة .

والكافنات كذلك يؤدين هذه الشعائر وهن من نوع (لوكر) و (ايتر)

وكان أهل الميت يعبرون عن حزنهم بترك الشعر ابشع او بتغفه والنواح باصوات  
عالية واللطم على الوجه ، والقاء اليدين على الأرض وضربيها وتزيق الثياب ، وربما كانت  
عادة تلطيخ الرؤوس بالطين وطأطأة الرؤوس من ضمن هذه التقاليد .

ومن المراثي السومرية الخاصة بالخداد مرثية (لو دن克拉) التي يرثي فيها أبوه المدعو  
(نانا) :

« يا ابتي ، الذي مات في عدوان ، يا نانا الذي حُمل الى العالم الأسفل بالشر  
المخطط ضده ،

زوجتك - واعجبا : كانت من قبل زوجة والآن صارت آرملة

انها تدور حولك كالزوبعة

ومثلي (عاصفة) إنبعثت نحوك ، نعم : فقد أفقدتها صوابها

واطلقت صرخة ألم كما كانت في المخاض

لقد مزقت (نيابها) وأخذت ثبن كالبقرة ،

.. واطلقت صرخة ألم وذرفت الدموع السخيف

وغضت بها ما هو صحيح ،

بالظلم الذي يجمع (الحزن)

يلمسك ، القلب (وهو) مغمور بالهم ،

الذي (كان) ينهض مبكراً

من بين (الكافئات) اللواتي يسكن في (المعبد) كاهنة الإله نورتا من صنف لوكر  
ألقت بنفسها في الوحل

ومثل إله حزين

إن صيحاتها المتأملة .. شر

في وسط الرواق .. جعلت الناس المتشرين (يتثرون) حبوباً وماءاً، فوضى

المعارك ، كاهنة الاله (نسكو) من صنف اينتو .. مزقت إرباً (ثوبها) لأجلك (ولست)  
طرف ثوبك .

أبناءك الذين كانوا يعاملون كأبناء ملك ، يأكلون  
كلما يشربون ..

العسل والزيادة ..

ملأوا المائدة بالزيت لك

والسموع التي ذرفوها من أجلك تستحق الرثاء

وحدادهم عليك هو حداد القلب الصافي»

(حنون ١٩٨٦ : ٢٩٣).

### ٣. الطقوس الدورية (الأعياد)

تستند فكرة الطقوس الدورية ، في جانبها العميق ، إلى ما يمكن أن نسميه بـ«أسطورة أو عقيدة العود الأبدي». فقد كانت الطقوس الدورية مناسبة لاستحضار زمن الخلق الأول معاً ، ولذلك فإن هذه الطقوس كانت تأخذ طابعاً مطلقاً ، وسواء كانت الأعياد أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية فإنها كانت جزءاً من الدورات الكونية التي أسمتها اليونان الساروس مستدين إلى المصطلح السومري (سار) التي تعني سنة ، دورة ، ملك.

يرى مرسيا إلياد أن هذه الإيقاعات الطقسية المتكررة تعني الولادة الجديدة وهي محاولة لإعادة إنشاء الزمن الميظيقي والبدئي ، الزمن النقى ، زمن لحظة الخلق «كل سنة جديدة فهي عودة بالزمان إلى بدايته ، اي تكرار لولادة الكون Cosmogony ، وما المبارزات الطقسية التي تجري بين فريقين من الشخصين وحضور الموتى ، وما أعياد الفحش والدعارة ، الآعناس تدل على أنه في نهاية السنة ، وفي انتظار مقدم العام الجديد ، يجري تكرار اللحظات الميظيقية التي تم فيها الانتقال من العماء إلى ولادة الكون ، (إلياد : ١٩٨٧ : ١٠٤).

إن طقوس الأعياد هي من أكثر الطقوس قداسة لأنها ببساطة ، تحاول أن تذكر بالزمن المقدس الأول ، وفي ذلك اتضاح لقدسيّة الحياة والخلق والآلهة فهي لم تكن أعياداً اجتماعية أو اقتصادية (الزرع او حصاد) بل كانت اعياداً روحية بمعنى العميق للكلمة «في العيد يوجد بعد المقدس للحياة كاملاً»، فتحتبر القدس للوجود البشري بصفتها خلقاً الهياً. وفي بقية الزمن نحنُ معرضون لنسيان ما هو جوهرى : أما الوجود فليس «معطى» بما يسميه المحدثون (الطبيعة) وإنما هو خلق الآخرين ، الآلهة أو أنصاف الآلهة ، وعلى العكس فإن الأعياد تعيد تجديد بعد المقدس للوجود ، وبالتالي كيف خلقت الآلهة أو الأجداد الأسطوريين الإنسان وعلمه مختلف أنواع السلوك الاجتماعي والعمال التطبيقية » (إلياد ١٩٨٨ : ٧٠)

وإذا كانت الطقوس السومرية الدورية (الأعياد) ذات جذور أقدم تمت إلى العصور الحجرية الحديثة (النيوليت) فإن ذلك لم يحل دون منح هذه الأعياد صبغة روحية وطقسية جديدة.

تعني الكلمة (إيزن Ezen) بالسومرية الفرصة والاحتفال الذي لا يرتبط بوقت محدد من أوقات السنة، لكن الكلمة آسنو Isinuu الأكادية ومعها الكلمة آسنو I's sinuu تدل على العيد الدوري الموقوت.

ويوضح لنا أن الكلمة الأكادية مشتقة من الكلمة السومرية وأن اعطاء الصفة الدورية للكملة جاء من الأكديين، ونرى أن الكلمة إيزن أو آسنو تحمل ما يدل على الـ(سنة). أي العيد الذي له علاقة بنهاية أو بداية السنة، وبذلك أصبحت هذه الكلمة تدل على الأعياد معناها الدوري وغير الدوري .

ولعل أهم الأعياد السومرية أربعة هي :

#### ١. عيد إش إش

وهو العيد الأسبوعي المرتبط بالقمر ، فقد كان السومريون يعتمدون على القمر في تدوين تاريخهم ، ونرى أن الكلمة تاريخ اخذت من (ورخ) وهو الاسم السامي للقمر الذي كان السومريون يعتبرونه أساس تدوينهم التاريخي . ويرى مرسيا إلياد ان مراحل القمر الأربع (الظهور، التعاظم، التناقص، الغياب) ثم الظهور الثاني للقمر بعد ثلاث ليال من الديجور لعبت دوراً كبيراً في صوغ المفاهيم الدائرية Cyclic (انظر إلياد : ١٩٨٧ : ١٥٥).

وكان السومريون يسمون كل مرحلة باسم ويضعون سبعة أيام لكل مرحلة يكون اليوم السابع هي يوم الـ (إش إش) اي يوم الأحتفال بإنجاز مرحلة من مراحل القمر . وهذا بالضبط مصدر فكرة عطلة نهاية الأسبوع ومنها جاءت الكلمة السبت واصلها سبيتو بالبابلية اي (السبعة) ففي يوم السبت كان الناس يرتحلون من العمل ويحتفلون بنهاية مرحلة جديدة من مراحل القمر .

وينسحب هذا المنظور القمري على العمق الانساني كله حيث كانوا يرون موت أو سبات الإنسان مثل موت البشرية الدوري، هو موت ضروري، كضرورة موت القمر في أيام المحقق الثلاثة التي تسبق (عودة ولادة) القمر لأن في هذا الموت تهيئه لاعادة الولادة . وينطلق هذا الفهم من أن كل شيء، مهما كان ، بسبب من كونه موجوداً وباقياً فإنه معرض للأصابة بالضعف والاهتراء ، ولكي يستعيد قوته يجب أن يعود لكي يتصرف اللاشكيل الذي لا يدوم غير لحظة ، يعود إلى الانضمام إلى الوحدة البدائية التي صدر عنها ، اي الدخول

ثانيةً في العماء على الصعيد الكوني بانتظار ظهور جديد من هذا العماء واعادة خلق دورية .

ويرى مرسيا إلياد أن ما يسيطر على جميع هذه المفاهيم الكوسمو-ميطيقية القمرية هو العودة الدورية لما كان موجوداً فيما مضى ، أي (العود الأبدى) هنا أيضاً نعود فنجد الباعث على تكرار بادرة غوذجية يقذف بها على صعيد : كوني ، بيولوجي ، تاريخي ، بشري . . . الخ لكننا نتبين في الوقت نفسه بنية الزمان الدورية ، إن هذا (العود الأبدى) يكشف عن أنطولوجية غير ملوثة بالزمان والصيرورة (أنظر إلياد ١٩٨٧ : ١٥٩) . ومن الناحية المثلوجية كان السومريون يعتقدون أن المحاق كان يعني هجوم الأرواح الشريرة والشياطين على القمر واقتياده إلى العالم الأسفل ليغيب هناك ثلاثة أيام (لتذكر أسطورة هبوط إنانا إلى العالم الأسفل وغيابها ثلاثة أيام هناك) .

إن أسطورة إنليل ونيل وولادة القمر تشير إلى إرتباط القمر بالعالم الأسفل (ولو مؤقتاً) وإنه لابد أن يخرج بعد أن يفتدى بالقرابين ولذلك كانت أعياد إش إش مشفوعة بالقرابين والأضاحي .

## ٢. عيد زاموء (za - mu - a) :

(زاموء) إصطلاح سومري ويرادفه بالأكديّة زاكموكاً (عيد الزكمك) (zag - muk) (ka - ka) وهو من الأعياد المؤقتة الذي يمثل عيد رأس السنة ، وكان السومريون يحتفلون مرتين بهذا العيد الأول في الإعتدال الربيعي (عيد زاموء الأول) وهو عيد الحصاد والحضره وكانت تقام فيه أعراس الإله دموزي وإنانا وطقوس الزواج المقدس ويصادف تحديداً في ٢١ آذار من كل سنة وهي بداية السنة السومرية .

أما العيد الثاني فكان (عيد زاموء الثاني) الذي كان يجري في الإعتدال الخريفي وهو عيد البدار والصفرة وكانت تقام فيه طقوس الحزن الجماعي على موت دموزي وذهابه إلى العالم الأسفل وكان يصادف في ٢١ أيلول من كل سنة وهو منتصف السنة السومرية .

وبالمقابلة فإن طول الليل وطول النهار ويتساويان تماماً في هذين اليومين من السنة فقط . وهذا يشير إلى رهافة الروح السومري وإيقاعه الحميم مع الطبيعة .

وفي أواخر العصر السومري الحديث (عصر سلالة أور الثالثة) وبعد هذا الوقت أصبح السومريون والأكديون يطلقون على (عيد الزاموء الأول) اسم (أكيتو) ومع اختفاء السومريين السياسي اضطررنا تدريجياً عيد الزاموء الثاني .

وأصبح هناك عيد دوري واحد هو عيد الأكيتو يحتفل به السومريون في ٢١ / آذار من كل سنة وهو بداية التقويم السنوي عندهم ، أما الأكديون ومن ثم البابليون والآشوريون فكانوا يحتفلون بعيد الأكيتو في بداية شهر نيسان حيث بداية التقويم السنوي عند الساميين عموماً وكان يستمر عندهم (١٢ يوماً) .

### ٣. عيد الأكيتو Akitu :

كلمة أكيتو «تعني بشكل خاص اسم أحد الأعياد العراقية المهمة وكذلك المكان الذي تقام فيه احتفالات العيد المذكور، وظهرت كلمة أكيتو في النصوص السومرية بالصيغة التالية :

á - ki - te , á - ki - ti , á kitg - a , (ezen-) a- ki- tum

وفي النصوص المتأخرة ظهرت الكلمة على شكل a - ki - it ، أما في النصوص الأكادية فقد ظهرت كلمة أكيتو بمعنیها بصيغة :

. bit akitim أو akitum (التعيي : ١٩٩ : ١١٢) .

ويعتقد أن الكلمة سومرية الأصل مركبة كما يلي : a - ki - (-e) - ti - a وأن أقدم ذكر لها في اللغة السومرية ورد في لوح اقتصادي عشر عليه في مدينة أور ويعود إلى الفترة التي سبقت العهد الأكادي بقليل . وقد قامت الباحثة راجحة التعبي بتحليل هذه الكلمة كما يلي :

«a» هي كتابة مقطعة له التي تعني الماء ومجازاً المطر وKI يعني أرض وti هي اداة ظرف المكان المبهم التي تعبر عن القرب المباشر ، وقد اختفت الكلمة أكيتو لأن دغامتها مع حرف الـ a السابقة لها وتـ ti يعني يقرب . ان اعطاءنا الفعل ta يعني يقرب يعتمد على المصطلح الاقتصادي su - ti الذي يعني حرفيأ تقريب اليad الى شيء ما اي يعني يتسلل ، وعليه تكون الكلمة (a - ki - ti) a - ti (a) يعني تقريب الماء الى الأرض اي انزال المطر لأن (ti) هي

صيغة المصدر ويكون ترجمتها بمعنى (إنزال) ولهذا السبب نعتقد أن عيد أكيتو كان موجوداً في العراق قبل ظهور الكتابة المسمارية بفترة طويلة، وخلال الفترة التي ظهرت فيها الكتابة المسمارية صار العيد المذكور طقساً دينياً بعيداً عن أصله الأول لذلك ابدل على ما اعتقاده (آ-ة) لأن القسم الجنوبي من العراق لم يعتمد على المطر كاعتماده على جهد الإنسان في الانتاج والزراعة ، ، (النعمي ١٩٩٠ : ١١٣) .

في زمن سلاله أور الثالثة وحسب تقويم أور كانت احتفالات الأكيتو تحدث مرتين في السنة، الأولى في الشهر السادس والثانية في شهر حصاد الشعير الذي يصادف الشهر الثاني عشر (اذار - نيسان) ونادرأً في الشهر الأول من السنة ، وللعيد الذي يحتفل به في الشهر السادس اسم خاص هو (آكي شونونم *mumun - su - ki*) أي فترة بذر البذور وكانت تقاليد الإستسقاء القديمة التي ظهرت في سامراء ما زالت حاضرة إلى حدّ ما .

ويبدو أن عيد الأكيتو السومري كان مرتبطاً بالإلهة إنانا ودموزي وكانت تقدم الضحايا الكثيرة لـ(إنانا) في اليوم الحادي عشر من العيد الذي يبدأ في اليوم الأول من شهر أكيتو، ويكتننا على هذا الأساس افتراض أن عيد الايام الثاني عشر الذي هو الأكيتو في بابل كان قادماً من عيد الأكيتو السومري .

ومعروف كيف كان هذا العيد يقام في بابل ، وكان مركز طقوسه تجري حول مردوخ ونبو وتجديد ملكية ملك بابل .

ومن نصوص تعود إلى العصر البابلي القديم نستطيع تلمس مضمون عيد الأكيتو الأول في أور أو سومر (الذي كان جذرها عيد زاموء الأول) وهو عيد الربيع ، حيث كان يتضمن تقديم الطعام للإله نانا والاحتفال بزوجته الإلهة ننگال وهذا يعكس استبدال دموزي وإنانا بالآلهة المحلية للمدينة . أما عيد الأكيتو الثاني الخريفي فكان يتضمن عيد سفينه نورو ولعله القمر وغيابه في سفيته في العالم الأسفل ثم احتفال البكاء الكبير ثم احتفال التجول في المدينة ثم احتفال المشاعل أو عيد المرائي الذي كان بمثابة ختام العيد الحزين بعد البكاء على موت الآله المؤقت (انظر النعمي ١٩٩٠ : ١١٤ - ١١٥) .

وهنا نمسك بالحلقة المفقودة بين عيد الأكيتو السومري وعيد الأكيتو البابلي إذ يبدو أن طقوس الفرح الربيعية التي كانت تقام في سومر من أجل دموزي وإنانا تحولت إلى إله

والله المدن منذ أو بعد سلالة أور الثالثة وكذلك طقوس الحزن الخريفية .. ولأن أور كانت عاصمة الدولة السومرية الأخيرة . فإن هذه الطقوس ارتبطت باله القمر وهو الله مدينة أور (نانا) وزوجته (ننگال) ويسبب من الغياب المؤقت (ثلاثة أيام) للاله القمر في العالم الأسفل ، وهي الفترة بين اختفائه في نهاية الشهر القمري وظهوره في بداية الشهر القادم ، انتقل نقل الطقوس باتجاه إله مثل دموزي يغيب في العالم الأسفل ولكن لمدة قصيرة وبذلك أصبحت الأرضية مهدة لانتقال هذا التقليد إلى (مردوخ) إله بابل الذي نسجت له اسطورة غيابه في العالم الأسفل لثلاثة أيام أيضاً أو لفترة قصيرة وأصبح كل هذا النسيج الاسطوري ملائماً لجعل الملك السومري ثم البابلي في وسطه باعتباره (سين) أو (مردوخ) وقد كان دموزي في بدايات العصر السومري .

وهنا ازداد عيد الاكيتو تركيباً وأصبح عيداً لتسوييج الملك وزواجه المقدس مع خلفية اسطورية تذكر بالله مردوخ وقصة الخلقة .

٤. **عيديز نماخ mah - Ezen**: وهو العيد الكبير الذي ذكرته بعض الرقمن السومرية وكان أحياناً يختلط مع العيد الريعي .

## ٤- الطقوس السرية (طقوس الأسرار)

ليس المقصود من الطقوس السرية ممارستها في الخفاء ويعيدها عن أعين الدولة (باستثناء السحر الأسود) بل المقصود عدم ممارستها إلا من فئات خاصة من الكهنة وكونها تنطوي على شعائر ذات طبيعة سحرية بالدرجة الأساس . . ولها من الخصوصية ما لا يمكن تعميمه كما في بقية الطقوس .

وقد كان اغلب هذه الطقوس خارج الشكل الرسمي للديانة السومرية ، ولكنها دخلت في جوهرها بسبب من انطواتها على الكثير من الأسرار والغموض وشحذها لفضول الناس وتعلق الناس بعض من امكانياتها التي كانت تدعى السيطرة علي قوى الكون والآلهة والانسان .

إن طقوس الأسرار تعتمد في أساسها على مبدأ سحري جوهرى يقتضى وجود قوة في الكون أو في الآلهة أو في الشياطين أو في الإنسان وأن هذه القوة يمكن أن تتناغم مع قوة أخرى عند الذي يقوم بهذه الطقوس وهي قوة الساحر أو العراف أو المنجم أو مفسر الأحلام الذين يستطيعون تحريك تلك القوى وتفسيرها بالشكل الذي يريدون ، ونحن نعتقد أن ظهور قوى برايسايكولوجية عند بعض الأفراد أمر وارد وأن امكانيات تسخيرها في مختلف الاتجاهات أمر لا تشوبه الشكوك في تلك العصور التي ما زال فيها الانسان خارجا للتو من مراحلة البدائية .

والقوة البراسايكولوجية غير القوة النفسية التقليدية التي تعتمد التأثير النفسي العادي الشعوري عند الانسان ، لأن القوة البراسايكولوجية قوة خارقة لا تعمل وفق القوانين الطبيعية بل تعمل على ايقافها والتأثير عليها ولذلك تختلف هذه القوى ، من خلال أصحابها ، تحت أشكال عديدة مما كان يعرف بالسحر ومعرفة الغيب والتنجيم وتفسير الأحلام .

لقد كانت طقوس الأسرار السومرية موئلاً هاماً للديانة السومرية بالاتجاهين الايجابي والسلبي . . فقد كرست هذه الطقوس مجموعة من التقاليد التي سادت في البيانات اللاحقة وعززت مكانة الدين ، ولكنها في الوقت نفسه أتت بضررًا فادحًا حيث سادت الشعوذة والخيل واصطناع الخوارق مما أثر سلباً على طبيعة العقائد الدينية بسبب

عدم امكانية الفصل الحاد بين السحر والدين حتى في العصور السومرية وما تلاها خصوصاً  
السحر الأبيض أو الحال الذي كان مسمواً به دينياً.

اننا إجمالاً يمكن أن نقسم طقوس ومارسات الأسرار إلى أربعة أركان أساسية هي  
(السحر، العرافة، التنجيم، تفسير الأحلام).

## ١. السحر

لا شك أن الإنسان عرف السحر منذ العصر الحجري القديم (الباليوليت) لكن سحر العصر الحجري الحديث (النيوليت) امتزج مع عناصر الطبيعة والخشب والجنس بسبب ظهور الزراعة وفكرة الخصب معها . . وكانت المرأة هي التي تقود عمليات السحر الزراعي. أما عند حلول العصر الحجري المعدني (الكالكوليت) فقد قام الرجل بتنحية المرأة وأصبح هو الممارس الأكبر لطقوس السحر .

وقد عرف السومريون السحر وورثوه من الفترات السابقة التي ذكرناها. ويقوم السحر على مبدأين أساسين الأول هو مبدأ التشابه الذي هو الاعتقاد بامكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وإن بالإمكان صنع أشياء مشابهة للشيء الأصلي وإحداث التأثير على هذه الأشياء المشابهة فان ذلك يؤدي إلى إحداث التأثير في الشيء الأصلي. فمثلاً صنع دمية لعدو أو حيوان يراد إيقاع الأذى به، وإحداث الأذى على هذه الدمية يؤدي إلى إحداث الأذى بذلك الحيوان أو العدو.

أما المبدأ الثاني فهو الاتصال وهذا يقوم على أن الأشياء التي كانت متصلة وأصبحت الآن منفصلة يمكن التأثير على أيّ منها بعزل عن الأخرى ، فان التأثير ينتقل الى التي لم يصيبها الأذى مباشرةً . ومثال ذلك ان يقدر الساحر اذا امتلك خصلة شعر رجل او قلامة ظفرة او سنة المقلوع أو حتى خرق ملابسه فإنه يستطيع إزالة الأذى بها لكي يسبب الأذى للشخص نفسه وهو بعيد عنها .

وكان السحر بصورة عامة ينقسم إلى نوعين الأول مفید وحلال ويسعى لنفع الناس وهو (السحر الأبيض) الذي كان يسمح لبعض رجال الدين بمارساته وخصوصاً كهنة (الأشيء) أو المعزمون (طاردو الأرواح) .

أما النوع الثاني فقد حرمه الأعراف والقوانين السومرية ووقف الدين السومري

ضده وهو السحر الضار المؤذى المرام الذي هو السحر الأسود حيث كان يمارسه بعض رجال الدين سراً ويسمى بالأوكدية (الكشفو) أو (الكتشبو) والذي حرمته الأميرة السومرية كوديا ثم حرمتة الشرائع اللاحقة كشريعة حمورابي .

إن السحر الآييض يستعين بالآلهة المعروفة وخصوصاً الإله إنكي وهو إله السحر أيضاً وأبنته الإله اسارتلوخي التي كان يكرس لهذا الغرض عند السومريين ، وكان ماء إنكي وغيره من اسارتلوخي مادة إطفاء نار السحرة والأرواح الشريرة .

أما إذا أراد السحر الآييض الاستعانة بالنار فإنه يستعين بالإله نسكو وهو إله النار الهوائية وكيرا إله النار السماوية واليجبيل إله النار السفلية وربما الإله شالا (أم جرو) إله النار الكواكبية هذه الآلهة الأربعية كانت تملك النار القادرة على حرق السحرة الأشرار أو الشياطين والأرواح الشريرة التي يتلقون معها .

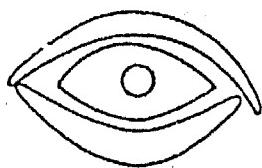
اما السحر الأسود فهو سحر سريٌّ وخفى ولذلك كان يهرب من الآلهة ويستعين بالشياطين والأرواح الشريرة وأرواح الموتى وكان يتصل بهم ويحرضهم ، على احداث الشر والأذى عن يريد ، عن طريق وسيطي التشابه والاتصال بشكل خاص .

#### شياطين السحر الأسود :

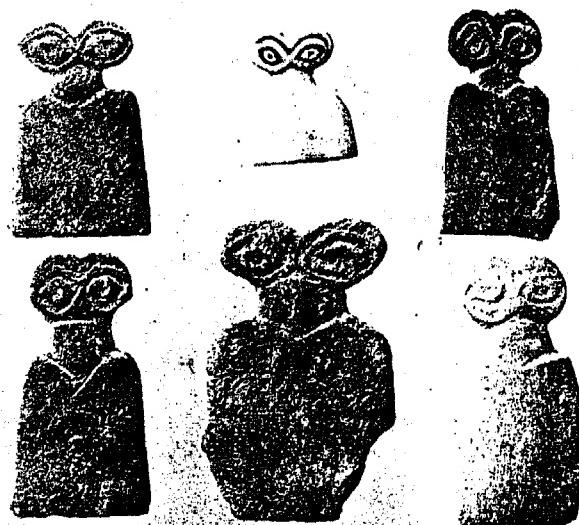
إن الآييان بقدرة الشياطين والشعوذة كان أساس السحر الأسود وكان ذلك يستدعي إبعاد الآلهة حتى يتسعى للساحر اختراق الحاجز ليتصل بالشياطين التي كان السومري يعتقد بوجودها .

لقد كان الكون السومري مليئاً، بالإضافة إلى الآلهة ، بالشياطين والعفاريت الطيبة والخبيثة ، فالعفاريت أو الجن الطيبة هي إبناء وبنات الآلهة العظام (آن، انليل ، إنكي) وكانتا يتميزون عن غيرهما بوجود أجنبية على اكتافهم وهم ذات وجوه كوجوه الآلهة لكنهما لا يكون قوتها وعزمها وكانتا يسكنن العالم الأسفل ويستخدمن الناس كملائكة حارسة لهم شخصياً أو لبيوتهم ومدنهم وهم جذر ما اصطلاح عليه فيما بعد بالملائكة (الشيدو واللماسو) . أما الشياطين العفاريت أو الجن الخبيثة والشريرة فهم مخلوقات لا نسب لها بل هي كائنات ظهرت في الأماكن المهجورة والتتسخة والمظلمة واصبح بعضها جنوداً في العالم الأسفل ، ودخلت في جيوشها أرواح الموتى الذين لم يدفنوا او لم تقدم لهم طقوس جنائزية جيدة .

وكان شكل الشياطين الخبيثة وصورهم مثل وحوش مخيفة أو حيوانات مركبة أو كائنات مرعبة وكانت لهم أطرافٌ غريبة وقد تكسوا جلودهم الحراشف والأشواك والأصداف.



شكل (١٠٤)  
عين الإلهة الطاردة للشر  
رسم : علي محمد آل تاجر



شكل (١٠٥)  
تماثيل الله العين الطاردة للشر في معبد تل برالك

ومن أنواع الشياطين السومرية الخبيثة هي (انظر الماجدي ١٩٩٦).

١. الكالا : وهم جنود وجيوش العالم الأسفل وقد وصفتهم أسطورة نزول إنانا إلى العالم الأسفل بأنهم (لا يعرفون الطعام والماء) و(لا يأكلون ولا يشربون) و(الذين يسلبون الزوجة من حضن الرجل والطفل من حضن أمه) وشبهتهم بأنهم مثل (نصريل الريح) أو (القصب) وهم عامة الشياطين .

٢. الأوتوكو : وهم الأشرار المعروفة بالسبعة الخنث قادة لشر

٣. الناموتو : وهم شياطين الأمراض وأصواتهم أشد من عضتهم وهم يدخلون البيوت والاسطبلات بقصد الأذى والقتل .

٤. السبعة الأشرار : الذين يقتلون الأطفال الرضع ويؤخرون ولادة النساء .

٥. العين الحاسدة : وهي شيطانة العين التي تسبب الأذى والشر والتي خصصت معبد تل براك لعبادتها واتقاء شرها (شكل ١٠٤)

٦. الأشباح وهم الذين لا ملامح لهم ونعني بهم أرواح الموتى المقتولين غدرًا أو غير المدفونين أو غير المقدمة لهم طقوس جنازية مناسبة .

وكان للشياطين أسماءً دالة على أفعالهم مثل الماسك والرابض والقابض .. الخ . وكانت ليلىث شيطانية سومرية ورد ذكرها في أسطورة إنانا وكلكامش (شجرة الخلبو) فقد حطم كلكامش شجرة الصنوبر التي يبدو أنها كانت بمنبة (الشجرة الخبيثة) في أوروك وطلع منها ثلاثة كائنات شريرة هي (الأفعى من الجذور ، ليلىث من الجذع ، زو طائر الصياغة من الأغصان) . وكانت ليلىث توصف بأنها شيطانة الليل صاحبة الاجنحة التي ترافقها العقبان والنمور والأسود وهي متخصصة باغواء الرجال وجذبهم من بيوتهم في الليل ليهيموا وراءها في البوادي والسهود والتي تشبع رغبتها منهم ثم تتركهم فريسة مجونها وغرامها الشارد وقد وصفتها الأديبيات العبرية بأنها (حواء) وكان صنف ليلىث من الجنيات يسمى (اردات ليلى) .

أما الليلو فهم شياطين ذكور عكس ليلىث ، ويوصفون بأنهم عفاريت نصفهم بشر ونصفهم شيطان ويلاحقون البنات والنساء البشيريات ويلحقون بهنَّ الأذى وربما الغرام الشديد الموله .

و الشياطين الشريرة عند السومريين لا تؤذى الإنسان فقط بل تؤذى الطبيعة وتسبب عدم توازن فيها فالكوارث والزلزال والفيضانات والقحط والرياح كلها بفعل هذه الشياطين .

إن غياب القمر بعد المحاق شهرياً كان أيضاً بسبب مهاجمة الشياطين السبعة الكبار له ، ولذلك كانت الأيام الثلاثة بين اختفاء القمر وظهوره هي بمثابة نوع من خطف القمر من قبل الشياطين إلى العالم السفل . وهذا هو جزء من أعياد الـ (إيش إش) السومرية . وكذلك كسوف الشمس وكسوف القمر كانا بسبب الشياطين ولذلك كانت هناك شعائر لإنقاذ هما من قبضة أو فم الشياطين .

### مضادات السحر الأسود

كان للسومريون طرقاً خاصةً لمعالجة السحر الأسود أصبحت ، فيما بعد ، أساس معالجات السحر الأسود في الماضي القديم كله وكان جوهرها يستند على أساس أن السحر الأسود أو المرض أو الخطيبة بشكل عام سببها الأرواح الشريرة (الشياطين) فكان طردتها وتخليص الحياة منها بمثابة علاج لها .

ويظهر تدخل الآلهة أولأيعتها لاشارات نبوية (أشابوت) تكون بمثابة علامات على إمكانية حدوث الكوارث والأمراض ، وهي بمثابة تشخيصات لهذه الشرور ، وكان كاهن الأشيبو هو الذي يكشفها ويفسرها (انظر الأحمد ١٩٨٨ : ٦٣) .

في مجال الإنسان كان سقوط حية من الشجرة أو ظهور غراب أو كلب في الطريق أو حلم بالسقوط .. الخ هي إشارات المعزّم (الأشيبو) ليحللها ويعرف إمكانية شفاء الإنسان من مرضه .

أما في مجال الطبيعة فكان ظهور البرق والصقير والمطر وتكسر الآلات ولدغة النحله وسقوط الشيء من مكان مرتفع بمثابة الإنذارات على وقوع الكارثة .

وكان كاهن الأشيبو يقوم بعد ذلك بمجموعة من الطقوس المضادة وهي :

١. الرقى والتعاويذ العامة : كانت التعويذة (الشيتتو) هي الوسيلة العامة التي يمكن أن يقوم بها (الأشيبو) أو (المشمشو) وهي عبارة عن كلمات ملفوظة تتعدّى من الشياطين

وتحاول إبعادها ، ويؤديها الكاهن وهو يلبس ملابس حمراء (وهو اللون الذي تخشى الشياطين) أو ملابس على شكل جلد ورأس السمكة حيث يتمثل فيها الكاهن شخصية انكي الذي ترمز السمكة له . أما الرقيقة فتتضمن صنع قماشل صغيرة تعذب وتحطم بتلاوة جملة عليها والمعزم جالس داخل دائرة اختطتها بعصا مسكاً بخشبة أو غصن نخلة .

وكانت التمائم عبارة عن أشكال سحرية قد يكتب فيها ما يريد الساحر ولكنها تعلق على زند أو على صدر الشخص للدرء المرض والشر عنه . وتأخذ شكل الشياطين مثل بازو ورو .

وكانت التعاويد والرقى مصحوبة ببعض الأعمال الرمزية مثل حرق مواد تشبه الارواح الشريرة وحل العقد التي نعتقد أن المريض قد رُبط بها .

٢ . التعاويد والرقى الخاصة وهي تعاويد وجدت بصيغتها الأكدية ويعتقد أن لها جذوراً سومرية وأسماؤها كما يلي :

أ. الشريبو وهي تعاويد مضادة ل التعاويد السحر الاسود المسممة المقلو ، وتصاحبها نار وحرق دمى .

ب. آتوكي لموتي : تعاويد لطرد لكبار الشياطين

ج. آشاكى مرسوتي : تعاويد لطرد شياطين الامراض

د. لا بارتوك : تعاويد لطرد شياطين خاصة .

٣ . طقوس الماء والزيت والدفن التي تعتمد على مبدأ الاتصال بشكل خاص حيث يأخذ المعزم شيئاً من شعر أو أظافر أو ملابس المريض ، ويرش الماء عليه أو الزيت ، ويتلفظ باسم العفريت ، وربما يقوم بالتبخير أو حرق بعض أدوات المريض أو دفنه لكي يطرد العفريت عن المريض .

٤ . طقس الفوهو (البديل) الذي شرحته في الطقوس اليومية والذي كان يعالج به المرضى حيث يستند إلى مبدأي السحر (التشبيه والاتصال) معًا حيث يدفن الحيوان البديل عن المريض مع المرض في النهاية .

#### علاقة السحر بالاسطورة

كان السحر قد يمثل أول الأديان لاعتقاده بوجود قوة في الأشياء والعالم يمكن

التحكم بها ، وبعد أن أدرك الإنسان أن أصحاب القوى الخارقة فقط هم القادرين على التحكم بهذه القوى أبقى الإنسان معتقده في وجود هذه القوى ولكنه خضع لها هذه المرة وتوسلها فنشأ الدين بالمعنى الذي نعرفه .

وإذا كان السحر ، كدين بدائي ، يرجح الطقس أساساً على الأسطورة التي يعتبرها هي الكلمة بدل القصبة المقدسة والمعتقد هو الاعيان بوجود القوى الكونية والبشرية ، فإن الدين أعطى مستويات متقاربة لكل من الطقس والأسطورة والمعتقد .

لكن السحر نفذ إلى الدين من خلال الطقوس التي شرحنا بعضها ومن خلال الأسطورة أيضاً (رغم أن السحر يمارس خارج الأسطورة) وهناك الكثير من الأساطير السومرية ما زالت تحفظ بالمشاهد السحرية فمثلاً في أسطورة انليل وننليل في العالم الأسفل يقدم البديل (الفوهو) عن الآلهة الثلاثة (الزوجان وابنها القمر) ليمرق ثلاثة آلهة سفليين في العالم الأسفل ويتمكن ثلاثة آلهة علية من الخروج إلى الأعلى وقد اعتمد على مبدأ التشبيه والاتصال السحيرين .

وفي نزول إنانا إلى العالم الأسفل يخلق الله إنكي المخلوقين (كوركالا) و (كولاتور) ويسلم الأول طعام الحياة والثاني ماء الحياة فيقومان برشهما على جثة إنانا ستين مرة (بطريقة سحرية ولا شك) لتعود إنانا إلى الحياة .

إن طعام الحياة (بلخو) ولعله (البلغ) وماء الحياة (ميلامو) ولعله ماء مقدس يرشان بطريقة سحرية لستين مرة وهو عدد مقدس وسحري في أن .

وفي أسطورة / تعويذة السن السومرية يظهر السحر واضحاً .. وهناك أمثلة أخرى عديدة .

## ٢. العرافة

العرافة في أبسط تعريف لها هي (التبؤ بالغيب) ، وإذا كان السحر ينطلق من وجود قوى خارجية يمكنه السيطرة عليها فإن العرافة تنطلق من فكرة وجود قوى داخلية (عند العراف) يمكنها أن تلتقط إشارات الكون والطبيعة وغيرها لتكتشف بها ما سيحدث من أحداث .

ولعل أقدم عَرَاف سومري هو ملك سبار قبل الطوفان (إثنين دور انكي) الذي تعلم العرافة من الإله انكي فعينه عارفاً لفنونها وتعلمها واعتبر حامي العرافين، وكذلك بطل الطوفان زيوسيرا . ويدرك ان أورنانثة أول حاكم لكش كان عَرَافاً (انظر الأحمد ١٩٨٨ : ٦٩).

وكان العَرَاف قارئ خطوط وإشارات بامكانه تأويلها بالشكل الذي يراه لمعرفة ما سيحصل في المستقبل .

وسمى السومريون العَرَاف (آزي Zi) وتعني (الذي يعرف) وهو ما يقابل في الأكادية (بارو) الذي اعتبر أحد أنواع الكهنة المتخصصين عند السومريين والأكديين معاً.

وبصورة عامة يمكن تقسيم العرافة السومدية حسب مصدر نشوئها الى الاقسام التالية :

١ . عرافة الطبيعة وقراءة حركاتها وتبدلاتها ولعل أهم جزء في هذه العرافة هي قراءة السماء وظواهرها والنجوم وحركاتها وهو ما يعرف بالتنجيم الذي سُنِّفَ له فقرة كاملة .

اما بقية أشكال وخطوط وإشارات الطبيعة المُعْبَر عنها بالبرق والزلزال والبراكين والفيضانات وخطوط الجبال والسهول وحركة المياه فقد كانت مصدر الهام العرافين لكي يعرفوا بها مصائر الناس والبلدان .

٢ . عرافة الحيوان وقراءة ما يصدر عنه من حركات عفوية في وقت معين وهناك نوع آخر يعني بقراءة الأجنة والولادات المشوهة عند الحيوان ليُستدل بها على حدوث أمور مستقبلية .

وأهم أنواع هذه العرافة قراءة أحشاء الحيوانات التي تُدْبِّح بمناسبة ما وبصورة خاصة قراءة خطوط وتغيرات الكبد (Hepatoscopy) فمثلاً عندما تختفي المرارة من الكبد فإن ذلك يعني اشارة لكارثة تخص الملك أو البلاد وهكذا .

٣ . عرافة الإنسان وتشمل قراءة شكل الإنسان وخطوط وجهه ويديه وقدميه وجسده وحركاته بل والولادات المشوهة له وطبيعة الأجنة المسقطة منه .

٤ . العرافة العملية وهي العرافة الاصطناعية التي تعتمد على بعض الاعمال التي يقوم بها العراف ليتتبع خطوطاً وأشكالاً يقرأ بها ما سيحصل في المستقبل . وقد عرف السومريون نوعين من هذه العرافة وهم سكب الزيت في الماء ثم مراقبة حركة الزيت وهو يطفو على الماء ويشكل حلقاته ومنها يعرف الفأل الحسن من الفأل السيء ، أما النوع الثاني فهو قراءة حركة الدخان المتضاد من المبخرة .

لقد كان الإله (أوتو) إله الشمس ، والإله (أشكر) هما اللذان يرعيان طقوس العرافة وكان العرافون يتسلونهما عند إجراء طقوس العرافة .

ولم تكن العرافة محّرمة بل كان الشخص الذي يقوم بها من نوع خاص يجب توفر بعض الصفات الخاصة به ، وكان العراف يرافق الملوك والامراء ويقرأ لهم طالعهم .

وجاءت أقدم نصوص العرافة من العصر السومري القديم بعناوين مختلفة هي :

- إذا كانت مدينة على ارتفاع معين .

- عندما الإله آن وانليل

- إذا ضرب أو بني .

### ٣. التنجيم

التنجيم Astrology هو الوجه السحري والشعبي لعلم الفلك Astromony . ولمن يبدأ التنجيم بداية سحرية بل كان في بدايته محاولة من الإنسان التيوليسي لرصد الكواكب والنجوم في السماء وتحديد أوقات سقوط المطر وهبوب الرياح وتبدل الفصول « ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم ، ولا سيما التقويم الشمسي ، أوجحتها للإنسان الدورة الزراعية ، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر إلى وقت بذر آخر أو من حصاد إلى حصاد آخر ولعل إنسان ذلك العصر استعان في ضبط مثل هذه الدورات والمواسم وتعاقبها ومواعيدها باقتراحها بطلوغ بعض النجوم والكواكب ، على نحو ما يمارسه الفلاحون الآن في العراق وفي غير العراق » (باقر ١٩٧٣ : ٢٠١) .

ولما كانت تقلبات الجو (وعلامتها الكواكب والنجوم) تؤثر على مصادر الغذاء بهذا الشكل فلذلك أصبح « ارتباط مصير الملوك بالتقىبات الجوية راجعاً إلى أن الكهنة والحكام

الذين مارسوا سلطاتهم السياسية والدينية خلال الفترات التي سبقت ظهور نظام الري كانوا مسؤولين مسؤولة مباشرة عن توفير الغذاء لمجتمعاتهم ولذلك فإن النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكس سلبياً على الحكام وعلى مصيرهم ولذلك أصبحت حركة الكواكب علامات دالة على مستقبل البلدان وحكامها ، (رشيد ١٩٨٧ : ٩).

ولعل أول المظاهر التنجيمية والفلكلورية في الدين السومري هو تقسيم السماء إلى مسالك إلهية أو طرق معينة بأسماء عظام الآلهة السومريين فقد اطلق على خط الاعتدال السماوي طريق آن ويقع شماله خط الشمال وهو طريق إنليل إما جنوبه فخط الجنوب وسي بطرق إنكي (ايا).

ومنحت الآلهة الكبيرة أرقاماً رمزية ذات طابع فلكي ، ولعل أهم إنجاز قدمه السومريون للفلك والتنجيم هو إدخالهم النظام الستيني السومري على النظام الرياضي الفلكي . وهذا النظام يصلح للأشكال الدائرية والمقوسية وهو ما كان يحتاجه التنجيم ليتحول إلى علم فلك يقوم على الرصد والقياس وتنظيم الجداول .

### النصوص التنجيمية السومرية

ظهرت النصوص التنجيمية والفلكلورية السومرية أثناء تكون دولات المدن السومرية وكانت النصوص التنجيمية منها بشكل خاص على شكل نصوص فال وعرافة ، وقد اشتهرت مدينة سبار (مدينة الإله الشمس) بمثل هذه النصوص واهتمامها الفريد بالطبع والتنجيم . وكذلك مدينة أور (مدينة الإله القمر) . وتخبرنا المكتشفات الأثرية بوجود نصبين تنجيميين مهمين يعودان إلى الفترة السومرية هما :

#### ١. نص ( حينما آتو إنليل (EAE

وهو نص تنجيمي لأغراض الفأل يرى عدداً من الباحثين أنه يعود إلى ما قبل الفترة الأكادية السرجونية ، ويرى آخرون أنه يعود إلى هذه الفترة ولكنه مكتوب باللغة السومرية ويعتبر هذا النص من أكثر النصوص التنجيمية قدماً وقد جمعت معه نصوص أخرى تكمله وظهرت على شكل سلسلة نصوص تنجيمية نقتطف منها هذا المقطع «إذا حدث خسوف في شهر سيوان في اليوم الرابع عشر وكان الإله القمر في ظلامه الدامس على الجانب الشرقي من فوق ، والنور على الجانب الغربي من تحت ، وهبت ريح الشمال في

ليلة المراقبة الاولى وخفت في متصف ليلة المراقبة . . فسيعطي الإله القمر ذو الظلام الدامس على الجانب الشرقي من الأعلى ذو النور على الجانب الغربي من تحت قراراً لمدينة اور وملك اور .

(أما بالنسبة ) لملك اور فسيقاومه ابنه ، أما بالنسبة للأبن الذي سيقاوم أباه فيقبض عليه شمش (الله الشمس) وسيموت لعقوته والده ويستولي العرش ابن الملك الذي لم يعلن عنه للملوكية ، ، (ساكرز : ١٩٧٩ : ٥٢٥) .

ويوضح هذا النص علاقة بين مصير مدينة وسكان وملك اور وخسوف القمر والانواء الجوية ، وقد كان المنجمون في ذلك الوقت يقرأون مصائر الناس والملوك والمدن والدول من حركة الكواكب لارتباط حركة الأفلاك بالزراعة والغذاء ولأن الآلهة هي التي تحكم بهذه الكواكب ولذلك يقدسون غضبها ورضاهما من خلال هذه الكواكب ولأن الملوك على صلة مع الآلهة فلا شك (في نظرهم) ان هناك علاقة بين الكواكب ومصائر الملوك .

## ٢ . نص المشتري (ساكميگار) Sagmegar tablet

وهو من النصوص الفلكية الاقتصادية السومرية من عصر الملك السومري شولكى وهو ابن الملك اورثو من سلالة اور الثالثة وقد دون اسم الملك « على يسار اللوح دونت سنوات حكم الملك ، ثم أسماء الشهر واليوم في الشهر وفي بعض الحالات عبارة تتعلق بهذه الأمور الثلاثة وللأسف فإن الكسر الذي فيه لا يعطينا تعريفاً كاملاً به لكنه يسجل سنوات ظهور واختفاء المشتري ، ، (Walker 1982) .

وتوجد خلف اللوح تسجيلات تنجمية وتاريخ مختصر للملك السومري شولكى « شولكى ابن اورثو ملك جميع البلاد أخذ كرهينة بضائع البلد العدو ، لقد سلب كرهينة ملكية ايساجيل وبابل ، ، (Ibid)

ويقول القسم الآخر من النص « لقد فعل ما لا يحمد عقباه وسلب ملكية ايساجيل وبابل كرهينة ، ، (Ibid) .

ولأن اللوح الذي جاءت فيه هذه المعلومات هو لوح يخص كوكب المشتري الذي يسمى بالسومرية (ساكميگر) واسمها وعلامتها الدالة عليه وما يحمل من معلومات لهذا يعتقد أن شيئاً ما قد حصل للملك شولكى مع وقت وظهور واختفاء هذا الكوكب

خصوصاً أن شولجي سلب كرهينة ملكية ايساجيل وبابل .

### الآلهة وأيام الأسبوع وأبراج السماء

اتبع السومريون النظام القمري في تقويمهم وقسموا السنة إلى اثنى عشر شهرأ قمريأ  
وسموا الشهر القمري إلى أربعة أسابيع بحسب حركة القمر وقسموا الأسبوع إلى سبعة أيام .

ولم تصل أسماء ثابتة للأشهر السومرية القمرية بل كانت كل مدينة سومرية تتخذ  
تقوياً خاصاً وأشهرأ خاصة « وقد تمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر تثبيت هويتها بصورة  
كاملة هي خمسة تقاويم وتعود إلى المدن التالية : لكتش ودريلهم (صيلوش دكان) واوما، نفر  
واور وبالتأكيد هناك تقاويم أخرى غير التي ذكرناها لم تسع الفرصة بعد للتعرف عليها  
وذلك لأن تنقيباتنا لم تشمل جميع المناطق الأثرية ، ، (رشيد ١٩٦٨)

وقد عرف السومريون كبس الأشهر القمرية ليتلافوا النقص الواضح في الزمن  
قياساً للسنة الشمسية . ولذلك كانوا يضعون أسماء أشهر مضافة بعد سنوات محسوبة .

أما أيام الأسبوع فقد أطلق السومريون عليها أسماء الآلهة والكواكب المرتبطة بها  
وأخذ عنهم البابليون هذا وما زال إلى اليوم نظماناً في تسمية أيام الأسبوع مرتبطة  
بالكواكب وهي كما يلي :

الإله السومري الخاص به	الإسم السومري للكوكب	الكوكب الخاص به	أيام الأسبوع
أوتو	أوتو	الشمس	الأحد
ننار	سوأين	القمر	الاثنين
آن	آن	المريخ	الثلاثاء
إنكي	غو إود	عطارد	الأربعاء
إنليل	سكميگار	المشتري	الخميس
إنانا	نانسي آنا	الزهرة	الجمعة
نورتا	تور دش (جيّنا)	زحل	السبت

جدول (١١)

أيام الأسبوع السومرية وكواكبها وأسمائها

ولذلك كان المجمون عندما يقيمون طقوسهم ويحاولون قراءة النجوم في يوم معين فانهم كانوا يتسلون إلى ذلك اليوم وبحم ذلك اليوم لكي يتمكنوا من قراءة دقيقة ، وكذلك كانوا يأخذون بنظر الإعتبار الإله الخاص بالمدينة التي هم فيها فإذا تافق إله مدينة ما مع يومه في الأسبوع فإن ذلك يعتبر الحالة المثالية لعلم المجمين .

والسمريون هم الذين قسموا السماء إلى إثنى عشر برجاً سماوياً على أساس حركة القمر فيه خلال السنة ووقوع نجوم بعينها في هذه البروج والدليل على ذلك بهذه البروج من ٢١ آذار من السنة وعلى التوالي حيث / آذار هو بداية السنة السومرية وهو يوم الاعتدال الربيعي حيث كانت تقام إحتفالات رأس السنة السومرية .

ولتسهيل معرفتهم بالأبراج أطلقوا عليها أسماء الآلهة أو رموزها الحيوانية واستعملوا النجوم التي تقع في كل برج كنقط دالة لأنها لا تغير موقعها سريعاً وبذلك كانت البروج في بدايتها عند السومريين أشبه بخطوط الطول والعرض السماوية . ولكنها استخدمت فيما بعد ، وبسبب ربط المصائر بالنجوم ، لأغراض تنجيمية وما زالت إلى يومنا هذا تستخدم بهذا الشكل .

وقد أسموا مثلاً برج الثور (كوه) ، وبرج السرطان (ناكار) وبرج العقرب (كر) وبرج القوس (بابل) وبرج الجدي (ماش) .. وهكذا .

وقد طور البابليون فكرة الأبراج السماوية واستخدموها بشكل أوسع في الحقلين التنجيمي والفلكي .

### **الزقورات كمراصد فلكية وتنجيمية**

استعمل الفلكيون والمجمون السومريون الزقورات العالية كمراصد لمراقبة حركة الأفلاك والنجوم ، وكانت هناك غرفة عالية تستخدم لمراقبة النجوم تسمى (بيت المراقبة) أو (بيت عمرتي) .

ووأوضح أن سبب اتخاذ الزقورات كمراصد كان ارتفاعها الذي قد يصل إلى (٧٢ قدم) ولارتباطها بالآلهة التي كانت لها صلة بالכוכاب والنجوم كما عرفنا .

#### ٤. تفسير الأحلام

آخر طقوس ومارسات الأسرار هو تفسير الأحلام الذي كانت الآلهة (نانشة) مسؤولة عنه بالدرجة الأساس، وتخصصت به الآلهة (مامو) ابنة الله الشمس (أوتوا) وكلمة (مامو) بالسوبرية تعني الحلم

وكان الكاهن المسؤول عن تفسير الأحلام هو السائل (شائيلو) والكافنة المسؤولة عنه هي السائلة (شائيلتو)

وكان تفسير الأحلام يحظى بأهمية خاصة عند الملوك والأمراء، أما الكهنة الذين يعملون فيه فهم من ذوي الامتيازات الروحية الخاصة.

ارتبطت الأحلام بالليل وكانت كلمة مامو، مامود تعني الليل والحلم في الوقت نفسه، أما كملة (ماش جي) فتعني نتاج الليل وتدل على الحلم أيضاً.

هناك نوعان من تفسير الأحلام الأول بواسطة الإلهام (إلهامي) والثاني بواسطة الاستنتاج (استنتاجي).

كان تفسير الأحلام الإلهامي هو الأقدم وقد ارتبط بالآلهة حيث كان يعتقد أن الآلهة تختار الحلم صيغة لنقل ما ت يريد إلى إنسان ما تختاره هو . فعلى سبيل المثال يرى زيوس درا حلماً يرسله له الإله إنكي ليتجنب دمار الطوفان وفي النسخة البابلية يقول الإله إنها (أني أريتُ أترا خاصيس حلماً، وهكذا تعلم سر الآلهة).

أي إن تفسير الحلم كان سراً إلهياً يعلمه الإله الحكمة لمن يشاء وقد كان «مثل هذا الاعتقاد بالإيحاءات الإلهية في الحلم قديم جداً في بلاد الرافدين القديمة . وأقدم مثل عنها جاء في «مسلسل النسور» الشهيرة العائدة للملك لكتش (أي آناتوم) الأول في نحو سنة ٢٤٥٠ ق. م في صراعه ضد أواما وهو يروي كيف أن الإله ننكر صبو ظهر له في نومه لكنه يطمئنه بهذه العبارات عن التالية السعيدة للحرب : حتى كيش لن تساند أواما . فالإله أوتو سينحاز إليك ، ، (بورغرو ١٩٩٠ : ١٤٦).

وتنظر الإلهة كشن أنا في أسطورة موت دموزي ونزوله إلى العالم الزسفل كمفقرة أحلام من الطراز الرفيع فهي تؤول حلم دموزي (راجع أساطير ومراثي دموزي

في هذا الكتاب . الفصل الثاني) حيث يذكر دموزي ما يقرب من (١٢) مفردة حلمية هي (الأسد، القصبة ، الاشجار، الماء، المخضّة، كاس الشراب، العصا، النسر، الباز، العزّات، الخراف، حظيرة الغنم) فتقوم كشن أنا وهي اخت دموزي بتفسير حلمه وتأويل هذه المفردات واحدة تلو الأخرى :

« إن حلمك غير حميد ذلك الذي أخبرتني به

إن تفسير الأسل الذي يرتفع حولك يعني

إن مجرمين يقومون وبها جمونك

وإن القصبة التي تقوم وحدها تخني رأسها لك

تعني أمك التي ولدت وسوف تخفض رأسها من أجلك

أما القصب القائم مزدوجاً وتترنّع منه واحلة يعني

أنا وأنت وواحدٌ منا سوف ينزع من الحياة

أما الاشجار العالية فتعني الظلام الذي ستغرق فيه

أما موتك فسينطفى

ستسقط كأسك من المشجب وتضييع عصاك

وتموت طيورك وعزّاتك وشياحك

وحظائرك سيعيم بها الخراب

وستمزق مخضبة لبنك ويندلق لبنها

ويحطم كوبك ،

ولعل حلم كوديا وتفسيره من قبل الإلهة نانشة خير مثل على التفسير الإلهامي فحين يحلم كوديا بحلم يذهب إلى الإلهة نانشة ويسمّيها (مفترة الآلهة وأم الرؤى والأحلام) ويروي لها حلمه كما يلي :

« في منامي - رجل

كالسماء في عظم جرمي، كالأرض في عظم جرمي ،  
هورأسه رأس إله  
جنادل جنادل طائر امدو جود  
قائمة قائمتا عفريت طوفان  
عن يينه وشماله اسدان يربضان  
أعطاني الأمر بعمير بيته  
لا أرى ماذا يريد  
الشمس طلعت لي من الأفق  
أمراة - من هي ليست تكون ! من هي تكون !  
وضعت على الرأس  
 أمسكت قضبة اللوح الفضية المصيحة باليد  
أنسندت لوح نجم على الركبة  
تشاور معه  
ثم، بطلُّ  
لوى النراع، أمسك كتلَّةً من جحر اللازورد  
للمنزل، رسم مخططاً عليها  
أمامي سلة مقدسة زرعت ،  
قالب قرميد مقدس أقيم مستوياً ،  
قرميد القدر وضع في قالب القرميد من أحلي ،  
في عوسجة «إلداج» المزورعة أمامي ،  
عصافير «تيبي» ما برحت تغرد طرياً .

ومهر حمار نبيل ، «اليد اليمنى» مليكى ، كان يضرب  
الأرض بقائمته نافذ الصبر ،

(كرىبر ١٩٨٦ : ٤٦ - ٤٧).

هذا الحلم الجميل بوصفه هو الذي حلمه كوديا وطلب من آلهته نانشة التي يرى أنها  
أمها بتفسير هذا الحلم ، وبعد أن سمعت نانشه الحلم قامت بتفسيره :

«يا راحي ، أنا منامك سافسر :

الرجل العظيم الجرم كالسماء ، العظيم الجرم كالأرض

ورأسه رأس الله

وجنحاه جناحا طائر امدو جود ،

وقائماته قائمتا عفريت طوفان

وعن يمينه وشماله اسدان يريضان

إن هذا فهو أخي نجرسو

أن تعمّر له معبد أنيبو

الشمس التي طلعت لك من الأفق ، هي إلهك

تنجشزيلدا

مثل الشمس طلعت لك من الأفق

العذراء التي وضعت .. على الرأس ،

وامسكت قصبة اللوح الفضية المصيحة باليد

وأسندت لوح نجم على الركبة

تشاور معه

إن هذه وهي أخي تدابا

لكي تعمر البيت طبقا للنجوم المقدسة

دعتك

ثم ، بطل -

لروى النراع ، امساك كتلة من حجر اللازورد

إن هذا نندوب يرسم مخطط البيت عليها

السلة المقدسة التي زرعت أمامك

قالب القرميد المقدس الذي أقيم مستوياً ،

قرميد القدر الذي وضع في قالب القرميد

إن هذا قرميد أنيبو الذي يقاوم ..

في عوسة إلداج المزروعة أمامك ،

عصافير تبيو ما برحت تغرد طرياً

في أثناء تعمير البيت ، لن يأتي الرقاد والحلو إلى عينيك

مهر الحمار النبيل ، اليد اليمنى لملكك ، الذي كان يضرب الأرض

بقائمته نافذ الصبر

إن هذا أنت ، كمهر الحمار النبيل سوف تضرب الأرض في أنيبو ،

(كرير ١٩٨٦ : ٤٧ - ٤٩).

إن هذا التأويل الحلمي يعتبر واحداً من أقدم ما ذكره التاريخ وهو يشير بوضوح إلى تأويل إلهي ذي طبيعة الهمامية .. ولننظر إلى كوديا العظيم الذي كان يحلو له أن يتشبه بالحمار بسبب حبه للعمل وتواضعه أمام شعبه وهكذا كانت الإلهة ناشطة تراه .

وي يكن ان نضع تفسير الإلهة (نسون) أم كلكامش حلم ولدها في نفس السياق وكذلك حلم أنكيدو الذي كان نذيراً غير رضه ثم موته .

أما النوع الثاني فهو تفسير الأحلام الإستنتاجي فهو الذي يعتمد على القدرة

التأويلية لكاهن أو لكاونة الشائيلو/ الشائيلتو على فك الرموز والصور الحلمية ووضعها في سياق الواقع ، ولا شك ان هناك ما يشبه الشوابت التي درج الكهنة على وضعها نصب أعينهم وقد ذكرها بالتفصيل لاحقاً الكهنة البابليون والأشوريون الذين وضعوا ما يشبه القواميس الكبيرة لتفسير الأحلام والتي تبدأ فقراتها هكذا « اذا حلم أحذب .. فإن .. وجاء أقدمها من حوالي ١٧٠٠ ق. م ولا شك أن مصادره الأولى سومرية ، ومثال ذلك :

«إذا حلم أحذ خلال نومه بأن المدينة كلها تسقط عليه ، وبأنه يطلق صرخات ويسمعونه : فسيكون لهذا الرجل نحسٌ يلازم طول حياته .

«إذا حلم انسان بأنه يأكل لحم كلب : استهلال ، رغبة غير متحققة .

إذا تبول في جدول ماء : لن تزدهر غلاته »

«بوتيرو ١٩٩٠ : ١٥٢ - ١٥٥ .»

تصنف الأحلام التي ظهرت في النصوص العراقية القديمة ومنها السومرية تصنيفاً يختلف عن تصنيف تفسير الأحلام وعلى الشكل التالي :

١. أحلام تظهر بها الآلهة ارادتها والتي قد تحتاج الى تفسير أو لا تحتاج .

٢. أحلام تعكس وضع الحال العقلي وسلامته الروحية والجسدية .

٣. أحلام تنبؤية

وقد أخضع المفسرون هذه الأحلام لطرقهم الإلهامية والاستنتاجية ولكننا بالتأكيد سنجد جهداً عظيماً في تراثهم هذا ، وعلى علم السميولوجيا الذي يعني بدرس وفحص هذه الاشارات والرموز ان يقوم بدور واضح في فحص هذا التراث واستنتاج العلاقات الخاصة بين المدلولات والدلائل في شريحة نفسية وروحية مثل نصوص الأحلام ونصوص تفسير الأحلام السومرية منها بشكل خاص والعراقية القديمة بشكل عام لأنها تمثل أقدم المدونات السميولوجية ذات البعد الروحي والتفسيري والديني في الوقت نفسه .



## **الفهارس**

١. فهرس المراجع
٢. فهرس الجداول والخططات
٣. فهرس الأشكال والصور
٤. فهرس المحتويات



## ١. فهرس المراجع

### المراجع العربية

١. الأحمد ، د. سامي سعيد: *العراق القديم - الجزء الأول العراق حتى العصر الأكدي* . كلية الآداب - جامعة بغداد - بغداد ١٩٧٨
٢. الأحمد، د. سامي سعيد : *العقائد الدينية في العراق القديم* ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨
٣. ابراهيم ، نجيب ميخائيل: *مصر والشرق الأدنى - الجزء السادس - حضارة العراق القديمة المكتبة التاريخية* ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١
٤. ابراهيم د. نبيلة: *الاسطورة ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية* . الموسوعة الصغيرة ، بغداد ١٩٧٩
٥. اذازرد ، د. وجماعته: *قاموس الآلهة الأساطير* ، ترجمة محمد وحيد خيطة . مكتبة سومر . حلب - السلمانية ١٩٨٧
٦. الياد ، مرسيا : *اسطورة العود الأبدى* ترجمة نهاد خيطة . دار طлас للدراسات والترجمة والنشر . دمشق ١٩٨٧
٧. الياد ، مرسيا : *المقدس والدنيوي - رمزية الطقس والاسطورة* ترجمة نهاد خيطة . العربي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق ١٩٨٧ ب
٨. الياد ، مرسيا : *ظاهر الأسطورة* ترجمة نهاد خيطة . دار كنعان للدراسات والنشر . دمشق ١٩٩١
٩. الياد ، مرسيا : *البحث عن الأصول ، تاريخ الأديان* . ترجمة اسامه خليل مجلة اصول . فبراير ، القاهرة ١٩٩٤
١٠. بارو ، اندريله : *فنونها وحضارتها . تقديم اندريله مالرو* . ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٩

١١. باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول. دار البيان . بغداد، دار الثقافة ، بيروت . ١٩٧٣

١٢. باقر، طه: ملحمة كلكامش الطبعة الرابعة ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد . ١٩٨١

١٣. برهيمي، أميل: تاريخ الفلسفة - الفلسفة الهنستية والرومانيه ، ترجمة جورج طرابيش . دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . ١٩٨٢

١٤. بشور، د. وديع: الميثولوجيا السورية - اساطير آرام . الطبعة الثانية دار الفكر ، بيروت . ١٩٨٩

١٥. بوتيرو، جان: الديانة عند البابلين ، ترجمة د. وليد الجادر . جامعة بغداد ، بغداد . ١٩٧٠

١٦. بوتيرو، جان: بلاد الرافدين - الكتابة، العقل ، الالله - ترجمة الأب البيير أبونا . مراجعة د. وليد الجادر ، دائرة الشؤون والثقافة العامة ، بغداد . ١٩٩٠

١٧. بببي، جيوفري: البحث عن حلول. ترجمة أحمد عبيدي ، دلون للنشر نيكوسيا . قبرص ١٩٨٢

١٨. آل تاجر، علي محمد: الرؤية التشكيلية المعاصرة للحمة الخلقة البابلية . (رسالة ماجستير) كلية الفنون الجميلة ، جامعة بغداد . ١٩٩١

١٩. تويني، أرنولد: تاريخ البشرية الجزء الأول ترجمة د. نقولا زياده الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت . ١٩٨١

٢٠. تيريني، طيب: الفكر العربي في بواكيره وأفاقه الجزء الثاني دار دمشق ، دمشق ، بيروت . ١٩٨٢

٢١. حببي، سليم ملحم: منهل الشرائع دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . ب.ت. ١٩٨٦

٢٢. حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت . دائرة الشؤون الثقافية العامة بغداد . ١٩٨٦



٣٥. السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى الطبعة السادسة سومر  
للدراسات والنشر والتوزيع. نيقوسيا . قبرص . ١٩٨٦
٣٦. السواح، فراس: لغز عشتار. دار علاء الدين ، دمشق ١٩٩٣
٣٧. السواح، فراس: دين الأنسان. دار علاء الدين ، دمشق . ١٩٩٤
٣٨. سيدا ، د. عبد الباسط : من الوعي الاسطوري الى بدايات التفكير الفلسفى  
النظري. دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق . ١٩٩٥
٣٩. الشواف ، قاسم: ديوان الأساطير - سومر واكاد وأشور - الكتاب  
الأول . تقديم وشراف أدونيس . دار الساقى . ١٩٩٦  
لندن
٤٠. الشوك، علي: من رواج الشعر السومري منشورات الجمل .  
المانيا . ١٩٩٢
٤١. عبد الرحمن ، عبد المالك عبادة الله شمش في حضارة وادي الرافدين رسالة  
ماجستير ، كلية الآداب . قسم الآثار . جامعة  
يونس . بغداد . ١٩٧٥
٤٢. عقرابي ، ثلماستيان: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرفدين  
منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد . ١٩٧٨
٤٣. علي ، د. فاضل عبد الطوفان جامعة بغداد ، بغداد .  
الواحد : ١٩٧٥
٤٤. علي ، د. فاضل عبد من الواح سومر الى التوراة دار الشؤون الثقافية  
الواحد : ١٩٨٩  
العامة ، بغداد .
٤٥. فالنكشتنайн ، أ. : ترثيلة أربيدو مجلة سومر الجزء الثاني ، المجلد  
السابع. مديرية الآثار العامة ، بغداد . ١٩٥١
٤٦. فرانكفورت ، هـ. ما قبل الفلسفة ترجمة جبرا ابراهيم جبرا. المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، بيروت . وأخرون: ١٩٨٠

٤٧. فريزر ، جيمس : أدونيس أو قموز - دراسة في الأساطير والأديان الشرقية . ترجمة جبرا إبراهيم جبرا . الطبعة الثانية . ب.ت

٤٨. كريير ، صموئيل نوح : السومريون ترجمة د. فيصل الوائلي متشورات وكالة المطبوعات ، الكويت . ب.ت

٤٩. كريير ، صموئيل نوح : من الواح سومر ترجمة طه باقر . مراجعة د. احمد فخرى . المثنى في بغداد ، الخاتمي في القاهرة ١٩٥٧

٥٠. كريير ، صموئيل نوح : الأساطير السومرية ترجمة يوسف داود عبدالقادر نشر جمعية المترجمين العراقيين . بغداد . ١٩٧١

٥١. كريير ، صموئيل نوح : طقوس الجنس المقدس عند السومريين (أنا أنا) ودموزي . ترجمة نهاد خياطة . الغربي للطباعة والنشر والتوزيع . دمشق . ١٩٨٦

٥٢. الماجدي ، خزعل : سفر سومر دار عشتار للنشر والتوزيع ، بغداد ١٩٩٠

٥٣. الماجدي ، خزعل : عاد والسمريون مجلة ألف باء العدد ١٢٥٨ في ١٩٩٢/١١/٤ . بغداد ١٩٩٢

٥٤. الماجدي ، خزعل : حول رموز القرآن الكريم . جريدة الجمهورية العدد ٨٣٣٤ في ١٩٩٢/١١/٨ ١٩٩٢ ب

٥٥. الماجدي ، خزعل : اقنعة عشتار التي لا تنتهي . مجلة عمان العدد ١٢(عمان) . ١٩٩٥

٥٦. الماجدي ، خزعل : الطب وعلاقته بالسحر والاسطورة والدين في تراث وادي الرافدين رسالة دكتوراه باشراف الدكتور فوزي رشيد . معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا . بغداد . ١٩٩٦

٥٧. الماجدي ، خزعل : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ منشورات دار الشروق . عمان . ١٩٩٧



## المراجع الأجنبية

1. Bali , litt , : **Chiness and Sumerians .**  
1913
2. Burrows, s.j : problems of the Abzu . **Orientalia Commentaril penriodici pontifici.**  
1932  
Instituti Biblici Rome .
3. Dally . s : **Myths from mesopotamia . oxford**  
1989
4. Dhorome , E and : **Les Religions . orientales ed . Mona 1 et**  
1949 Dussaud , R **2 press Universitaires . paris.**
5. Dossin , G : Le sumerion , Langue savante et religieuse . **Bullet de la calss des letters**  
1957 et des science morales et politiques , 5,  
serie t . xl III Bruxelles .
6. Grayson , A : **Babylonian Theogony ANET . Third**  
1969 **Edition .**
7. Hallow , W.W. : **The standard Bride Chicago .**  
1964
8. Harris, R. : **The Naditu women Chicago**  
1964
9. Heidel, Alaxander : **The Babylonian Gensis phoemix**  
1963 **Book. Chicago**
10. Hinz, Walther : **The lost of world of Elam Translated**  
1972 **by Jennifer Barnes . London**

11. Jacobson , Thorkild : **Toward the Image of lammuz and other essays on Mesopotamian history and culture** Edite by william L. Moran , Harvard University Massachusetts.
12. King . L.W. : **Babylonian Religion and mythology** London.
13. Kramer, S.N : : **The Sumerians** Chicago
- 1963
14. Peoble , A: : **PBS Vol 1V / 1 pp 7 -70 .**  
1914 : **PBS Vol V/1 pis LXXXVII , LXXXVIII**
15. pritchard J.B: : **Ancient Near East Texts (ANET)** 3rd Edition, princeton University press.
- 1969
16. Reiner , E: : **The Eteological Myth of the seven sages** **Orientalia** No 5. 30 .
- 1961
17. Roberts, J.J.M : : **The Earliest semetic panthion - A study of the semitic Dieties Attested in Mesopotamia befor Ur III** Baltimore .
- 1972
18. Tallqvist , knut: : **Akkadische Gottenpithita Studia Orientalia VII** . Helsinki
- 1938
19. Thomson , G : : **Die ersten philosophen** Berlin
- 1961
20. Thoro and Dangan : : **Revue d' Assyriologie** No. 19.
- 1922
21. Van Buren, E.D : : **Clay Figurines of Babyloniya and Assyria** ed yale University press .
- 1930
- :

22. Waddel, L.A :                   : **Sumerian origins of Egyption civiliza-**  
   **tion Landon**  
1930  
23. Walker , christopher           : **Episodes in the history of Babylonian ,**  
   **Astronomy , society of Mesopotamian**  
   **studies , Toronto .**  
1982  
24. Wooly. c. Leonard           : **Excavation at Ur . London .**  
   1963  
25. Wooly , C. leondard           : **Ur of the chaldess . New York .**  
   1965



## **فهرس المخطوطات والجداول**

- ١ . نظريات أصل السومريين من خارج وادي الراافدين .
- ٢ . مخطط مقترح للأصل الراافيـي الشمالي (العراقي) ولكيفية تشكـل أجداد السومريـين في الجنوب الراافيـي .
- ٣ . مخطط يوضح انتشار الثقافة السومـرية خارج وادي الراافدين ما بين (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م
- ٤ . انتشار الحضارة السومـرية ومجـازاتها خارج وادي الراافدين قـل وبعد ٣٠٠٠ ق.م
- ٥ . شجرة أنساب الآلهـة السومـرية .
- ٦ . تـصـنيـف الشـياـطـين والـجـن والـكـائـنـات الـخـرافـيـة السومـرـيـة .
- ٧ . ثـيوـغـونـيا إـنـكـي وـنـعـنـخـسـاجـ في دـلـونـ
- ٨ . العـقـمـ الفـيـزـيـاـوـيـ وـالـبـاـيـوـلـوـجـيـ لـشـجـرـةـ الآـلـهـةـ السـوـمـرـيـةـ .
- ٩ . هيـكلـ المؤـسـسـةـ الـدـيـنـيـةـ السـوـمـرـيـةـ وـأـصـنـافـ الـكـهـنـةـ السـوـمـرـيـنـ .
- ١٠ . أـيـامـ الـأـسـبـوـعـ السـوـمـرـيـةـ وـكـواـكـبـهاـ وـآـلـهـتهاـ .
- ١١ . أـيـامـ الـأـسـبـوـعـ السـوـمـرـيـةـ وـكـواـكـبـهاـ وـآـلـهـتهاـ .

## **فهرس الصور والأشكال**

١. الراية السومرية : (راية أور) أو (راية الحرب والسلام) في زمن أور الثالثة.
٢. العربية السومرية : نموذج برونزى ٢٦٠٠ ق.م / تل أجرب.
٣. الخلبي السومرية : من الذهب / أور.
٤. أميرة سومرية : تمثال نصفي .
٥. كبش أمام شجرة مزهرة (من الذهب واللابزورد) من أور.
٦. رأس الثور الذهبي الذي يزين القيثارة السومرية .
٧. محارب سومري .
٨. مناظر اسطورية مرسومة على آلة موسيقية / أور الثالثة .
٩. كتابة سومرية مسمارية .
١٠. مخلوقات خرافية وقبضة سكين وجدت في تل الأوراك في مصر (قبل ٣٠٠٠ ق.م).
١١. إناتم الأول : ملك لخش ٢٥٥٠ ق.م .
١٢. الكأس الناري السومري من أوروك .
١٣. كوديا : أمير لخش .
١٤. أورنانشة : أميرة لخش .
١٥. أورنغو : ملك سومر (أور الثالثة) أما الإلهة ننگال زوجة الإله القمر في أور .
١٦. ثو : الأفعى الكونية (الأوريوبس) .
١٧. آن - كي : جبل اسطوري سومري .
١٨. آن : الرموز (الجهات الشمانية ، دنكر) .
١٩. إنليل : الرموز (المثلثات ، الفأس) .
٢٠. إنكي : الرمز (الكأس الفوار) .
٢١. الكون السومري : الكوزمولوجيا السومرية .
٢٢. آن : رموز آن (الألف الثالث والثاني ق.م) .

٢٣. السلطة : رموزها .
٢٤. إنليل : رمزه نهاية الألف الثاني ق.م.
٢٥. إنليل : تمثاله مطلي باللون الأحمر .
٢٦. التشيد والبناء : رمز .
٢٧. إياهو : رمز الحمامات السماوية .
٢٨. إنكي : رموزه .
٢٩. نخرساج : رموزها .
٣٠. نخرساج : صورتها .
٣١. كاتوم دوك : صورتها .
٣٢. نخرساج من هيئة إلهة العين .
٣٣. نرگال رموزه .
٣٤. نانا : رموزه .
٣٥. نانا : صورتها .
٣٦. ننگال تثالها .
٣٧. نورتا : رموزه .
٣٨. ننگرسو : رموزه .
٣٩. باو : التاج الأوزي .
٤٠. باو : رموزها .
٤١. باو وإشخارا : رمزاهما .
٤٢. باو : إلهة الطب والزراعة .
٤٣. أوتو : رمزه نهاية الألف الخامس ق.م.
٤٤. أوتو : رمزاً منذ العصر الأكدي وما بعده .
٤٥. إنانا : رموزها الأربع .
٤٦. إنانا : قطيع ثيران وعجلان يخرجان من حظيرة يحيط بهما رمزاً إنانا .

٤٧. إنانا : مع أسدها كإلهة حرب.
٤٨. إنانا : رمز اسمها واسم (آن).
٤٩. إنانا : الشمس المجنحة والطليب المجنح (رمز آشور).
٥٠. العالم الأسفل : رمزه.
٥١. أرشكينغال : صورة.
٥٢. أشخارا : رمزها.
٥٣. إشكير (أدد) : رمزه.
٥٤. ننكشزيدا : رمزاه.
٥٥. ننكشزيدا : يقود مع دموزي الأمير كوديا نحو آلهة متوجة .
٥٦. أمدوكلد (زو) : صورتها ورموزها .
٥٧. الشياطين السومرية : هواوا ، شيطان ، مذبح العين الحاسدة ، رمز العين الحاسدة ، رمز الشياطين السبعة (سيتو) .
٥٨. الجن الطيبة : لاما الأنثى ، أدو الذكر ، نيراح (نيراه) .
٥٩. الكائنات الخرافية : الإنسان العقرب ، الإنسان السمكة ، الإنسان الثور ، الإنسان الكلب المجنح ، الإنسان الطير ، الماعز السمكة ، التنين (موش . خوش) .
٦٠. إنكي : تتدفق المياه من كتفيه والسمك يصعد عليها .
٦١. أبو : مع زوجته.
٦٢. عناصر الفردوس التوراتي في رقم سرمري .
٦٣. أشنان : رمزها.
٦٤. دموزي : رمزه.
٦٥. ننسون : أم دموزي وكلكامس.
٦٦. نانشة : رمزها.
٦٧. نتمار : رمزها.
٦٨. الفأس : ورمز العمل ورمز إنليل .

٦٩. إنانا : مع آن.
٧٠. إنانا : تقديم الهدايا لها من قبل دموزي وأتباعه .
٧١. إنانا : مع دموزي .
٧٢. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة يأخذان دور دموزي وإنانا .
٧٣. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا / نفر .
٧٤. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا / سوسة .
٧٥. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا .
٧٦. إنانا : إلهة الجنس / أور .
٧٧. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا .
٧٨. الزواج المقدس : كاهن وكاهنة بدور دموزي وإنانا .
٧٩. الزواج المقدس : رجل وامرأة فوق جذع شجرة والجاجانهما الحية / تبة كاورا .
٨٠. إنانا : كالإلهة محاربه .
٨١. إنانا وإرشكيكال : محاطتان برموزهما على إناء مرمرى .
٨٢. الكاهن نسي والحارس أبيخ : ماري / النصف الأول من الألف الثالث ق.م.
٨٣. كاهن سومري ييسك إناء ويؤدي طقساً .
٨٤. كاهن أو متعبد سومري قديم من عصر البعيد رجا - يمثل كورليل .
٨٥. آلهة وكهنة وكاهنات من سومر / معبد تل أسمرا (آبوا) .
٨٦. معبد أورووك البكر : إعادة بناء .
٨٧. رمز بوابة المعبد : حوالي ٣٤٧٥ ق.م .
٨٨. معبد الطبقة السادسة في أريندو .
٨٩. معبدان من تبة كاورا .
٩٠. معبد إنانا في أورووك .
٩١. المعبد المربع (آبوا) في كل أسمرا .
٩٢. زقرة آن في أورووك .

- ٩٣ . المعبد البيضوي في خفاجي .
- ٩٤ . معابد إلهة القمر (سين) .
- ٩٥ . معبد الإلهة نني زازا في ماري .
- ٩٦ . معبد زقوره إنانا في أور .
- ٩٧ . الطحان ايدي ناروم وهو يصلب .
- ٩٨ . متعبد سومري وهو في حالة ركوع .
- ٩٩ . متعبدون ذاهبون الى معبد الإلهة إنانا .
- ١٠٠ . الموقد المقدس : وهو رمز الإلهين نسکرو وننكشزیدا .
- ١٠١ . طقس سكب السوائل .
- ١٠٢ . إناء سكب السوائل .
- ١٠٣ . كاهنان بينهما الإناء المقدس .
- ١٠٤ . عين الإلهة الطاردة للشر .
- ١٠٥ . تماثيل إلهة العين الطاردة للشر في معبد تل براك .

# المحتويات

٧	مقدمة
٨	<b>الفصل الأول : المعجزة السومرية</b>
	(مدخل الى الحضارة السومرية والتاريخ السومري)
١١	<b>القسم الأول : الحضارة السومرية</b>
٢٧	<b>القسم الثاني : التاريخ السومري</b>
٢٨	١ . مرحلة الأصول (٣٥٠٠ - ٩) ق. م
٣٨	٢ . مرحلة الظهور (٣٥٠٠ - ٣٠٠٠) ق. م
٤٣	٣ . مرحلة دول المدن السومرية (٣٠٠٠ - ٢٣٥٠) ق. م
٥٠	٤ . مرحلة الدول السومرية (٢٤٠٠ - ٢٣٧١) ق. م
٥٤	٥ . مرحلة الامبراطورية السومرية (٢١١٢ - ٢١٠٤) ق. م
٥٧	<b>الفصل الثاني : المثلوجيا السومرية</b>
	(دراسة في الأساطير والآلهة السومرية).
٦٠	- تصنيف الأساطير السومرية
٦٥	<b>القسم الأول : أ. أساطير الخليفة والنشوء</b>
	(التكوين) (الكوزموغونيا)
٦٨	١ . المرحلة الكوزموغونية الأولى
٧٠	٢ . المرحلة الكوزموغونية الثانية
٧٢	٣ . المرحلة الكوزموغونية الثالثة
٧٥	٤ . المرحلة الكوزموغونية الرابعة
٧٦	الكوزمولوجيا السومرية (علم الكون السومري)
٧٩	ب. أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا )
٨٠	تصنيف الآلهة السومرية
٨٥	شجرة أنساب الآلهة السومرية

- أ. آلهة الهيولى
- ٨٥ ب. آلهة العناصر الأربع (ان، انليل ، انكي ، كي)
- ٨٥ ١ . سلالة انليل (**الشجرة الأنليلية الهوائية النارية**)
- ١٠٥ اسطورة انليل ونيل وولادة القمر
- ١٠٦ ٢ . أبناء انليل (**آلهة الجيل الأول من الشجرة الأنليلية**)
- ١١٠ نانا ، نورتا ، نتگرسو
- ١١٧ أبناء نانا (**آلهة الجيل الثاني من الشجرة الأنليلية**)
- ١٢٨ أوتو ، إنانا ، ارشكيكال
- ١٢٨ الجيل الثالث من **الشجرة الأنليلية**
- ١٣٥ الشياطين والجن والكتانات الخرافية السومرية
- ١٤٤ ٢ . سلالة انكي (**الشجرة الانكية الأرضية المائية**)
- ١٤٥ اسطورة إنكي وتنحرساج في دلوون
- ١٥٢ ١ . الالهان عديعا الجنس
- ١٥٢ ٢ . آلهة المياه
- ١٥٣ ٣ . آلهة النبات
- ١٥٥ ٤ . آلهة الحيوان
- ١٥٨ ٥ . آلهة العمران
- ١٥٩ ٦ . أسللوخي
- ١٥٩ ٧ . إلهات الولادة السبع
- ١٦٠ ٨ . لولو (الانسان)
- ١٦٢ العمق الفيزياوي والبايولوجي للمثولوجيا السومرية
- ١٦٤ ج. أساطير تشوء الإنسان (**الإثنروبيوغونيا**)
- ١٦٤ ١ . الإثنروبيوغونيا الطينية المائية
- ١٦٧ ٢ . الإثنروبيوغونيا النباتية
- ١٦٨ ٣ . الإثنروبيوغونيا الحيوانية
- ١٧٠ ٤ . الإثنروبيوغونيا الإلهية

٥. الانثروبيوغونيا اللوغوسية

القسم الثاني : أساطير تنظيم الكون

أ. أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالأله انليل

١٧١

١٧٢

١٧٣

١٧٤

١٧٥

١٧٦

١٧٧

١٧٨

١٧٩

١٨٠

١٨١

١٨٢

١٨٣

١٨٤

١٨٥

١٨٦

١٨٧

١٨٨

١٨٩

١٩٠

١٩١

١٩٢

١٩٣

١٩٤

١٩٥

١٩٦

١٩٧

١٩٨

١٩٩

٢٠٠

٢٠١

٢٠٢

٢٠٣

٢٠٤

٢٠٤

٢٠٥

٢٠٦

٢٠٦

٢٠٧

٢٠٨

٢٠٨

٢٠٩

٢١١

١. اسطورة الفأس

٢. رحلة القمر الى نقر

٣. إبيش وإيتين

٤. لاهاي وأشنان

ب. أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالأله إنكي

١. تنظيم سومر

٢. ترتيلة أريدو

القسم الثالث : أساطير تدمير الكون

١. الطوفان (اسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى)

٢. التنين (اسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

أ. التنين كور وأساطيره مع الآلهة

ب. التنين أساج وننورتا

القسم الرابع : أساطير إنانا

١. إنانا والألهة (آن، انليل ، إنكي)

٢. إنانا ودموزي

- أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي

المنافسة بين دموزي وانكمدو

إنانا تفاخر بأصلها وتهين دموزي

إنانا تخثار دموزي لـلوهية البلاد

إنانا تلتمس موافقة أبيها القمر

إنانا تلتمس موافقة أمها ننگال

اللقاء السري بين إنانا ودموزي

أنأشيد الزواج المقدس بين إنانا ودموزي

٢٢٥	- أساطير ومراثي دموزي
٢٢٥	- إنانا تختار دموزي بدليلاً عنها
٢٢٦	فرار دموزي الأول
٢٢٦	حلم دموزي
٢٢٨	العثور على دموزي
٢٢٨	فرار دموزي الثاني والثالث والقبض عليه
٢٢٩	مراثي إنانا وتسليم دموزي إلى يدي الأبدية
٢٣١	إنانا والعجوز (بليلي) (بليلو)
٢٣٣	٣. إنانا وملوك سومر (كلكامش ، شوبلجي ، شوسين ، أيدن داجان ، إيشمي داجان).
٢٣٩	٤. إنانا والأنسان (اسطورة شوكاليتودا)
٢٤٢	٥. إنانا والعالم الأسفل
٢٤٩	<b>الفصل الثالث : اللاهوت السومري</b>
	(دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية السومرية)
٢٥١	١. الآلهة
٢٥٦	٢. القراءة الآلهية
٢٦٢	٣. التعددية والتفريد والتوحيد
٢٦٣	٤. الأرواحية
٢٦٤	٥. التشبيهية
٢٦٥	٦. الإنسان
٢٦٧	٧. الفقه السومري
٢٧٠	٨. المؤسسة الدينية
٢٧٠	أ- النظام الكهنوتي
٢٨٠	ب- المعابد
٢٨٨	٩. الحكماء السبعة (أبكالو)
٢٩١	١٠. العود الأبدي

٢٩٤	١١. جذور الهرمية والغنوصية
٢٩٥	١٢. الاسكاتولوجيا السومرية (عقائد الموت)
٣٠٧	<b>الفصل الرابع : الطقوس السومرية</b> (دراسة في الطقوس والشعائر الدينية السومرية)
٣١١	١. الطقوس اليومية
٣١١	الوضوء والاغتسال
٣١١	الصلوة
٣١٣	الصوم
٣١٣	التراثيل
٣١٥	التطهير
٣١٥	إحراق البخور
٣١٦	سكب السوائل
٣١٨	طقس فتح فم الإله وغسله
٣١٨	طقس إطعام الآلهة
٣١٩	طقس الفوهو (البديل)
٣٢٠	الأضاحي
٣٢٢	٢. طقوس المناسبات
٣٢٢	طقوس الولادة
٣٢٣	طقس البناء
٣٢٤	طقوس الزواج
٣٢٥	طقوس الموت
٣٣٤	٣. الطقوس الدورية (الأعياد)
٣٣٥	عيد إيش إيش
٣٣٦	عيد زاموء (زگمك)
٣٣٧	عيد الاكيتو
٣٣٩	عيد ايزغاوخ

٣٤٠	<b>٤. الطقوس السرية (طقوس الأسرار)</b>
٣٤١	١. السحر
٣٤٢	شياطين السحر الأسود
٣٤٥	مضادات السحر الأسود
٣٤٦	علاقة السحر بالاسطورة
٣٤٧	<b>٢. العرافة</b>
٣٤٩	<b>٣. التنجيم</b>
٣٥٠	نصوص التنجيم السومرية
٣٥٢	الآلهة وأيام الأسبوع وابراج السماء
٣٥٣	الزقورات كمراصد فلكية وتنجيمية
٣٥٤	<b>٤. تفسير الأحلام</b>

## الفهارس

٣٦١	١. فهرس المراجع
٣٦٣	٢. فهرس والمخططات والجداول
٣٧٣	٣. فهرس الاشكال والصور
٣٧٤	
٣٧٩	٤. فهرس المحتويات



# مكتوب سومر

الكتاب الأول

التاريخ • الميثولوجيا • اللاهوت • الطقوس

يقدم هذا الكتاب عرضاً وتحليلاً موسعاً لأربعة أركان أساسية من الحضارة السومرية التي هي أول حضارة بشرية في العصور التاريخية وهذه الأركان هي :

١. التاريخ : حيث يتبع المؤلف الأصول الأولى للسومريين ويتفصّل هجراتهم ويعرض تطورهم التاريخي من القرية إلى المدينة إلى الدولة إلى الامبراطورية .

٢. الميثولوجيا : حيث يصنف الآلهة والأساطير السومرية على أسس علمية جديدة ، ويعرضها ويحلّلها ويكشف ما تحمله في أعماقها من كنوز فكرية وروحية كثيرة .

٣. اللاهوت : حيث يقدم دراسة معمقة للأفكار والعقائد الدينية السومرية عبر (١٢) ثيمة رئيسية ، ويربطها بأساطيرها وطقوسها المناسبة .

٤. الطقوس : حيث يقدم عرضاً للطقوس والشعائر اليومية والمناسبات الدورية والشعائر الأسرار (السحر ، العرافة ، التنجيم ، تفسير الأحلام)

إن هذا الكتاب يجعلنا أمام مشهد فريد لسومر وحضارتها ، حيث الأصول الروحية والمادية الأولى للإنسان .

(الناشر)



الملكية الأردنية الأثرية - عمان - وسط البلد  
خلف ملتقى الفردوس / ص.ب. ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٩٨٨٨  
فاكس ٩٦٢٦ ٣١٠٧٧٧٥ • مكتشّو افتتاحي العام ١٩٩٨ م  
• الفلاح زهرة أبو شباب .